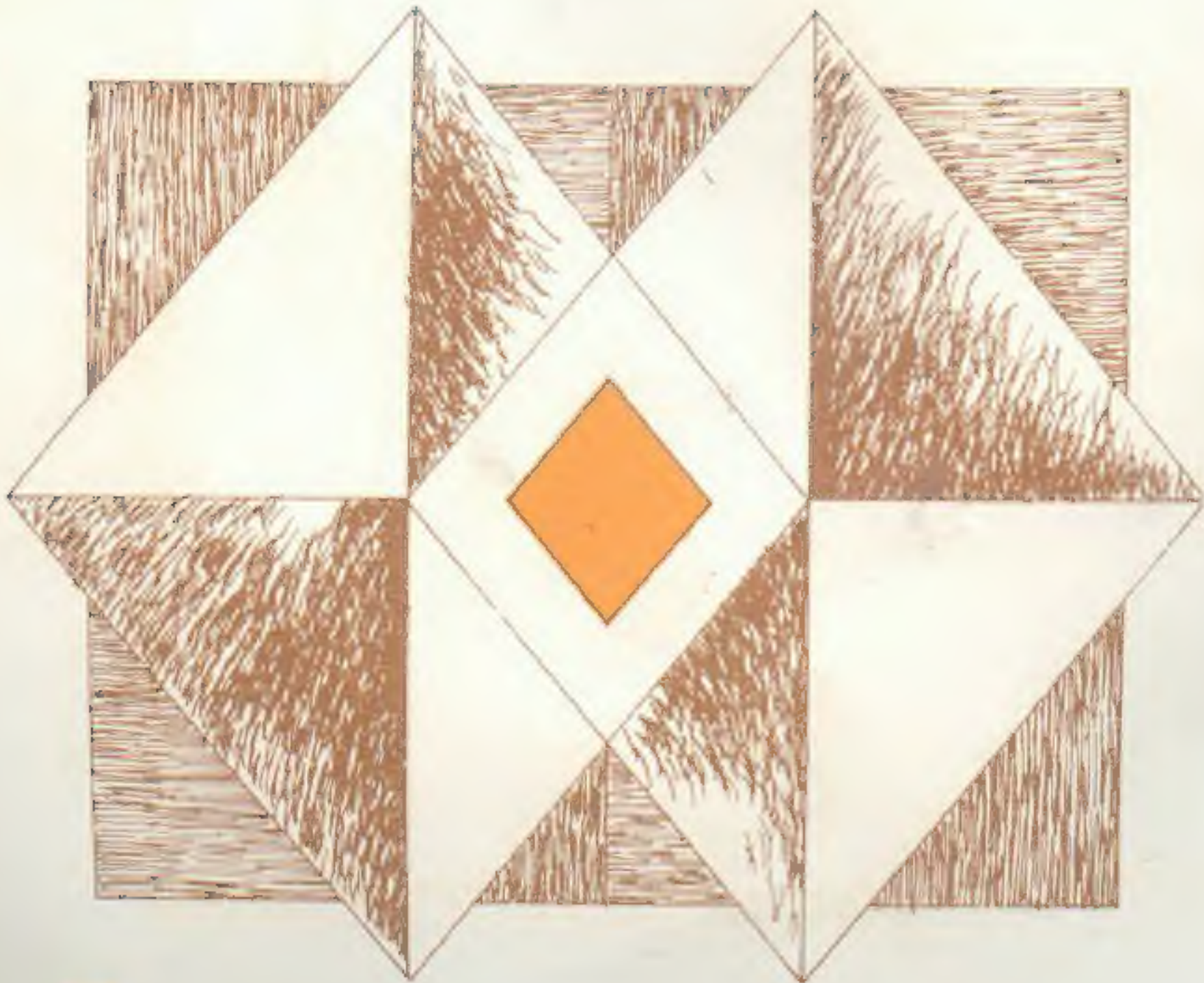


ماكس فيبر

# الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية

ترجمة: محمد علي مقلد



مركز الاضاء القومي

abou hayan

**مشروع مطاع صفحي للينابيع - III**

---

# الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية

تأليف : ماكس فيبر

ترجمة : د. محمد علي مقلد

مراجعة : جورج أبي صالح

جميع حقوق الترجمة والنشر محفوظة لـ:  
**مركز الافتاء القومي**

لبنان - رأس بيروت - المنارة - بناية الفاخوري

ص.ب. 135048-135072

تلكس: LIBSER 22756 LE

هاتف: 802939 - 802993 - 802941

**C.D.N. LOGORIENT**  
**94, rue St-Lazare, 75009 Paris**  
**Tél.: (1) 48 74 07 54**  
**Télex: 281596 F**



## • تمهيد •

كل الذين نشأوا في ظل الحضارة الأوروبية المعاصرة، ويتناولون بالدرس قضايا التاريخ العام، هم مدفوعون، عاجلاً أم آجلاً، إلى أن يطرحوا، عن حق، السؤال التالي: في أي سياق من الظروف برزت ظاهرات ثقافية في الحضارة الغربية، وحدها دون سواها، ظاهرات ارتدت - هذا على الأقل ما نود أن نعتقده - مدلولاً وقيمة كونية؟.

ليس إلا الغرب مكاناً لوجود علم نعرف اليوم «بقيمة» تطوره. بالتأكيد ظهرت خارج الغرب معارف تجريبية وأفكار حول الكون والحياة وحكم عميقة فلسفية أو لاهوتية؛ ومع أن التطور التام للاهوت منهجي، على سبيل المثال، هو أمر خاص بالديانة المسيحية المتأثرة بالهلينية فقد ظهرت في الإسلام ولدى بعض الفرق الدينية في الهند بعض بدايات في هذا المجال. باختصار، إننا نستنتج، من ناحية أخرى، الدليل على وجود معارف وملاحظات على مستوى كبير جداً من المهارة، لا سيما في الهند والصين وبلاد بابل ومصر. غير أن ما كان يعوز علم الفلك، في بابل وخارجها - كان علم النجوم في بابل مدهشاً جداً - هو الأسس الرياضية التي أمكن لليونانيين وحدهم توفيرها له. في الهند لم تكن الهندسة تعرف «البرهنة» العقلانية، التي أنتجتها، هي أيضاً، العقلية اليونانية مثلما أنتجت الفيزياء والميكانيكا؛ أما العلوم الطبيعية في الهند، الغنية جداً بالملاحظات، فهي تجهل بدورها المنهج التجريبي الذي هو - باستثناء محاولات قليلة جداً في الماضي البعيد - نتاج عصر النهضة الأوروبية، على غرار المختبر الحديث. وبالتالي فإن علم الطب، الذي يحظى بتكنيك تجريبي متطور جداً، لا سيما في الهند، كان يفتقر هناك إلى أساس بيولوجي وبشكل خاص بيوكيميائي. باستثناء الغرب، ما من حضارة تمتلك كيمياء عقلانية.

إن البحث العميق المعروف لدى المؤرخين الصينيين كان يعوزه منهج توسيديد Thucydide. وقد كان لمكيا فيلي، من غير شك، أسلاف في الهند، إلا أن كل السياسات الآسيوية كانت تفتقر إلى طريقة منهجية يمكن مقارنتها بطريقة أرسطو، وكانت تعوزهم بشكل خاص المفاهيم العقلانية.

إن الأشكال الفكرية الدقيقة في منهجيتها، الضرورية لكل عقيدة شرعية عقلانية، الخاصة بالقانون الروماني وخلفه، القانون الغربي، هي أشكال غير موجودة أبداً خارج أوروبا، وذلك بالرغم من البدايات الحقيقية المعروفة في الهند، مع مدرسة ميمامسا Mimâmsâ، وبالرغم أيضاً من



تدوين القوانين بصورة واسعة، كما هي الحال في آسيا القديمة، واستناداً إلى كل ما عرف من كتب القانون الهندسية أو غيرها. فالغرب وحده هو الذي يعرف، في المقابل، صرحاً قانونياً على غرار الحق الكنسي.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الفن. فربما كانت شعوب أخرى تتمتع بحس موسيقي لم يتوفر لنا مثيله. كما عرف في العالم على نطاق واسع مقطوعات موسيقية عديدة. ونجد عند غيرنا غناء واستخداماً متزامناً للآلات الموسيقية، وتوصل آخرون إلى حساب الفواصل الموسيقية العقلانية التي وضعناها. غير أن الموسيقى المتكاملة عقلاً الموقعة على هارمونية متجانسة، وائتلاف الأصوات، والتنويعات النغمية القائمة على هارمونية عقلانية، وفي إطار وحدة منسقة من العزف، بالإضافة إلى النظام الذي وضعناه في التدوين الموسيقي، وهو الذي جعل من الممكن تأليف الموسيقى الحديثة وتنفيذها وتأمين ديمومتها: السونات، السيمفونية، الأوبرا، بالإضافة أيضاً إلى برمجة الموسيقى وتحويل الأصوات والتلوينات النغمية على الآلات الحساسة كالأورغ والبيانو والكممان إلخ. كل ذلك لا يوجد إلا في الغرب.

لقد استخدمت القوس القوطية في آسيا، منذ أقدم الأزمنة، كعنصر تزييني؛ ويقال أيضاً إن الشرق كان لا يجهل التقاطع القوطي. غير أن الاستخدام العقلاني للقطرة القوطية من أجل تدريج المقامات وتغطية المساحات بكل الأشكال، ولا سيما بصفته مبدأ من مبادئ البناء في الآثار الكبيرة، وأساس أسلوب يشمل النحت والرسم، على غرار ما أنتجه العصر الوسيط؛ كل هذا ليس موجوداً خارج أوروبا. وكذلك الأمر في حل مسألة القبة التي اقتبس مبدأها عن الشرق، ومسألة عقلنة الفن في مجمله التي غدت بالنسبة لنا أمراً كلاسيكياً. في الرسم من خلال استخدام الخطوط والمنظور الفضائي استخداماً عقلاً. وهو الحل الذي ندين به إلى عصر النهضة. والطباعة عرفت في الصين، غير أن الغرب وحده شهد ولادة أدب مطبوع، لم يعرف إلا في صيغته المطبوعة، ويدين إلى الغرب بوجوده كـ «الصحافة» و «المجلات الدورية» [كما يوجد في الصين وفي الإسلام كل أنواع مؤسسات التعليم العالي التي لا مثيل لها شكلياً في جامعاتنا، على الأقل في مدارسنا الكبرى؛ غير أن بحثاً علمياً عقلاً منهجياً ومتخصصاً، وهيئة من المتخصصين المجربين، لا وجود لهما في أي مكان آخر غير أوروبا، على نحو بلغ مكانة بارزة في ثقافتنا اليوم] هذا يصح قبل كل شيء على الموظف المتخصص الذي يعتبر حجر الزاوية في الدولة والاقتصاد الحديثين في الغرب. هذا نموذج عرف له أسلاف غير أنه لم يكن يشكل أبداً جزءاً عضوياً مندمجاً داخل النسق الاجتماعي. إن البيروقراطي، الموظف المتخصص ذاته، هو، من غير شك، ظاهرة قديمة جداً في مجتمعات عديدة وفي أشدها تبايناً. غير أنه لم يظهر، حول هذه المسألة، لا في عصر آخر، ولا في قارة أخرى؛ كما أن الوجود الاجتماعي برمته، وبأشكاله السياسية والتكنيكية والاقتصادية مرتبط بالضرورة، وبشكل كلي، بتنظيم الموظفين المتخصصين والكفوئين. فالمهام الأساسية في الحياة اليومية هي بين أيدي بيروقراطيين مؤهلين على الصعيدين التقني والتجاري، وبالأخص موظفي دولة مؤهلين على الصعيد التشريعي.



إن تنظيم المجتمع في ملاكات وأطر قد غدا أمراً منتشراً انتشاراً واسعاً. غير أن الملكية القائمة على أساس ذلك، أي بالمعنى الغربي للكلمة، لم تكن معروفة إلا في حضارتنا. فوق ذلك، إن البرلمانات المؤلفة من «ممثلي الشعب» المنتخبين دورياً، وحكومات السياسيين، رؤساء الأحزاب، «الوزراء» المسؤولين أمام البرلمان، كل ذلك يخص الغرب وحده، مع أن «الأحزاب» السياسية، بمعنى التنظيمات الباحثة عن نفوذ وعن الظفر بالسلطة، هي ظاهرة معروفة منذ القديم في كل مكان. وعلى العموم، فإن «الدولة»، بصفقتها مؤسسة سياسية لها «دستور» مكتوب، ولها قانون قائم عقلاً، وإدارة موجهة على أساس قواعد عقلانية أو «قوانين»، ولها موظفون ذوو كفاءة، ليست معروفة على هذه الصورة إلا في الغرب وذلك بالرغم من وجود تمايزات.

يصح كل هذا أيضاً في أكثر القوى حسماً في حياتنا الحديثة: الرأسمالية. إن «الرغبة في الكسب»، «البحث عن الربح»، عن المال، عن أكبر كمية ممكنة من المال، كل ذلك ليس له، بذاته، أية علاقة بالرأسمالية. مستخدمو المقاهي، الأطباء، الحوذيون، الفنانون، العاهرات، موظفو التجارة، الجنود، اللصوص، الهجناء، حماة البيوت المشبوهة، المتسولون، كلهم يمكن أن يكونوا مسكونين بهذا التعطش للكسب، على غرار ما حصل مع أناس مختلفي ومتنوعي الظروف في كل العصور وفي كل الأمكنة، حيث وجدت أو يمكن أن توجد، تحت أية صيغة، ظروف موضوعية خاصة بمثل هذه الحالة. ينبغي تعليم الصغار، في كتب تاريخ الحضارة، وفي الصفوف الابتدائية، التخلي عن هذه الصورة الساذجة. فالحاجة للكسب غير المحدود لا تنطوي أبداً على مقومات الرأسمالية ولا حتى على «روحها». يمكن أن تتماثل الرأسمالية مع الهيمنة، وعلى الأقل، مع التلطيف العقلاني لهذه الغريزة اللاعقلانية. غير أنه من الصحيح أن الرأسمالية مرادفة للبحث عن الربح، عن ربح دائم القدرة على التجدد، من خلال مؤسسة ثابتة، عقلانية ورأسمالية - إنها بحث عن المردودية، التي تلازم المشروع الرأسمالي. ففي ظروف يكون فيها الاقتصاد كله خاضعاً للنسق الرأسمالي، يحكم بالزوال كل مشروع رأسمالي فردي لا تحركه دوافع البحث عن المردودية.

لنحدد الآن عباراتنا بمقدار من الدقة يفوق المؤلف، فنسمي الفعل الاقتصادي «الرأسمالي» ذاك الذي يقوم على أمل الكسب عن طريق استثمار إمكانات التبادل، أي على الفرص السلمية (شكلياً) للربح. إن الكسب بالقوة (شكلياً أو فعلياً) يتبع قوانينه الخاصة، وليس من المناسب (ولكن كيف يتم منعه عن أي كان؟) وضعه في مصاف الفعل الموجه (بالتحليل الأخير) نحو الربح الناجم عن التبادل<sup>(1)</sup>. إذا تم البحث عن الكسب الرأسمالي عقلاً، فإن الفعل المقابل يحسب على أساس الرأسمال. هذا يعني أنه إذا استخدم الفعل منهجياً المواد أو الخدمات الشخصية كوسيلة للكسب، فإن حصيلة المشروع بالأرقام المالية في نهاية مرحلة معينة منه (أو قيمة الموجودات محسوبة مرحلياً في حالة مشروع متواصل) ينبغي أن تتجاوز الرأسمال، أي قيمة وسائل الإنتاج المادية المستخدمة في سبيل الكسب عن طريق التبادل. لا يهم إذا كان الأمر يتعلق ببضاعة طبيعية مسلمة على الطلب، من قبل بائع متجول يمكن أن يتجسد في النهاية كسبه في بضائع طبيعية أخرى عبر التجارة؛ أو إذا كان الأمر يتعلق بمصنع، موجوداته من الأبنية والآلات والأموال



المنقولة، والمواد الأولية، والمواد المنتجة بشكل نهائي أو نصف نهائي، أو من ديون، وموازنته قائمة على الالتزامات. إن ما يهم هو تقدير الرأسمال في قيمة نقدية؛ وليس مهماً أن يتم ذلك عن طرق المحاسبة الحديثة أو عن أية طريقة أخرى بدائية. كل شيء يتم على أساس جردة الحساب. جردة أولية في بداية المشروع؛ وتقدير للربح المحتمل قبل أي عمل؛ وجردة نهائية، في النهاية، بغية تحديد قيمة الربح. على سبيل المثال: الجردة الأولية لطلبية معينة ينبغي أن تحدد القيمة النقدية، المعترف بها من قبل الشركاء، للسلع المطلوبة (في الحدود التي لا يكون فيها لهذه السلع شكل نقدي في البداية)؛ ثم يكون من شأن الجردة النهائية حساب الأرباح والخسائر. كل عملية بين الشركاء تستند إلى الحساب في الحدود التي تصبح فيها التبادلات عقلانية. قد يحصل، حتى في أيامنا، ألا تجري لا حسابات ولا تقديرات دقيقة، وأن يتم اللجوء إما إلى تقديرات تقريبية أو إلى وسيلة تقليدية أو اصطلاحية، حين لا تستوجب الظروف إجراء حساب دقيق. غير أن ذلك لا يمس جوهر عقلانية الكسب الرأسمالي.

المهم بالنسبة للمفهوم الذي نطلقه، وهذا ما يحدد هنا الحركة الاقتصادية بطريقة حاسمة، هو الميل الفعلي إلى المقارنة، مهما كانت المقارنة أولية، بين نتيجة يعبر عنها بالمال وبين استثمار يقدر بالمال. بقدر ما تتيح لنا الوثائق الاقتصادية أن نصدر أحكاماً، نرى أنه توجد، بهذا المعنى، وفي كل البلاد المتمدنة، رأسمالية ومشاريع رأسمالية قائمة على عقلنة مقبولة لتقويمات وتقديرات على أساس الرأسمال؛ يصح ذلك على الصين والهند وبابل ومصر والمنطقة المتوسطة في الأيام الغابرة، في العصر الوسيط، كما في أيامنا. ولا يتعلق الأمر فقط بعمليات فردية معزولة، بل بمشاريع اقتصادية قائمة كلياً على تجديد العمليات الرأسمالية المعزولة، أو بالأحرى على الاستثمارات الدائمة. وفي المقابل، لم ترتد التجارة، خلال فترة طويلة ماضية، كما هي حال التجارة في أيامنا، صفة ثابتة؛ فقد كانت تتضمن بشكل أساسي سلسلة من العمليات المعزولة. ولم يكتسب نشاط كبار التجار تماسكاً داخلياً إلا بالتدريج (وبالتحديد مع إقامة فروع وشعب). حيث انتشرت المشاريع الرأسمالية، وكذلك كانت حال المقاولين الرأسماليين، على كل حال، عبر العالم منذ أقدم العصور، لا بهدف القيام بمشاريع معزولة بل في سبيل تأسيس حركة ثابتة ودائمة أيضاً.

غير أن الرأسمالية لم تشهد إلا في الغرب انتشارها الكبير وأنماطها وأشكالها وميولها التي لم تبرز في أي مكان آخر. في العالم كله كان هنالك تجار: بالجملة أو بالمفرق، وتجار محليون أو ذوو مجالات عمل واسعة. كما عرفت كل أنواع القروض وأكبت مصارف على شتى أنواع العمليات، التي هي شبيهة على الأقل بعمليات قرننا السادس عشر. وانتشرت القروض البحرية، والطلبات والتجمعات وشركات التوصية انتشاراً واسعاً، حتى أنها ارتدت أحياناً شكلاً ثابتاً. وحيث كانت توجد أرصدة توظيف للمؤسسات الرسمية، وجد الدائنون في بابل، في اليونان وفي الهند والصين وروما. وقد مولوا الحروب وأعمال القرصنة، وأسواق التمويل والعمليات العقارية من جميع الأصناف.



كما لعبوا في سياسة ما وراء البحار دور المقاولين المستعمرين، المتاجرين بالنخاسة المستخدمين للعمل القسري. واستأجروا المزارع حقولاً وأيدي عاملة مع حصولهم على أفضلية لتغطية الضرائب. ومولوا رؤساء الأحزاب في مناسبات الانتخابات والجيش المرتزقة أثناء الحروب الأهلية، وعملوا، في نهاية الأمر، مضاربين، منتهزين كل الفرص لتحقيق ربح مالي. إن هذا التنوع في صفوف المقاولين، المغامرين الرأسماليين، هو تنوع موجود في كل مكان. وقد كانت نشاطاتهم، باستثناء التجارة والعمليات المصرفية والتسليفية، ترتدي صفة لا عقلانية ونظرية، أو أنهم كانوا متجهين نحو الكسب عن طريق العنف، وعن طريق اقتطاع حصة من المغنم قبل كل شيء: إما عبر الحرب مباشرة، وإما بطريقة غير مباشرة، تحت شكل ثابت من الأسلاب النقدية، أي عن طريق إستغلال الأشخاص. إلى جانب كثير من المميزات التي غالباً ما نجدها في الرأسمالية الغربية الحديثة: رأسمالية نصابي الأموال، كبار المضاربين، متعبي الامتيازات الاستعمارية، كبار الممولين. ولا سيما عند أولئك الذين يختارون مشاريعهم في مجال استغلال الحروب، وهو ما يرتبط به اليوم وفي كل يوم، قسم، وقسم فقط، من التجارة الدولية الكبرى.

غير أن الغرب، في الأزمنة الحديثة، شهد وحده شكلاً آخر من الرأسمالية، هو التنظيم العقلاني الرأسمالي للعمل الحر (شكلياً)، وهو ما لا نجده في أماكن أخرى إلا على شكل بدايات مشوشة. لم يبلغ العمل العبودي في الزمن الغابر مستوى معيناً من العقلنة إلا في المزارع، ومستوى أدنى في الـ *Ergastéria*. ومع بدايات الأزمنة الحديثة كانت العقلنة ما تزال محصورة أكثر في المزارع وفي مشاغل الأسياد، كما في الصناعات المنزلية، وفي حقول الأسياد القائمة على العمل بالسخرة. إن صناعات منزلية فعلية تعتمد على العمل الحر لم يكن لها وجود خارج الغرب، إلا في حالات نادرة. وهذا أمر مؤكد. ومع ذلك فإن استخدام المياومين بشكل واسع لم يؤد، إلا في حالات استثنائية، إلى قيام المانيفاكتورية - وذلك في ظل أشكال مختلفة من التنظيم الصناعي الحديث (إحتكارات الدولة) -، ولم يؤد أبداً إلى تنظيم تعليم المهنة على طريقة القرون الوسطى.

غير أن تنظيم المؤسسة الرأسمالية تنظيمياً عقلانياً على أساس حساب الربح في سوق منتظمة لا على أساس الظروف اللاعقلانية أو السياسية التي تتم فيها المضاربة، ليس هو الخصوصية الوحيدة في الرأسمالية الغربية. فلم يكن ذلك ممكناً من دون عاملين آخرين أساسيين: فصل العمل المنزلي عن المؤسسة، وهو الذي ساد في الحياة الاقتصادية الحديثة؛ والمحاسبة العقلانية وهي مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً. ونجد أيضاً خارج أوروبا مثل هذا الفصل عبر المكان بين المسكن والمشغل (أو الدكان) - أمثلة: البازار الشرقي والـ *Ergostéria* في بعض الحضارات. وكذلك، في الشرق، في أقصى الشرق، كان لبعض التجمعات الرأسمالية، في العصور الغابرة أجهزة محاسبتها المستقلة. غير أن ذلك لم يكن سوى محاولات متواضعة، قياساً على استقلالية المؤسسات الحديثة. وذلك، قبل كل شيء، لأن الشروط التي لا غنى عنها لهذه الاستقلالية، أي ما قمنا به على صعيد المحاسبة العقلانية، والفصل الشرعي بين ملكية المشاريع والملكية الشخصية غائبة كلياً، أو أنها كانت في بداياتها<sup>(2)</sup>. إن المؤسسات التي تبحث عن كسب، خارج أوروبا، تميل إلى



أن تتطور انطلاقاً من رأسمال عائلي كبير أميري أو حكومي ؛ وهي تبدي ، كما لاحظ ذلك جيداً رودبرتوس Rodbertus ، إلى جانب بعض مظاهر التماثل السطحية مع الاقتصاد الحديث ، تطوراً متباعداً أو بالأحرى متناقضاً .

غير أن جميع هذه الخصوصيات في الرأسمالية الغربية لم تأخذ ، في التحليل الأخير ، مدلولها الحديث إلا بعد أن أضيف إليها التنظيم الرأسمالي للعمل ، كما ارتبط بها ما يسمى عموماً «التَّجِير» ، أي تحويل كل شيء إلى مادة للتجارة ، تطور الملكيات القابلة للتبادل ، والبورصة التي هي عقلنة المضاربة . إن كل ذلك يبقى ، في غياب التنظيم العقلاني للعمل الرأسمالي ، - هذا إذا افترضنا إمكانية بقائه - بعيداً عن أن يرتدي المدلول ذاته ، لا سيما فيما يتعلق بالبنية الاجتماعية وبكافة القضايا المرتبطة به والتي تخص الغرب الحديث . فالحساب الدقيق ، وهو أساس كل ما عداه ، ليس ممكناً إلا على قاعدة العمل الحر .

وبما أنه ، أو بالأحرى لأنه ، لا يوجد ، خارج الغرب ، أي أثر لتنظيم عقلاني للعمل ، فمن باب أولى ألا توجد اشتراكية عقلانية . إن ما تبقى من العالم خارج أوروبا قد عرف ، ولا شك ، الاقتصاد المديني ، وسياسات التمويل المديني ، ونظريات الأمراء المتعلقة بالمركانتيلية والتقدم ، والتقنين ، وضبط الاقتصاد ، والحماية ونظريات التلقائية (في الصين) . كما عرف أيضاً أنماطاً متعددة من الاقتصاد الشيوعي والاشتراكي : الشيوعية العائلية ، الدينية أو العسكرية ، اشتراكية الدولة (في مصر) ، الشركات الاحتكارية ، وهيئات المستهلكين . ومع وجود امتيازات ، في كل مكان ، لأسواق المدن على حساب أسواق الريف ، ووجود تجمعات حرفية ، ورابطات نقابية ، وكل صنوف الاختلافات المشروعة بين المدينة والريف ، فإن مفهوم «البرجوازي» ومفهوم «البرجوازية» ظلاً ، مع ذلك ، مجهولين في كل مكان خارج الغرب . وكذلك ، فإن «البروليتاريا» كطبقة لا يمكن أن توجد في غياب أي مشروع ينظم العمل الحر . توجد في كل مكان ، وبصيغ مختلفة ، «صراعات طبقية» : بين الدائن والمدين ، بين مالكي الأراضي والفلاحين أو العبيد أو المزارعين ، بين التجار والمستهلكين أو مالكي الأراضي . إلا أنه لا توجد ، خارج الغرب ، إلا بأشكال جنينية ، صراعات بين شركاء يقدمون رأس المال وشركاء متضامنين كما كانت الحال في عصرنا الوسيط في الغرب . إن الصراع الحديث بين كبار المقاولين الصناعيين والعمال المأجورين كان مجهولاً تماماً . من هنا غياب المسائل المشابهة لتلك التي عرفتتها الاشتراكية الحديثة .

بالنتيجة ، إن القضية الأساسية في تاريخ الحضارة الشامل - حتى من وجهة نظر اقتصادية صرف - ليس بالنسبة لنا ، في التحليل الأخير ، تطور النشاط الرأسمالي ، كنشاط رأسمالي ، المختلف باختلاف الحضارات : المغامر هنا ، المركنتيلي هناك ، أو الموجّه نحو الحرب ، والسياسة ، والإدارة ؛ بل هو بالأحرى تطور رأسمالية المؤسسة البرجوازية مع التنظيم العقلاني للعمل الحر ؛ وبلغة تاريخ الحضارات ، فإن قضيتنا هي قضية ولادة الطبقة البرجوازية الغربية بسماتها المميزة . وهي قضية على علاقة أكيدة ووثيقة بأصل تنظيم العمل الحر الرأسمالي ، ولكنها ليست مماثلة له . ذلك لأن البرجوازية ، كدولة ، قد وجدت قبل تطور الشكل الحديث الذي يخص



الرأسمالية - وهذا يصح على الغرب وحده.

من المعلوم أن الشكل الحديث، بالمعنى الصحيح، للرأسمالية الغربية قد تحدد، إلى درجة كبيرة، بتطور الامكانيات التقنية. وترتبط عقلانيته اليوم، بشكل أساسي، بإمكانية تقدير العوامل التقنية الأكثر أهمية. مما يعني أنها ترتبط بالسمات الخاصة بالعلم الحديث، لا سيما بعلوم الطبيعة القائمة على أساس الرياضيات والتجريب العقلاني. من ناحية أخرى، إن تطور هذه العلوم، والتقنيات المتفرعة عنها، قد تلقى من جانبه، وما يزال، دفعا حاسما للمصالح الرأسمالية التي تنتظر مردوداً من تطبيقاتها العملية. والحقيقة أن أصل العلم الغربي لم يكن قد تحدد بمثل هذه المصالح. فقد كان للهنود ترقيم لا مقداري يعادل حساباً جبرياً، وقد ابتكروا النظام العشري من غير أن يتوصلوا، مع ذلك، لا إلى علم الحساب ولا إلى علم المحاسبة الحديثين. ويبقى على الرأسمال الغربي أن يستخدمه خلال تطوره. ولم تحدد المصالح الرأسمالية ولادة الرياضيات أو علم الميكانيكا؛ غير أن استخدام المعرفة العلمية استخداماً تقنياً قد تلقى في الغرب دفعا إلى الأمام بفعل الإيجابيات والمنافع الاقتصادية التي وفرها. على أن هذه المنافع المهمة جداً على صعيد ظروف السكان المعيشية هي من ثمار البنية الاجتماعية الخاصة بالغرب. لذلك نرى أنفسنا مدفوعين إلى التساؤل عن أي عناصر من هذه البنية الاجتماعية تنجم هذه المنافع، علماً بأن جميع هذه العوامل لا يمكن أن تكون على مستوى واحد من الأهمية.

إن البنية العقلانية الخاصة بالقانون والتنظيم الإداري هي، من غير شك، ذات أهمية. وتقضي رأسمالية المؤسسة العقلانية بضرورة التخمين المحسوب، لا في مجال تقنيات الإنتاج وحسب، بل في مجال القانون والإدارة ذات القواعد الشكلية. من غير هذه العناصر، تبقى الرأسماليات، المغامرة والمضاربة والتجارية، ممكنة من غير شك، وكذلك الأمر بشأن جميع الرأسماليات المحددة سياسياً، لكن من غير الممكن قيام مشروع عقلاني توجهه المبادرة الفردية، برأسمال ثابت وتقديرات دقيقة. وحده الغرب استخدم في نشاطه الاقتصادي، نظاماً تشريعياً وإدارة بلغت مستوى من الكمال القانوني والصوري. ولكن من أين أتى هذا القانون؟ يبين البحث أن المصالح الاقتصادية، إضافة إلى ظروف أخرى، قد ساهمت بالتأكيد، من جهتها، - ولم تكن الوحيدة ولا حتى الأساسية - في شق الطريق أمام فئة من المشرعين المتمرسين بالقانون والتنظيم الإداري. غير أن هذه المصالح لم تخلق القانون. كما ساهمت في ذلك قوى أخرى عديدة. لماذا لم تستطع المصالح الرأسمالية في الصين أو في الهند أن توجه التطور العلمي والفني والسياسي والاقتصادي نحو العقلنة التي هي من خصوصيات الغرب؟

لأن القضية، في كل الحالات المذكورة آنفاً، تتعلق بشكل من «العقلنة» النوعية الخاصة بالحضارة الغربية. والحقيقة أن هذه الكلمة يمكن أن تعني أشياء شديدة التنوع - سنكون مدفوعين إلى تأكيد ذلك في النقاش الذي سيلي. هناك، على سبيل المثال، «عقلنات» للتأمل الصوفي - أي كموقف يُعتبر - انطلاقاً من مجالات أخرى في الحياة - «لا عقلانياً» بامتياز - وذلك على غرار ما يوجد أيضاً من أشكال لعقلنة الحياة الاقتصادية والتكنيك، والبحث العلمي والتربية والاعداد

العسكري والقانون والتنظيم الإداري. وفي المقابل، فإن من الممكن عقلنة كل واحد من هذه المجالات تبعاً للغايات والأهداف الشديدة التنوع؛ وما هو «عقلاني»، من إحدى وجهات النظر هذه، يمكن أن يصبح «لا عقلانياً» من زاوية أخرى. من هنا تبرز أشكال متنوعة جداً من العقلنة في مختلف مجالات الحياة وتبعاً للحضارات. ومن الضروري، لتمييز هذه الاختلافات، من زاوية تاريخ الحضارات، تحديد المجالات المعقلنة واتجاهات عقلنتها. ينبغي إذن، في البداية، التعرف على السمات المميزة للعقلانية الغربية، والتعرف في داخلها، على أشكال العقلنة الحديثة، ومن ثم تفسير الأصل الذي تحدثت منه. كل محاولة للتفسير ضمن هذا المنحى ينبغي أن تسلم بأهمية الاقتصاد الأساسية، وأن تأخذ بالاعتبار، قبل كل شيء، الشروط الاقتصادية. غير أن العلاقات المتبادلة ينبغي أن تؤخذ، في الوقت ذاته، بعين الاعتبار. وذلك لأنه إذا كان تطور العقلانية الاقتصادية مرتبطاً، في شكل عام، بالتقنية وبالقانون العقلانيين، فهو مرتبط أيضاً بالقدرات وبالكفاءة التي يتمتع بها الإنسان ليتبنى بعض أشكال السلوك العقلاني العملي. حين واجه السلوك صعوبات روحانية اصطدم تطور الموقف الاقتصادي العقلاني، هو أيضاً، بمقاومات داخلية خطيرة. فقد كانت القوى السحرية والدينية، إضافة إلى أفكار أخلاقية مبنية على أساسها، تعد من بين العناصر الأكثر أهمية في تكوين السلوك. هذا ما ستحدث عنه في الدراسات المجموعة هنا.

وضعنا في البداية دراستين قديمتين جداً حاولنا فيهما تناول المسألة في وجه مهم هو، بشكل عام، من الأكثر صعوبة على الفهم: في أية صيغة تحدد بعض المعتقدات الدينية بروز «عقلية اقتصادية»، وبعبارة أخرى بروز «التقليد» المتعلق بشكل معين من الاقتصاد؟ وقد أخذنا مثلاً على ذلك العلاقات بين روح الحياة الاقتصادية الحديثة وبين الأخلاق العقلانية لدى البروتستانتية النسكية. ولن نهتم إذن إلا بوجه واحد من التسلسل السببي. أما الدراسات التالية التي تتناول الأخلاق الاقتصادية في الأديان الكبرى في العالم فهي تهدف إلى إقامة العلاقات بين الديانات الأكثر أهمية وبين الاقتصاد والطبقات الاجتماعية. وهي تسعى إلى تعقب هاتين العلاقتين السببيتين بمقدار ما يحتاج الأمر إلى ذلك، بغية إيجاد نقاط المقارنة مع التطور الغربي الذي سيكون، هو الآخر، موضع تحليل. في الحقيقة نأمل أن تكون هذه هي الطريقة الوحيدة في البحث عن سند سببي لهذه العناصر الأخلاقية - الاقتصادية من الدين الغربي، هذه العناصر التي بها يتعارض هذا الدين مع غيره من الأديان. غير أن هذه الدراسات - مهما تكن مهمة - لا تدعي أبداً أنها تشكل تحليلات متكاملة. فهي على العكس، تشدد عمداً على العناصر التي استناداً إليها تبقى كل حضارة من الحضارات المدروسة متعارضة مع تطور الحضارة الغربية. فهي إذن برمتها موجهة نحو القضايا التي تبدو - من وجهة النظر هذه - مهمة لفهم الحضارة الغربية. ولن نعدم وسيلة للوصول إلى الهدف الذي حددناه ولكن، تفادياً لأي سوء فهم، نشير هنا قصداً إلى الحدود التي تصل إليها فكرتنا.

من جهة أخرى، من المفيد هنا أن نحذر من الجهل بأصول هذه المعارف، حتى لا نبالغ في تقدير قيمة هذه الدراسات الراهنة. من البديهي أن العلماء المختصين بحضارات الصين والهند ومصر والساميين لن يجدوا أبداً شيئاً جديداً. ونأمل على الأقل في ألا يكتشفوا أي خطأ في الأشياء



الأساسية. فالمؤلف يجهل إلى حد أمكنه الوصول، مع أنه غير إحصائي، إلى مقارنة مثل هذا المثل الأعلى. ذلك أن من يعتمد على ترجمات، ومن عليه، في المقابل، أن يستخدم مراجع أدبية، وشهادات أثرية، ومستندات ووثائق من الأرشيفات، هو ملزم بالركون إلى اختصاصيين، لعدم قدرته على الحكم على القيمة الحقيقية لأعمال هي ذاتها موضع نقاش ونزاع. إن لمثل هذا المؤلف كل المبررات التي تجعله يبدو متواضعاً، وكذلك بالنسبة لكل الوثائق الموجودة، وهي موفورة بكثرة، فإن عدد ترجمات المصادر الحقيقية (وثائق وتسجيلات) التي بحوزتنا (عن الصين خاصة) هو أيضاً من بين الأكثر محدودية. من هنا الميزة العابرة المؤقتة جداً لأبحاثنا، لا سيما فيما يتعلق بآسيا<sup>(3)</sup>. على الاختصاصي أن يحكم الحكم النهائي. من ناحية أخرى لم تظهر هذه الدراسات إلا بسبب غياب أعمال الاختصاصيين حتى أيامنا (1920) التي تلبى الغاية التي وضعناها. لقد وضعت هذه الدراسات في حدود كبيرة، لكي «تخطى» باكراً، وهذا هو في النهاية مصير كل الأعمال العلمية. ولكن، مهما يكن هذا موضع نقد، فمن الصعب الاحتراس، في مثل هذه الأعمال، من أي تطاول على مجالات اختصاصيين آخرين. لنُقرّ إذن، منذ البداية، بأن نجاح الدراسات لن يكون كاملاً.

يعتقد أهل الأدب اليوم، إما بفعل الموضة، أو لأن حماسهم يخدعهم، أن بالإمكان تجاوز الاختصاصي والاستخفاف به أو اختزاله في دور المشارك الثانوي التابع «للعرف». إن كل العلوم تقريباً تدين بالفضل إلى المولعين بالفنون ذوي النظرات المهمة غالباً بل الثمينة. غير أنه إذا كان الولع أو الهواية أساس العلم فهو بصير أيضاً غايته. فما على الراغب بالفرجة إلا الذهاب إلى السينما.

من ناحية أخرى، ألا يتوفر له اليوم، في صيغة أدبية، عدد من المراجع التي تتناول حقل أبحاثنا<sup>(4)</sup>؟ لا شيء أكثر من هذا الموقف بُعداً عن الأبحاث الرصينة والتجريبية. وأضيف: من يرغب الاستماع إلى عظة فليذهب إلى جمعية سرية. إننا لن نقول هنا أدنى كلمة عن القيمة النسبية المتعلقة بالحضارات التي نقيم المقارنة فيما بينها. صحيح أن مصير البشرية لا يمكن إلا أن يرعب من يتأمل مرحلة منه؛ لكن من الأفضل الاحتفاظ للذات بالانتقادات الشخصية، كما يجري عند رؤية البحر أو قمة الجبل، إلا إذا شعرنا بإلهام، ودفعتنا الموهبة إلى أن نعبر عن ذلك عبر قطعة فنية أو عمل خلاق. وفي معظم الحالات الأخرى، فإن الاستفاضة في الخطابات «الحدسية» يحجب فقط العجز عن التمايز عن الموضوع، وهو عجز يستحق أن يحكم عليه بمثل ما يحكم على قصر النظر في المسائل المتعلقة بمواضيع تتعلق بالبشر.

إن عدم لجوئنا إلى ما وفرته لنا العراقة (الإتولوجيا) يحتاج إلى تبرير. فالحالة التي توصل إليها هذا العلم اليوم ينبغي أن تجعل استخدامه أمراً لا يستغنى عنه في كل دراسة معمقة - لا سيما فيما يتعلق بالديانات الآسيوية. وإذا حصرنا أنفسنا في ذلك، فليس ذلك ناجماً فحسب عن محدودية عمل الإنسان. هذا الاختصار أمر مباح لأن علينا قبل كل شيء أن نعالج هنا، بالضرورة، الأخلاق الدينية لدى الشرائع الاجتماعية التي كانت تلعب، كل في بلدها، دور «ناقل» الحضارة، ولأننا نهتم بالتأثير

الذي يمارسه سلوكها غير أن الصحيح جداً أن ميزتهم الخاصة أمر يستحيل فهمه إلا بالمقارنة مع الوقائع الاثنوغرافية. علينا إذن أن نسلّم، من غير موارد، بل أن نشير، إلى أن المسألة تتعلق هنا بصعوبة من شأنها أن تثير اعتراضات مبررة من قبل عالم الاثنولوجيا. بإمكاننا أن نأمل بتجاوز هذه الصعوبة عبر دراسة منهجية تتناول سوسيولوجيا الدين، غير أن مثل هذا المشروع من شأنه أن يذهب إلى ما وراء الفكرة المقترحة لهذه الدراسة. وبالنتيجة علينا أن نكتفي بمحاولة وضع نقاط المقارنة، ما أمكننا ذلك، مع ديانات الحضارة الغربية.

لننظر أخيراً إلى الجانب الأنثروبولوجي من المسألة. إننا ونحن نصادف دوماً، في الغرب وفي الغرب وحده، بعض أنماط محددة جداً من العقلنة - حتى في مجالات من السلوك التي تطورت (ظاهرياً) بمعزل عن بعضها البعض - نجد أنفسنا بشكل طبيعي مدفوعين إلى أن نرى في هذه الأنماط النتيجة الحاسمة لهذه الخصائص وراثية. يعترف الكاتب أنه يميل - وهذا أمر شخصي جداً وذاتي - إلى أن يولي أهمية كبيرة للوراثة البيولوجية. ولكنني، بموجب النتائج الملحوظة التي توصلت إليها الأنثروبولوجيا، لا أرى، حتى الآن، كيف يمكننا أن نقيم، إلا بشكل تقريبي، حدود تدخل الوراثة في عملية العقلنة هذه، وشكل هذا التدخل. فأحدى المهام التي ينبغي أن توضع على عاتق الأبحاث السوسيولوجية والتاريخية، يجب أن تتولى الكشف أولاً عن كل هذه التأثيرات وكل هذه التسلسلات المنطقية السببية التي يمكن تفسيرها بطريقة كافية على أنها ردود فعل على المصير وعلى المحيط. وبالتالي، ربما يصبح لنا الحق، إذا ما تطور علم الأعصاب وعلم النفس الخاصين بالاعراق وتجاوزا النتائج الحالية - وهما علما ن واعدان على أكثر من صعيد - أن نأمل بحلول مرضية لهذه المسألة<sup>(5)</sup>. بانتظار ذلك تبدو هذه الشروط غائبة، وتعني الدعوة فيها إلى ربط كل شيء بعامل الوراثة نوعاً من التخلي مسبقاً عن معارف ربما هي منذ الآن في متناولنا. لذلك تكمن المهمة في تحويل اتجاه المسألة نحو عوامل ما تزال مجهولة حتى اليوم.



## هوامش التمهيد

(1) إنني أبتعد هنا ، كما في نقاط عديدة أخرى ، عن معلمنا المحترم لوجو برنتانو Lujo Brentano (في مؤلفه المذكور لاحقاً) . بالدرجة الأولى فيما يتعلق بالمصطلح ، ولكن أيضاً حول مسائل فعلية . لا يبدو لي مناسباً وضع أشياء متباعدة كالسلب والكسب عن طريق الصناعة في خانة واحدة ؛ ولا تبني - في مواجهة أشكال أخرى من الكسب - الفكرة القائلة بأن أي ميل إلى تحصيل المال يكشف عن «الروح الرأسمالية» . في هذه الحالة الأخيرة ، يمكن التخلي عن أي تحديد للمفهوم ، وفي الحالة الأولى ، عن إمكانية إبراز الاختلاف النوعي بين الرأسمالية الغربية والأشكال الأخرى المغايرة . وكذلك في كتاب *La philosophie des Geldes* ، يدفع سيمل Simmel التماثل بعيداً ، على حساب تحليله الملموس للاقتصاد النقدي مع الرأسمالية . إن ما يعطي الرأسمالية تميزها النوعي ، في نظر Sombart ، لا سيما في كتابه الأساسي *Der moderne Kapitalismus* - على الأقل من وجهة نظري - ونعني بالتميز النوعي التنظيم العقلاني للعمل ، هو أمر ثانوي ، وهذا ما ينزع إلى إيلاء أهمية مفرطة لعوامل التطور التي مارست تأثيرها في كل مكان من العالم .

(2) من البديهي أنه ينبغي ألا يفهم هذا التعارض بالمعنى الحرفي . كانت الرأسمالية الموجهة نحو السياسة (خصوصاً جباية الضرائب) ، في المنطقة المتوسطة قديماً ، وعلى الأرجح في الهند والصين أيضاً ، سبباً في ولادة مشاريع ثابتة ، كان عليها ، على سبيل الاحتمال ، أن تمتلك محاسبة «عقلانية» لم تصل إلينا للأسف إلا في صورة مجتزأة جداً . في المقابل كانت رأسمالية المغامرين الموجهة سياسية متضامنة مع رأسمالية البرجوازيين العقلانية في تطور البنوك الحديثة ، بما فيها بنك انكلترا . إن مصدر الغالبية منها ناجم عن عمليات تجارية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياسة والحرب . كان مميزاً جداً ، على هذا الصعيد ، التعارض ، على سبيل المثال ، بين رجل مثل باترسون Baterson (مؤسس بنك انكلترا) - مثال «المؤسس» بالذات - وأعضاء مجلس إدارة بنك انكلترا الذين رسموا السياسة الثابتة للبنك ، والذين سموا باكراً «المرابين الطهرين في صالة Grocer's» . ولم تكن أقل دلالة الأخطاء الفادحة التي وقع فيها «أشد البنوك صلابه» خلال الأعمال الاحتياطية أو الوهمية في بحار الجنوب . ينبغي على هذا التناقض ، في الواقع أن يكون متميزاً جداً . إن كبار المؤسسين وكبار الممولين - يقال هذا بشكل عام ، مع وجود استثناءات - لم يكونوا أكثر من اليهود خلقاً للتنظيم العقلاني للعمل ؛ فاليهود هم أيضاً ممثلون نموذجيون للرأسمالية السياسية والمالية . لقد كان ذلك ، على العكس ، من عمل أناس من نوع آخر .

(3) ما بقي لدي من معلومات بالعبرية هو أيضاً غير كاف .

(4) لست في حاجة إلى أن أوضح أن ذلك لا ينطبق على محاولات كمحاولات جاسبرز Jaspers في كتابه «سيكولوجية النظرة إلى الحياة» ، أو كلاجس Klages في «علم الشخصية» ، ولا على دراسات من النوع ذاته مختلفة عن أبحاثي من نقطة انطلاقها . ولسنا هنا بصدد مناقشتها .

(5) أحد الأطباء النفسيين عبّر عن الرأي ذاته أمامي منذ عدة سنوات .

# الفصل الأول

## المسألة

### 1- الانتماء الديني والشرائح الاجتماعية

إذا عدنا إلى الاحصائيات المهنية في بلد تتعايش فيه طوائف دينية متعددة، نلاحظ بصورة متواترة<sup>(1)</sup> واقعاً أثار في العديد من المرات، نقاشات حادة في الصحف والكتابات الأدبية<sup>(2)</sup> والمؤتمرات الكاثوليكية في ألمانيا. يتلخص هذا الواقع في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية، وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة، وفوق ذلك، الملاك التقني والتجاري ذا الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة، هم، بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية<sup>(3)</sup>. ويصح ذلك حيث يتطابق الاختلاف في الدين مع اختلاف في الجنسية أو القومية، أي مع اختلاف في المستوى الثقافي كما هي الحال في شرقي ألمانيا بين الألمان والبولنديين، غير أن الظاهرة نفسها تبرز في أرقام الاحصائيات المهنية، في كل مكان تقريباً أطلقت يد الرأسمالية فيه، خلال مرحلة نهوضها، لتغير، حسب احتياجاتها، شرائح السكان وتحديد البنية المهنية في صفوفهم. ويزداد الأمر وضوحاً كلما كانت الرأسمالية أكثر حرية. من الممكن، بالعودة إلى الظروف التاريخية<sup>(4)</sup>، أن نفس تفسيراً جزئياً مساهمة البروتستانت القوية نسبياً في ملكية الرساميل<sup>(5)</sup> وفي الإدارة وفي ملاك كبار المستخدمين داخل المؤسسات الصناعية والتجارية الحديثة الكبيرة<sup>(6)</sup>. ترقى أسباب ذلك إلى ظروف بعيدة في الماضي، تجعل الانتماء الطائفي يظهر، لا كسبب أول في نشوء الشروط الاقتصادية، بل بالأحرى وفي حدود معينة، كنتيجة لها. إن المشاركة في هذه الوظائف الاقتصادية يفترض مسبقاً ملكية الرساميل من جهة، وتربية باهظة الكلفة من جهة ثانية، والاثنين معاً بشكل عام، وهذا مرتبط، في أيامنا أيضاً، ببعض البحبوحة المادية. إن عدداً كبيراً من مناطق الرايخ (ألمانيا) Reich، الأكثر غنى والأكثر تطوراً من الناحية الاقتصادية، والأوفر حظاً في أوضاعها أو في مصادر ثرواتها الطبيعية، وبشكل خاص غالبية المدن الغنية، قد اعتنقت البروتستانتية منذ القرن السادس عشر. وهي حقيقة كان لها وما يزال مضاعفات وضعت البروتستانتين في الظروف الفضلى من انضال من أجل الوجود الاقتصادي. إذ ذاك يطرح السؤال التاريخي: لماذا تظهر أكثر المناطق تقدماً من الناحية الاقتصادية مؤهلة، في الوقت ذاته، بشكل خاص لاحتضان عملية ثورية في الكنيسة؟ والجواب أقل بساطة بكثير مما يمكن الاعتقاد به.

لا شك أن التحرر من الاتجاه الاقتصادي التقليدي يبدو بمثابة أحد العوامل التي ينبغي أن تعزز الميل إلى التشكيك أيضاً بالتراث الديني، وإلى التمرد على السلطات التقليدية. غير أن من المهم أيضاً الإشارة إلى حقيقة منسية جداً، وهي أن الإصلاح الديني لا يعني بالتأكيد إزالة سيطرة



الكنيسة بشكل نهائي على شؤون الحياة، بل يعني بالأحرى استبدال القديمة منها بشكل جديد من السيطرة. وهي تعني استبدال سلطة متراخية إلى الحد الأقصى، وغير موجودة عملياً في حينه، بأخرى تخترق كل ميادين الحياة العامة والخاصة، فارضة تنظيمياً للسلوك شديد الوطأة والقساوة. إن سلطة الكنيسة الكاثوليكية «التي تعاقب الملحدين والمخالفين وتتسامح مع الأثمين»، وهو ما كان يصح في الماضي أكثر منه اليوم، مقبولة في أيامنا من جانب شعوب ذات ملامح اقتصادية حديثة جداً. وكذلك كانت مقبولة في نهاية القرن الخامس عشر في المناطق الأكثر غنى على سطح الكرة الأرضية، والأكثر تطوراً من الناحية الاقتصادية. أما السلطة الكلفنية\*، التي عانت فساداً خلال القرن السادس عشر في جنيف واسكتلندا، وخلال نهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر في إنكلترا الجديدة، ولبعض الوقت في إنكلترا، فهي تمثل، في نظرنا، أكثر أشكال الرقابة الكنسية على الفرد إزعاجاً بالمطلق. هذا ما كانت تشعر به شرائح واسعة من طبقة الاشراف في جنيف كما في هولندا وإنكلترا، وهو ما كان يشكو منه المصلحون الدينيون في هذه البلدان الأكثر تطوراً على الصعيد الاقتصادي، ولم تكن المسألة عائدة إلى قسوة السيطرة الدينية على الفرد، بل على العكس، إلى ضعفها الشديد. ولكن كيف حصل أن تحملت البلدان ذات الاقتصاد الأكثر تطوراً، ومعها طبقاتها الوسطى الناهضة، بصبر وجلد، طغيان الطهرية المتزمتة غير المعروفة حتى ذلك الوقت، بل كيف راحت، فوق ذلك، تدافع عنها وتناصرها باستبسال وبطولة؟ بطولة نادراً ما اختبرتها الطبقات البرجوازية كطبقات برجوازية، فيما مضى، ولم تختبرها أبداً بعد ذلك. كان ذلك «آخر بطولاتنا» كما قال كارليل Carlyle، ولم يكن قوله عبثاً.

ينبغي الإشارة في المقابل إلى أن إمساك البروتستانتين، في إطار الحياة الاقتصادية المعاصرة، بالنصيب الأكبر من الرأسمال، وبالحصة الأكبر من مراكز الإدارة قد يكون كما قلنا، ناجماً، جزئياً على الأقل، عن ثروة كبيرة جداً انتقلت إليهم بالوراثة. غير أن ظاهرات أخرى موجودة لا تخضع لمثل هذا التفسير. وليس بين أيدينا إلا بعض العينات. في البداية، إن الأهل، الذين ينتمون إلى الكاثوليكية، يختلفون كثيراً عن البروتستانتين في اختيار نوع التعليم الثانوي الذي يوجهون أولادهم إليه، وهو اختلاف بارز على العموم في بلاد الباد (غرب ألمانيا) Bade، والبايفير (غرب ألمانيا) Bavière وفي المجر. ينبغي، من غير أدنى شك، أن يوضع في خانة الفوارق من حيث الأهمية، بين الثروات الموروثة، واقع أن نسبة الطلاب الكاثوليك في المؤسسات التربوية الثانوية أدنى بكثير من نسبة السكان الكاثوليك قياساً على عدد السكان العام<sup>(7)</sup>. لكنه من غير الممكن أن نفسر بذات الطريقة لماذا كان حملة البكالوريا من الكاثوليك، الذين تخرجوا من مؤسسات تحضر للدراسات التقنية وللوظائف الصناعية والتجارية، (höheren Bürgerschulen, Realgymnosien, Realschulen وغيرها) لا يمثلون سوى نسبة متدنية جداً قياساً على نسبة الطلاب البروتستانت<sup>(8)</sup>، بينما تعتبر دراسة الآداب القديمة من قائمة أفضلياتهم. وبذلك يمكن، في

(\*) نسبة إلى J. Calvin أحد رواد الإصلاح الديني في أوروبا (م).

المقابل، أن تؤخذ بعين الاعتبار مشاركة الكاثوليك الضعيفة في مجالات الكسب المستند إلى الرأسمال.

ملاحظة أخرى أكثر وضوحاً ومثارةً للدهشة أيضاً، تتيح تفهم أسباب حيازة الكاثوليك على الحصة الصغرى على صعيد اليد العاملة المصنفة في قطاع الصناعة الكبرى الحديثة. فمن المعروف أن المصنع يختار، ضمن حدود كبيرة، اليد العاملة المصنفة من بين الأجيال الشابة من الصناع المهرة الذين يفسح لهم المجال للتدرب في المحترفات، ثم ينتزعهم بعد أن يحصلوا على الخبرة. إلا أن ذلك يصح على البروتستانت أكثر بكثير مما يصح على الكاثوليك. بعبارة أخرى، يعبر الشبان الكاثوليك عن ميل واضح إلى البقاء في المحترف، لكي يتحولوا فيه على الأغلب إلى «رئيس شغيلة»، في حين يبدو أمثالهم من البروتستانت، ضمن حدود أوسع نسبياً، مشدودين نحو المصانع حيث يشكلون الكادرات العليا من اليد العاملة المصنفة ويضطلعون بالمهام الإدارية<sup>(9)</sup>. ولا شك أن اختيار المشاغل، وبالتالي، القطاع الوظيفي، أمر تحدده خصوصيات الذهنية التي تتأثر بظروف الوسط المحيط، يعني هنا، نمط التربية التي يرسخها المناخ الديني لدى الطائفة أو الوسط العائلي.

والحقيقة أن المشاركة الضئيلة جداً من جانب الكاثوليك في المشاريع والصفقات والنشاطات، داخل ألمانيا الحديثة، هي من الغرابة بحيث أنها تتعارض مع ميل ملحوظ في كل زمان<sup>(10)</sup> واليوم أيضاً. ذلك أن الأقليات القومية أو الدينية، التي تجد نفسها في حالة «المسيطر عليها» من قبل جماعة مهيمنة، تنشأ عادة بقوة إلى النشاط الاقتصادي وذلك بفعل استبعادها، كرهاً أم طوعاً، عن المواقع السياسية النافذة. ويبحث أفرادها الموهوبون أكثر عما يشبع طموحاً لديهم لا يجد لنفسه المجال في خدمة الدولة. هذا ما حصل مع البولونيين في روسيا وبروسيا الشرقية، حيث كانوا في تقدم اقتصادي سريع، على عكس ما كانوا عليه في غاليسيا (Galicie)<sup>(\*)</sup> حيث كانوا هم الأسياد. كذلك كانت الحال، قبل ذلك بقليل في فرنسا أيام لويس الرابع عشر، مع البروتستانت الفرنسيين، ومع اللامنتاليين والصاحبيين<sup>(\*\*)</sup> البروتستانت في انكلترا، وأخيراً، وليس آخراً، مع اليهود منذ ألفي عام. إلا أننا لا نرى الظاهرة نفسها عند الكاثوليك في ألمانيا، على الأقل ليس هناك ما يؤكد ذلك. حتى في الماضي، في الفترة التي كان الكاثوليك فيها مضطهدين، أو مقبولين فحسب في هولندا وانكلترا، لم يقدموا، على عكس البروتستانت، صورة عن تطور اقتصادي ملحوظ. فوق ذلك، لقد أبدى البروتستانت (ومن بينهم بعض التيارات التي ستتحدث عنها لاحقاً) استعداداً خاصاً للعقلانية الاقتصادية، سواء كانوا يشكلون شريحة مهيمنة أم شريحة مسيطراً عليها، الأغلبية أم الأقلية؛ وهذا ما لم يكن ملحوظاً عند الكاثوليك في هذه أو تلك من الحالات<sup>(11)</sup>. بالنتيجة ينبغي ألا يُبحث عن مبدأ الاختلاف في المواقف هذه فقط في الظروف

(\*) منطقة تقع في أوروبا الوسطى موزعة منذ عام 1945 بين بولونيا والاتحاد السوفياتي.  
(\*\*) فرق بروتستانتية خاصة (م).



الخارجية المؤقتة تاريخياً واجتماعياً، بل أيضاً في الطبيعة الملازمة للمعتقدات الدينية ومن داخلها<sup>(12)</sup>.

من المهم إذن أن نعرف ماهية العناصر الخاصة في هذه الديانات التي أثرت وتؤثر أيضاً جزئياً بالمعنى الذي أوردناه. إنطلاقاً من تحليلات سطحية ومن بعض «إنطباعات» معاصرة، يمكن محاولة التعبير عن هذا التعارض على الشكل التالي: إن الكاثوليكية هي أكثر «انفصالاً عن العالم»، وأن عناصرها النسكية تنم عن مثال أعلى أكثر سمواً، وأن عليها أن ترسخ في أذهان معتنقيها لا مبالاة كبيرة إزاء ثروات هذا العالم. مثل هذا التفسير يتطابق، في الحقيقة، مع الترسمة الشائعة في الرأي الشعبي. ويعود البروتستانت إلى هذه الطريقة في الرؤيا لكي ينتقدوا أنماط المثال النسكي (الحقيقة أو المفترضة) في السلوك الكاثوليكي؛ أما الكاثوليك، من جانبهم، فهم يجيبون برفض «المادية» باعتبارها نتيجة من نتائج علمنة وتزمين<sup>(\*)</sup> كل مجالات الحياة على يد البروتستانتية. هذا وقد اعتقد كاتب حديث أنه تمكن من أن يصوغ التعارض البارز بين الطائفتين في علاقاتهما بالحياة الاقتصادية بهذه العبارات:

«الكاثوليكي هو أكثر هدوءاً، وهو مسكون بعطش قليل جداً إلى الكسب، ويفضل حياة آمنة، ولومع مدخول ضئيل جداً، على حياة إثارة ومجازفة ولو وفرت له الثروات والأمجاد. تقول الحكمة الشعبية بطرافة: إما أن تأكل جيداً أو أن تنام جيداً. في الحالة الحاضرة يفضل البروتستاني أن يأكل جيداً بينما يفضل الكاثوليكي أن ينام هادئاً»<sup>(13)</sup>.

يمكن، في الواقع، أن تكون هذه الرغبة بالأكل الجيد صحيحة، في ألمانيا اليوم، على الأقل جزئياً، لدى الكثيرين من البروتستانت الذين لا يحملون من البروتستانتية إلا اسمها. غير أن المسألة كانت مختلفة جداً في الماضي. فمن المعروف أن ما كان يميز الطهرين<sup>(\*\*)</sup> البروتستانت في إنكلترا وهولندا وأمريكا وهذا ما سنراه لاحقاً، هو، على العكس تماماً، لذة العيش؛ وهذا، في نظرنا، إحدى سماتهم الأكثر أهمية. فضلاً عن ذلك، فإن البروتستانتية الفرنسية احتفظت طويلاً وما تزال في حدود ما، بالسمة التي ميزت الكنيسة الكلفانية عامة وفي كل مكان، لا سيما كنائس «تحت الصليب» خلال الحروب الدينية. غير أنه - أو ربما لهذا السبب (سنطرح المسألة لاحقاً) - من المعروف جيداً أن البروتستانتية كانت أحد أهم العوامل في تطور الرأسمالية والصناعة في فرنسا، وقد استمرت كذلك طالما بقي الاضطهاد يتيح لها ذلك. وإذا كان المقصود «بالانفصال عن العالم» هو جدية المصالح الدينية ورجحانها في المسلك الحياتي في كل زمان، فإن الكلفانيين الفرنسيين كانوا، وما يزالون، على مستوى من الانفصال عن العالم يساوي مستوى انفصال كاثوليكي شمالي ألمانيا الذين يفوقون، في ارتباطهم العميق بالكاثوليكية، أي شعب آخر في العالم. هؤلاء وأولئك يتميزون بالطريقة ذاتها عن الأحزاب الدينية المسيطرة في بلد كل منهم.

(\*) أي جعلها من شئون حياة الإنسان اليومية وليس من شئون اللاهوت (م).

(\*\*) فرق بروتستانتية (م).

الكاثوليك الفرنسيون، في شرائحهم الدنيا، أناس مهتمون جيداً بمباهج الحياة، بينما هم، في شرائحهم العليا، معادون للدين. تماماً مثلما هم البروتستانت الألمان اليوم وقد امتصتهم الحياة الاقتصادية في هذه الحياة الدنيا، بينما هم، داخل الشرائح العليا، لا مبالون إزاء موضوع الدين<sup>(14)</sup>. هذه الأفكار الغامضة، حول الانفصال المزعوم عن العالم لدى الكاثوليكية، وعن مباهج العيش المادية المزعومة لدى البروتستانتية، لا تؤول إلى شيء، ولا توصلنا إلى هدفنا. ولا تتوافق في صيغتها العامة هذه إلا بشكل جزئي جداً مع الوقائع الحاضرة، في حين أنها لا تتوافق مطلقاً فيما يخص الماضي. ولكن، إذا ما أردنا استخدامها، رغم كل شيء، فينبغي علينا، إضافة إلى الاستنتاجات السابقة، أن نحسب حساب ملاحظات أخرى تفرض نفسها مباشرة، وتوحي بأن كل هذا التعارض بين الانفصال عن العالم، والتقشف، والتقية الدينية من جهة، وبين المشاركة الرأسمالية في حياة المشاريع والأعمال من جهة أخرى، يمكن أن يعود ببساطة إلى قرابة عميقة.

بادئ ذي بدء، هذه بعض المظاهر الخارجية: من الملاحظ، بالتأكيد، أن عدداً من ممثلي الأشكال الأكثر استبطانية في التقية المسيحية، وتحديدًا بين أتباع التقوية، يتحدرون من أوساط التجار. يمكن التفكير إذن بنوع من ردة الفعل، ذات طبيعة حساسة لا تتكيف مع الحياة التجارية، ضد عبادة تجميع الثروات. وضمن هذا المعنى أدرج سان فرنسوا داسيز S. F. d'Assise وكثير من التقويين تأويلهم الذاتي لتحويلهم الديني. وكذلك هي الحال، مع الظاهرة المدهشة، التي تؤكدنا حالة سيسيل رود Cecil Rhodes، ظاهرة كبار المقاولين الرأسماليين الذين نشأوا في بيوت الكهنة، ويمكن تفسيرها على أنها ردة فعل ضد نشأتهم النسكية التقشفية. إلا أن هذا التأويل لا يكفي لتفسير ظاهرة أخرى، وهي إمكانية أن نجد في صفوف الجماعات نفسها تفسيراً للأعمال والمشاريع على غاية من الحدة، ممزوجاً بتقية تخترق الحياة كلها وتسيطر عليها. وليست هذه الحالات معزولة، بل هي على العكس سمات مميزة في الكنائس والملل الأكثر أهمية في تاريخ البروتستانتية. إن الكلفانية بشكل خاص، وأينما ظهرت تمثل دوماً هذا المزيج<sup>(15)</sup>. ولم تكن أبداً مرتبطة، في مرحلة انتشار الإصلاح الديني، بطبقة محددة، مما يبرز، أكثر فأكثر، حقيقة أن الرهبان والصناعيين (التجار والحرفيين) داخل الكنيسة البروتستانتية في فرنسا كانوا كثرة منذ البداية وما يزالون، وذلك رغم أشكال الاضطهاد<sup>(16)</sup>. الأسبانيون، هم أيضاً، يعرفون أن الكلفانية في البلاد المنخفضة (هولندا) «تثير روح المشاريع»، وهذا ما يتوافق تماماً مع الرأي الذي عبر عنه وليم بيتي W. Petty في نقاشه أسباب انطلاقة الرأسمالية في البلاد المنخفضة. يصف غوتان Gothein<sup>(17)</sup> عن حق الشتات الكلفاني بأنه «منجم الاقتصاد الرأسمالي»<sup>(18)</sup>. إن رقي الحالة الاقتصادية في كل من فرنسا وهولندا، نقطتي انطلاق هذا الشتات، والدور الملحوظ الذي يلعبه المنفى أيضاً، والشعور بالافتقار من الروابط والعلاقات التقليدية<sup>(19)</sup>، كل ذلك يمكن أن يعتبر، في هذه الحالة، بمثابة عوامل حاسمة. غير أن الحالة كانت هي ذاتها في فرنسا في القرن السابع عشر، هذا ما تشهد عليه الجهود التي بذلها كولبير Colbert. كانت النمسا بالذات، ونكتفي بذكر هذا المثل، تستقبل موسمياً صناعيين بروتستانتين.



ومع ذلك يبدو أن الملل البروتستانتية لم تكن في هذا المضمار على نفس المستوى. كما يبدو أن الكلفانية هي التي مارست التأثير الأقوى حتى في ألمانيا: لقد لعبت الطائفة التي خضعت للإصلاح الديني أكثر من غيرها، أكثر من اللوثرية مثلاً<sup>(20)</sup>، دوراً مساعداً في تطوير روح الرأسمالية في ووبرتال Wuppertal<sup>(\*)</sup> وخارجها. هذا ما تحاول إثباته الدراسة المقارنة لهاتين الطائفتين بمجملهما وفي نقاط محددة، لا سيما في ووبرتال<sup>(21)</sup> وقد شدد باكل Buckle، في اسكتلندا، وكيتر Keats، من بين الشعراء، على هذه الروابط ذاتها<sup>(22)</sup>. هناك ما يدهش أكثر، ويكفي التذكير به: هناك ملل غدا انفصالها عن العالم مأثوراً مثل الثروة، على غرار الصاحبين والمونيين monnenites<sup>(\*\*)</sup>، وهي تجمع بين حياة ينظمها الدين وبين مضمون للأعمال والمشاريع شديد الحدة. وقد لعب أولئك، في أميركا، الدور الذي لعبه هؤلاء في ألمانيا والبلاد المنخفضة. إن موقف فريدريك غليوم الأول F. Guillaume نفسه، في بروسيا الشرقية، الذي اعتبر ال monnenites، رغم رفضهم المطلق الانخراط في الخدمة العسكرية، جماعة لا يستغنى عنها في الصناعة، إن ذلك الموقف يشهد، بشكل قاطع، على هذه الحقائق العديدة القائمة، وذلك رغم ما كان يتميز به الملك من صفات تثير الإعجاب. وأخيراً من المعروف أن المزج بين التقوى القوية والمعنى المعمق للأعمال والمشاريع هو واحد من خصائص التقوية<sup>(23)</sup>.

يكفي أن نذكر منطقتي Calw و Rhénanie، فمن غير المجدي تكريس الأمثلة في هذا العرض الأولي. فمن سبق أن استعرضناهم، وإن بأعداد قليلة، يبينون كم أن «روح العمل» و«روح التقدم» (أو أي تعبير آخر عن ذلك) التي يُنزع إلى ربط يقظتها بالبروتستانتية، ينبغي ألا تفهم على أنها «مباهج العيش»، أو بمعنى ما، مرتبطة بفلسفة الأنوار، كما يغلب الميل إلى ذلك هذه الأيام. إن البروتستانتية القديمة عند Luther، Calvin، و Voet و Knox لا تمت بصلة أبداً إلى ما نسميه اليوم «تقدماً». فقد كانت العدو المعلن لكل أنماط العيش التي ليس في وسع أكثر المتعصبين تزمناً وتطرفاً العزوف عنها. وإذا كان ينبغي البحث عن قرابة معينة بين بعض تجليات الروح البروتستانتية القديمة وبين الحضارة الرأسمالية الحديثة، فمن الضروري، طوعاً أم كرهاً، البحث عن ذلك في السمات الدينية الصرفة، لا في «مباهج العيش» المزعومة تلك، المادية نوعاً ما أو المعادية لنزعة الزهد والتقشف. يقول مونتسكيو في كتابه روح القوانين بصدد الإنكليز: (XX, Esprit des lois, VII).

«إنهم أكثر شعوب العالم قدرة على الانتفاع من أشياءهم الثلاثة الكبرى: الدين، التجارة والحرية». أفلا يرتبط تفوقهم التجاري، واعتمادهم مؤسسات سياسية حرة بمأثرة التقوى هذه، التي يعزوها مونتسكيو إليهم؟

حين تطرح القضية بهذا الشكل، يحضر في الذهن عدد كبير من العلاقات الممكنة التي

(\*) منطقة من ألمانيا الغربية.

(\*\*) فرق بروتستانتية.

تلمح بشكل غامض. تكمن مهمتنا منذ الآن في أن نصوغ، بأكثر ما يمكن من الوضوح، ما لا نزال نراه بشكل مشوش في ظل التنوع الهائل الذي يميز الظواهر التاريخية. ويغدو ضرورياً إذاً التخلي عن مجال التمثيلات الغامضة والعامة، بهدف محاولة اختراق السمات الخاصة، والاختلافات بين هذه العوالم الدينية، التي تشكل تاريخياً مختلف تجليات المسيحية.

بدت بعض الملاحظات، فيما مضى، أمراً لا يستغنى عنه: إن فيما يتعلق أولاً بما يميز الظاهرة التي نبحث عن تفسير تاريخي لها، أم، بالتالي، بالمعنى الذي يبدو فيه التفسير ممكناً في حدود أبحاثنا.

## هوامش الفصل الأول / القسم رقم 1

- (1) تجد الاستثناءات تفسيرها، لا على الدوام، بل عادة، في كون الدين، الذي تمارسه اليد العاملة في صناعة معينة، مرتبطاً بالدرجة الأولى بالخصائص الدينية في المنطقة التي تقع فيها هذه الصناعة، أو في المنطقة التي تجندت فيها هذه اليد العاملة. من النظرة الأولى، يبدو أن هذا الواقع غالباً ما يغير الانطباع الذي تتركه الإحصاءات في ريناني Rhénanie على سبيل المثال. في المقابل ليست الأرقام ذات دلالة إلا إذا كانت الاختصاصات الفردية شديدة التمايز. وإلا فإنه يخشى تصنيف «الأسياذ الحرفيين» وكبار الصناعيين في عداد «مالكي المؤسسات». تمكنت الرأسمالية المتقدمة خصوصاً من أن تتحرر، في أيامنا، من التأثير الذي كان يمارسه الدين في الماضي، وبالتحديد في صفوف الشرائح الدنيا غير المتخصصة من اليد العاملة. انظر لاحقاً.
- (2) انظر على سبيل المثال: شل Schell، الكاثوليكية كأساس للتقدم، 1897، ص 31، وكذلك كتاب Hertling، الكاثوليكية والعلم، 1899، ص 58.
- (3) درس أحد تلامذتي بعمق المعطيات الإحصائية شديدة التفصيل التي نمتلكها اليوم حول هذا الموضوع: الإحصاء الطائفي في بلاد باد Bade. انظر: مقالة مارتن أوفنباشر M. Offenbacher: «الاعتراف الكنسي والطبقات الاجتماعية» من كتاب: الاتجاهات الاقتصادية للكاتوليك والبروتستانت في مدينة بادن، 1901، م 4، ق 5 من مجلة: الدراسات الاقتصادية لمدرسة بادن التاريخية. كل الوقائع والأرقام المستخدمة هنا كأمثلة مأخوذة من هذه الدراسة.
- (4) حول هذه النقطة يعطي الفصلان الأولان من أوفنباشر عرضاً مفصلاً.
- (5) على سبيل المثال، في باد، عام 1895، كان الرأسمال الخاضع للضريبة على الدخل، لكل 1000 بروتستانت، 954060 ماركاً، بينما هو لكل 1000 كاثوليكي 589000 ماركاً. صحيح أن اليهود يأتون في الطليعة مع 4000000 مارك لكل ألف يهودي (التفاصيل عند أوفنباشر - م ن، ص 21).
- (6) انظر حول هذه النقطة النقاش كاملاً في دراسة أوفنباشر.
- (7) كان سكان منطقة باد عام 1895 يتألفون من: 37% من البروتستانت، 61,3% من الكاثوليك، 1,5% من اليهود. وكان الطلاب الذين يتابعون دراستهم يتوزعون خلال المرحلة الممتدة من 1885 حتى 1894 كما يلي (أوفنباشر، م. ن.، ص 16):



بروتستانت	كاثوليك	يهود
%	%	%
43	46	9,5
60	31	9
49	40	11
51	37	12
51	38	10
الثانوية العامة		
الثانوية العلمية		
الثانوية العلمية العليا		
الثانوية الأهلية العليا		
المعدل		

الظاهرة ذاتها كانت موجودة في بروسيا وبافاريا، في ووتنبورغ، في الألزاس واللورين وفي المجر (انظر الأرقام عند أوفنباشر، ص 18). تستغني الثانوية العامة عن التعليم الكلاسيكي، وتحذف اللغة اليونانية. وتتقلص اللاتينية في الثانوية العلمية لحساب اللغات الحية والرياضيات والعلوم. الثانوية العلمية العليا والأهلية العليا متشابهتان في المواضيع الأخيرة. فيما عدا أن اللاتينية مستبدلة فيها باللغات الحية. (8) إن الأرقام المشار إليها في الملاحظة السابقة تبين أن ارتياد المدارس الثانوية من قبل الكاثوليك كان أدنى بنسبة الثلث من حجم السكان الكاثوليك قياساً على عدد السكان العام. ولا يتخطون معدلهم، إلا قليلاً وذلك في الثانويات الكلاسيكية (تحضيراً، ولا شك، لدراسات لاهوتية). وأخذاً بالاعتبار التطورات اللاحقة، نلاحظ أيضاً الواقع الملفت للنظر، وهو أن عدد اللوثريين الذين يرتادون المدارس الثانوية يمثل معدلاً أكثر ارتفاعاً أيضاً. (انظر أوفنباشر، م. ن. ملاحظة رقم 9).

(9) للأدلة انظر: أوفنباشر، م. ن. ص 54 والجداول في نهاية دراسته.

(10) واضحة بشكل خاص في المقاطع المأخوذة من مؤلفات Sir William Petty المذكورة لاحقاً.

(11) إن مثال إيرلندا الذي يقدمه Petty يجد تفسيره في التعليل البسيط القائل بأن الشريحة البروتستانتية في هذا البلد كانت مؤلفة من المالكين التغيبيين. من الخطأ الإلحاح على هذا المثل كما تبين ذلك حالة الأيرلنديين. إن العلاقات النموذجية في إيرلندا بين الرأسمالية والبروتستانتية هي العلاقات ذاتها المعروفة خارج إيرلندا. حول الأيرلنديين انظر: C.A. Hanna الاسكتلنديون - الأيرلنديون (New York, Dutman. 2 Vol.).

(12) لا يلغي ذلك أن هذه الظروف لم يكن لها نتائج بالغة الأهمية. وكما سببنا لاحقاً، إن حقيقة كون عدد من الطوائف البروتستانتية كانت من الأقليات الصغيرة، إذن متجانسة - كما هي مثلاً حال الكالفينيين في الرهينة المنضبطة خارج جنيف وانكلترا الجديدة - حتى حيث كانوا يمسكون زمام السلطة السياسية، هذه الحقيقة كانت ذات أهمية بالغة بالنسبة لتطور نمط حياتهم، بما في ذلك طريقتهم في المشاركة في الحياة الاقتصادية. ليس لموضوعنا أية علاقة مع الظاهرة العالمية التي تمثلها هجرات المبعدين من كل الديانات على الكرة الأرضية: الهنديين، العرب، الصينيين، السوريين، الفينيقيين، اليونانيين، اللومبارديين، الذين أصبحوا بذلك عناصر نشر المعرفة التجارية انطلاقاً من المناطق ذات المستوى الرفيع من التطور. يقدم برنتانو، في البحث الذي تستند إليه: «بدايات الرأسمالية الحديثة» كدليل على ذلك، حالة عائلته الخاصة. غير أن مصرفيين ذوي أصل أجنبي كانوا قد لعبوا، في كل زمان ومكان، دور المبادرين في المجال التجاري. وهم لا يشكلون أبداً ظاهرة خاصة بالرأسمالية الحديثة، وكان ينظر إليهم، من قبل البروتستانت، بنوع من عدم الثقة الأخلاقية (انظر لاحقاً). الأمر مختلف تماماً بالنسبة للعائلات البروتستانتية كالمورالت Muralt والبستالوزي Pestalozzi إلخ، التي هاجرت من

لوكارنو إلى زوريخ، حيث طابقوا باكراً جداً بينهم وبين التطور الحديث نوعياً (الصناعي) للرأسمالية.

(13) أوفنباشر، م. ن. ص 58.

(14) سنجد ملاحظات ذات دقة نادرة حول المميزات الخاصة لمختلف الديانات في ألمانيا وفي فرنسا، وتداخل هذه الاختلافات مع العناصر الثقافية الأخرى في الصراع بين القوميات في الألزاس، وذلك في لدراسة الرائعة لويتش W. Wittich: «الثقافة الألمانية والفرنسية في منطقة الألزاس»، 1900.

(15) هذه القضية ليست صحيحة إلا إذا توفرت إمكانية للتطور الرأسمالي في المنطقة المعنية.

(16) حول هذه النقطة انظر مثلاً: Dupin de Saint - André، كنيسة Tours القديمة التي خضعت للإصلاح. أعضاء الكنيسة، نشرة جمعية تاريخ البروتستانتية. مجلد IV، ص 10. هنا أيضاً يمكن أن نجد كدافع راجح - خصوصاً من وجهة النظر الكاثوليكية - الرغبة في التحرر من الرقابة الرهبانية أو الأكليروسية. لم يكن حكم الخصوم المعاصرين (بمن فيهم Rabelais) وحده الذي يتعارض معه، بل أيضاً، وعلى سبيل المثال، وساوس الضمير التي ظهرت في السينودس القومي للبروتستانتين الفرنسيين (الهوغونوتيين) (مثلاً، السينودس الأول: السينودس القومي للكنيسة الفرنسية المصلحة، ص 18): هل يمكن أن يصبح المصرفي أحد قدامى الكنيسة؟ وبموجب وضع كالفان الواضح استمرت النقاشات حية في الجمعيات ذاتها لمعرفة ما إذا كان القرض على أساس الفائدة أمراً مباحاً. يجد ذلك تفسيره جزئياً في العدد الكبير من الأشخاص الذين تهمهم هذه المسألة بشكل مباشر، غير أن الرغبة في مزاولة الاقتراض بالربا من غير ما حاجة إلى الاعتراف لم تكن وحدها الحاسمة. ذلك صحيح أيضاً بالنسبة لهولندا. (أنظر أعلاه) - لنقل ذلك عمداً: إن الحظر الكنسي للإقراض بالفائدة ليس له أي دور في هذه الدراسة الحالية.

(17) Gothein، التاريخ الاقتصادي لمنطقة الغابة السوداء. مجلد I، ص 67.

(18) ارتباطاً بكل هذا، أنظر الملاحظات السريعة التي وضعها سومبارت في «الرأسمالية الحديثة». ط. I، ص 380. وفيما بعد، في الأجزاء الضعيفة، من وجهة نظري، من عمله الكبير لدراسة «البرجوازي»، راح هذا المؤلف، تحت تأثير دراسة وضعها Keller، يدافع عن مقولة لا يمكن الدفاع عنها، وهي التي سأعود إليها في الوقت المناسب. بمقتضى ملاحظات عديدة رائعة (إنما غير جديدة من هذه الزاوية) تسقط دراسة Keller: «المؤسسات والقطاعات الاقتصادية» إلى ما هو دون المستوى المتوسط للمؤلفات الحديثة حول الدفاع عن العقيدة الكاثوليكية.

(19) لقد أثبت بلا شك واقع أن مجرد تغيير مكان الإقامة هو وسيلة فعالة لتكثيف مردودية العمل (أنظر ملاحظة رقم 13 آنفاً). إن الفتاة البولونية ذاتها، التي لم تعيش في ظروف تمكنها من كسب حياتها، وتنقذها من حملها الاعتيادي، قد تغيرت طبيعتها، وبدت قادرة على عمل غير محدود، عندما عملت في الخارج كعامله موسمية. هذا يصح أيضاً على العمال الإيطاليين المهاجرين. ليست المسألة هنا فقط مسألة التأثير التربوي الذي يمارسه وسط جديد أكثر إثارة - وسط يلعب دوراً من غير شك، إنما غير حاسم - لأن هذه الظاهرة تحدث أيضاً حين تكون المهام هي بالضبط ذات المهام المطلوبة في البلد الأم (في الزراعة مثلاً). فوق ذلك، فالإقامة في معسكرات للعمال الموسمين، إلخ، تؤدي غالباً إلى انخفاض مؤقت في مستوى المعيشة لا يكون مقبولاً في البلد الأم. إن مجرد العمل في محيط



مختلف عن المحيط المألوف، يكسر التقليد، وهذا هو الجانب «التربوي». إن التطور الاقتصادي في أميركا هو نتيجة مثل هذه العوامل، فهل من الضروري الإشارة إلى ذلك؟ في الزمن الغابر ارتدى نفي اليهود إلى بابل مدلولاً مماثلاً، والأمر ذاته يصح أيضاً بالنسبة إلى المجوس. ولكن فيما يتعلق بالبروتستانتين، يشكل تأثير المعتقدات الدينية عاملاً مستقلاً طبعاً. يمكن التأكد من ذلك من خلال الفروقات الأكيدة التي تعارض بين الطهرين في مستعمرات انكلترا الجديدة، في سلوكهم الاقتصادي، وبين كاثوليكيي الميريلاند، وأنكليكانيي الجنوب، ومنطقة رود ايسلاند المتعددة الطوائف. الأمر ذاته يصح تقريباً في الهند مع اليانين.

(20) نعرف أنها في معظم أشكالها كالفينية معتدلة.

(21) في هامبورغ، المدينة اللوثرية بكاملها تقريباً، إن الثروة الوحيدة التي تعود إلى القرن السابع عشر هي ثروة عائلة لوثرية معروفة جداً. (وصلني هذا الخبر بطريقة ودية عن طريق معلمي A. Wahl).

(22) إن تأكيد هذه العلاقة هنا لا يشكل أمراً جديداً. فقد عالجه من قبل كل من Laveleye، و Matthew. A. وغيرهما. الجديد، على العكس، هو وضعها موضع الشك بصفتها غير مبررة أبداً، وهذا ما سنشرحه.

(23) هذا لا يلغي كون التقوية الرسمية - كغيرها من الميول الدينية - ستعارض فيما بعد، من وجهة نظر أبوية، مع بعض أشكال تقدمية من الرأسمالية، على سبيل المثال، الانتقال من الصناعة المنزلية إلى نظام المانوفاكture. ينبغي أن نميز، بالضبط، المثال الأعلى الديني الذي تجهد نزعة دينية لكي تبلغه، عن التأثير الفعلي الذي تمارسه على سلوك المؤمنين، هذا ما سنراه غالباً أيضاً في تنمة النقاش. قدّمت بعض الأمثلة، من معمل في وستفاليا، عن تكيّف التقويين النوعي مع العمل الصناعي، وذلك في مقالة لي: «سيكولوجية أصحاب المهن» في مجلة أرشيف العلوم الاجتماعية والسياسية الاجتماعية، مجلد، 28.

## 2- «روح» الرأسمالية

إخترنا لهذه الدراسة عنواناً دعياً إلى حد ما هو «روح الرأسمالية». ماذا ينبغي أن نعني بذلك؟ إذا حاولنا أن نقدم بعض التعريفات نصطدم ببعض العقبات التي تعود إلى طبيعة هذا النوع من الأبحاث.

إذا كانت المسألة مسألة وجود شيء يمكن أن تنطبق عليه هذه العبارة بشكل عاقل، فليس المقصود سوى «فرد تاريخي»، أي مركب من العلاقات الحاضرة في الحقيقة التاريخية والتي نجم عنها، بمقتضى مدلولها الثقافي، في كل مفهوم.

إن مثل هذا المفهوم التاريخي لا يمكن تحديده تبعاً للصيغة المنطقية *genus proximum defferentia specifica* لأنه يعود إلى ظاهرة مهمة ينظر إليها في صفتها الفردية الخاصة. غير أن هذا المفهوم ينبغي أن يتكون تدريجياً، إنطلاقاً من عناصره الفريدة، التي ينبغي استخراجها، واحدة فواحدة، من الحقيقة التاريخية. لذلك لا يمكن إيجاد المفهوم منذ البداية بل يتم ذلك في نهاية البحث. بعبارة أخرى، خلال مجرى النقاش فقط تبرز النتيجة الأساسية لهذا النقاش، وهي أفضل الطرق في صياغة ما نعنيه «بروح» الرأسمالية؛ الأفضل يعني الشكل الأكثر ملاءمة حسب وجهات النظر التي تهمنا هنا. بالإضافة إلى ذلك، إن وجهات النظر هذه (سنعيد الكلام عنها) التي يمكن، بالاستناد إليها، تحليل الظواهر التاريخية التي ندرسها، ليست، بأي شكل من الأشكال، الوحيدة الممكنة. وهكذا فإن كل ظاهرة تاريخية تأتي وجهات نظر أخرى فتبرز سمات أخرى وتصورها على أنها «أساسية». يترتب على ذلك أنه ليس من الضروري أبداً، في ظل مفهوم «روح» الرأسمالية، أن يفهم فقط ما يعرض علينا كأساسي في موضوع أبحاثنا. ينتج ذلك عن طبيعة مفهمة الظواهر التاريخية، المفهمة التي لا تركب، عند النهايات المنهجية، الحقيقة ضمن أصناف مجردة، بل تجهد لكي تمفصلها في علاقات تكوينية ملموسة ترتدي بالضرورة صفة فردية خاصة.

هكذا إذن، إذا نجحنا في تحديد الموضوع الذي نحاول تحليله وشرحه تاريخياً، فلن يكون المقصود تعريفاً مفهوماً، بل، على الأقل في البداية، بيان وضعي مؤقت لما نعنيه بروح الرأسمالية. مثل هذا البيان هو، في الحقيقة، مسألة لا غنى عنها للتفاهم بوضوح حول غرض دراستنا. لهذا السبب سنرجع إلى إحدى وثائق هذه «الروح»، في صفاتها الكلاسيكية تقريباً، التي تتضمن ما نبحث عنه هنا. فهي توفر، في الوقت ذاته، مزية كونها بعيدة عن أية علاقة مباشرة بالدين، وبالتالي، بما يعني موضوعنا، بعيدة عن كل الأفكار المسبقة:

«تذكر أن الوقت هو المال. إن الذي يستطيع تحصيل عشرة شلنات في اليوم من عمله، ويختار أن يتنزه أو أن يبقى في غرفته مبدداً نصف الوقت، مع أن ملذاته وكسله لا تكلفه أكثر من ستة بنسات، عليه أن يعرف أن كسله ليس الخسارة الوحيدة، ذلك أنه يكون قد أنفق، فوق ذلك، بل بالأحرى رمى خمسة شلنات أخرى».

«تذكر أن الائتمان هو المال. إذا ما ترك أحدهم ماله بين يدي، بعد انتهاء أجله، فإنه يكون قد



قدم لي فائدة المبلغ أو كل ما يمكن أن أستفيده من ماله خلال هذا الوقت، وهو ما يمكن أن يصل إلى مبلغ كبير إذا تصرف بكثير من الاعتمادات واستخدمتها بشكل مفيد. تذكر أن المال هو بطبيعته مولد وكثير الإنتاج. المال يولد المال و«أولاده» يمكن أن تلد أكثر وهكذا دواليك. إذا اشتغلت الخمسة شلنات تصبح ستة، ثم تتحول إلى سبعة شلنات وثلاثة بنسات إلخ. ، إلى أن تصبح مئة ليرة استرلينية. وكلما زاد عدد الشلنات كلما زاد الانتاج والكسب أكثر فأكثر. والذي يقتل خنزيرة فهو يقتل ذريتها حتى الجيل الألف. والذي يغتال قطعة نقود من خمسة شلنات يقضي على كل ما يمكنها أن تنتجه: أكوام من الليرات الاسترلينية.

تذكر الحكمة الشعبية: يدفع بشكل جيد من يدفع من جيب غيره. والذي يعرف بأنه يسدد نقداً وبدقة وفي الموعد المحدد، بإمكانه، في أي وقت وفي ظل أية ظروف، أن يستخدم المال الذي ادخره أصدقاؤه، وهو أمر ذو فائدة كبيرة أحياناً. بعد المثابرة على العمل والبساطة وشطف العيش، لا شيء يساهم في تقدم إنسان يافع داخل المجتمع إلا الدقة والاستقامة في أعماله، وبالتالي ينبغي عدم إبقاء المال المستدان ساعة واحدة بعد الموعد المحدد؛ وإلا تُقفل خزانة صديقك في وجهك إلى الأبد.

ينبغي الاحتراس من أن تؤثر أكثر الأفعال تفاهة على الاعتماد (القروض) المالي لأي شخص. إن صوت مطرقتك في الخامسة صباحاً أو في الثامنة مساءً، يجعل الدائن، إذا سمع هذا الصوت، يمهلك ستة أشهر أخرى<sup>(\*)</sup>، أما إذا رآك تلعب البليار، أو إذا سمع صوتك في مقهى خلال الوقت الذي ينبغي أن تكون فيه في العمل، فذلك يدفعه إلى مطالبتك بماله في اليوم التالي، فهو يطلبه فجأة، حتى من غير أن تكون مهياً لتسديده إليه.

هذا يثبت، فوق ذلك، أنك تتذكر ديونك، إنك حينئذ تظهر كإنسان مدقق وشريف، وهذا ما يزيد رصيدك.

احترس من الاعتقاد بأن كل ما تملكه يعود إليك، ومن العيش على أساس هذه الفكرة. إنه الخطأ الذي يقع فيه كثيرون ممن يملكون أرصدة مالية. ولكي تتفادى ذلك إعمل حساباً دقيقاً لمداخيلك ولنفقاتك. إذا كلفت نفسك عناء تسجيل كل شيء بالتفصيل، تحصل على نتيجة حسنة: فتكتشف كم أن نفقات صغيرة جداً أو تافهة تتضخم وتنتفخ لتصبح مبالغ كبيرة، وتبين عندئذ ما كان يمكن ادخاره، وما يمكن ادخاره مستقبلاً دون سلبات تذكر. مقابل ست ليرات استرلينية في العام بإمكانك أن تتداول بمئة ليرة شرط أن تكون إنساناً معروفاً بنزاهته وتعقله.

من ينفق يومياً في غير طائل قطعة نقود من أربع بنسات ينفق بلا فائدة أكثر من ست ليرات استرلينية في العام، أي ما يعادل قيمة التداول بمئة ليرة.

(\*) المقصود بالمطرفة هو المثابرة على العمل. أي بقدر ما يجد المستثمر ويعمل يلقي الدعم من الممول (م).

مَنْ يبدد بلا جدوى من وقته كل يوم ما قيمته أربع بنسات، يبدد، يوماً بعد يوم، حقه في التصرف بمئة ليرة استرلينية.

مَنْ يخسر في غير طائل خمس شلنات من وقته هو كمن يرمي خمسة شلنات في البحر. مَنْ يخسر خمسة شلنات، لا يخسر هذا المبلغ فحسب، بل أيضاً كل ما كان يمكن أن يربحه إذا ما استخدم المبلغ في المشاريع، وهو ما يشكل مبلغاً محترماً. كلما تقدم الإنسان اليافع في العمر.

إن بنجامين فرانكلين B. Franklin<sup>(1)</sup> هو الذي يقدم لنا هذه الموعظة، بالكلمات ذاتها التي استخدمها فرديناند كورنبرغر في كتابه «صورة الحضارة الأميركية»<sup>(2)</sup> الطافح بالحقد، للسخرية مما افترض أنه إعلان مبادئ يانكي<sup>(\*)</sup>. من يشك بأن «روح الرأسمالية» هي التي تتكلم هنا بصورة مميزة، ولكن، هي التي تتجراً على الادعاء بأن كل ما يمكن أن نستوعبه تحت هذا المفهوم متضمن فيه؟ لتتوقف لحظة أيضاً أمام هذا النص الذي لخص كورنبرغر فلسفته فيه قائلاً: «يصنعون الشحم من الماشية والمال من الناس». ما يخص فلسفة البخل هذه وحدها هو، على ما يبدو المثال الأعلى للإنسان النزيه الذي يُعترف برصيده، وهو، قبل كل شيء، الفكرة القائلة بأن واجب كل فرد هو زيادة رأسماله، باعتبار ذلك غاية بذاته. إن ما جرت الدعوة إليه في هذه الموعظة ليس مجرد طريقة في اختيار السلوك المناسب في الحياة، بل هو أخلاق خاصة. ولا يعتبر انتهاك قواعد هذه الموعظة عملاً أحمق فحسب، بل ينبغي اعتباره نوعاً من تجاهل الواجب. وهنا يكمن جوهر المسألة. ما جرى تلقينه وتعليمه هنا، ليس ببساطة، «معنى المشاريع - الأعمال» - فمثل هذه الوصية واسعة الانتشار - إنه أخلاق. هذه هي تحديداً النقطة التي تهمنا.

حين تلقى جاكوب فوجر J. Fugger من أحد شركائه اقتراحاً بأن يحذو حذوه في الانسحاب من المشاريع / الأعمال - بعد أن ربح كثيراً من المال وبات عليه أن يخلي الساحة لكي يربح غيره - رد عليه جاكوب، بعد أن اتهمه بالجبن، «بأن له رأياً مختلفاً كلياً، وبأنه يريد أن يربح من المال أطول ما يمكن من الوقت»<sup>(3)</sup>. لا شك أن روح هذا التصريح بعيدة كل البعد عن روح فرانكلين. إن ما يعبر، في كلام فوجر، عن الوقاحة التجارية وعن بعض استعداد شخصي للسقوط في اللامبالاة الأخلاقية<sup>(4)</sup>، يرتدي عند فرانكلين صفة حكمة أخلاقية تتناول السلوك الحسن في الحياة. وضمن هذا المعنى الخصوصي النوعي جرى استخدام مفهوم «روح الرأسمالية» هنا<sup>(5)</sup> - إن روح الرأسمالية الحديثة أمر مفهوم. انطلاقاً من الطريقة التي عرضنا فيها الموضوع، غداً من الثابت أننا لن نهتم هنا إلا بالرأسمالية كما هي في أوروبا الغربية وفي أميركا. ذلك أن الرأسمالية، وإن كانت قد وجدت في الصين والهند وبابل وفي الزمن الغابر والقرون الوسطى، كما سنرى، فإن هذه الأخلاق بالتحديد هي التي كانت تنقصها.

(\*) صفة أطلقها الإنكليز على المقاطعات الأميركية التي تمردت على سلطتهم، ثم أطلقها أهل الجنوب على أهل الشمال، وهي تعني اليوم الأنكلو ساكسونيين من سكان الولايات المتحدة الأميركية (م).



إن كل الإرشادات الأخلاقية التي قدمها فرانكلين مصبوغة بصبغة نفعية. والنزاهة مفيدة لأنها تؤمن لنا الاعتمادات، وكذلك الدقة والانضباط في العمل والبساطة والزهد، ولهذا السبب تعتبر هذه الفضائل. يمكن منطقياً أن يستخلص منها، على سبيل المثال، أن ظاهر النزاهة يمكن أن يؤدي الوظيفة ذاتها، وأن هذا الظاهر يكفي، وأن فائضاً غير مجدٍ من هذه الفضيلة يبدو في نظر فرانكلين كأنه تبذير غير منتج. ومسيرة حياته تؤكد، في الحقيقة، هذا الانطباع، وتؤكد على سبيل المثال، قصة «اهتدائه» إلى هذه الفضائل<sup>(6)</sup>، أو نقاش فائدة الاحتفاظ الدقيق بمظهر التواضع، ومثابرتة على التقليل من قيمته وجدارته بهدف الحصول على رضا الجميع<sup>(7)</sup>. إن هذه الفضائل، في نظر فرانكلين، مثل كل الفضائل الأخرى، لا تكون فضائل إلا إذا صارت مفيدة فعلاً للفرد، ويكفي مجرد الظاهر إذا كان في وسعه القيام بالدور ذاته. هذا الاستنتاج لا بد منه للنفعية بالمعنى الحصري. فالانطباع الذي كونه الألمان عن أن الفضائل، كما يتعلمها الأميركيون، ليست سوى «مكر»، هو انطباع يبدو هنا مؤكداً بشكل صارخ. إلا أن المسألة ليست، في الحقيقة، في مثل هذه البساطة. فلقد جرى تكذيب هذا الشك في طبيعة بنجامين فرانكلين، كما يظهر لنا من خلال سيرته، بصراحة نادرة. لقد ألهمه الله فائدة الفضائل، وهو الذي نذره للخير، وهذا ما يثبت هنا وجود شيء آخر غير الحكم المتمحورة حول الأنا والمزخرفة بالأخلاق. غير أن هذه الأخلاق تخلو، على الأغلب، من كل ما يمت إلى السعادة، بل إلى اللذة بصلة، وعليه يمكن التعبير عن قمة السعادة بما يلي: كسب المال، مزيد من المال دائماً، مع الاحتراس دوماً من الملذات العفوية في الحياة. يعتبر المال، على هذا الأساس، كفاية في ذاته، ويبدو في اتجاه تصاعدي ولا عقلاني بالمطلق<sup>(8)</sup>، من زاوية «سعادة» الفرد و«المنفعة» التي يمكن أن يجنيها من تملكه للمال. أصبح الكسب هو الغاية التي يحددها الإنسان لنفسه، ولم يعد بالنسبة إليه وسيلة إشباع حاجاته المادية. هذا القلب أو العكس لما نسميه الوضع الطبيعي للأشياء، مهما بدا عبثاً من وجهة نظر ساذجة، هو، بوضوح، اللازمة المميزة في الرأسمالية، وهو يبقى غريباً كلياً عن كل الشعوب التي تنشق من عبيره. غير أنه يعبر أيضاً عن سلسلة من المشاعر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتمثيلات دينية معينة. وإذا تساءلنا، بشكل خاص، لماذا ينبغي أن «نصنع من الناس مالا» يجيب فرانكلين، رغم أنه هو ذاته ليس سوى متدين باهت، عبر نص من التوراة كان والده، ذو المذهب الكالفيني، قد رددته على مسامعه وهو طفل (أنظر سيرته):

«هل رأيت إنساناً ماهراً في عمله؟

فسوف يدخل في خدمة الملوك

ولا يبقى في خدمة الأشخاص المغمورين»<sup>(9)</sup>.

فكسب المال، ضمن الحدود المشروعة لذلك، هو، في النظام الاقتصادي الحديث، نتيجة المثابرة والكفاءة المهنية والتعبير عنهما. ومن السهولة أن نرى أن هذه النشاطية والمثابرة هما من مسلمات الأخلاق الفرانكلينية، كما تظهر لنا من خلال النصوص السابقة، وكما تتجلى في كل كتاباته من غير استثناء<sup>(10)</sup>.

هذه الفكرة الخاصة المألوفة لدينا اليوم، وإنما القليلة الواضوح في الحقيقة، والقائلة بأن الواجب يتطابق من خلال ممارسة مهنة أو وظيفة، هي، في الحقيقة، الفكرة المميزة الخاصة «بالأخلاق الاجتماعية» في الحضارة الرأسمالية؛ وهي، بمعنى ما أساسها. إن من اللازم أن يكون الفرد قد عانى وأن يعاني إزاء نشاطيته «المهنية»، التي لا أهمية لها، خصوصاً لكونها تظهر أمام الشعور الساذج كأنها استخدام من جانب الفرد لقوة عمله الشخصية، أو كأنها، مجرد استخدام لثرواته المادية (كرأسمال).

لا شك أن هذا المفهوم ليس خاصاً بالنمط الرأسمالي، سنحاول لاحقاً الوصول إلى مصدره، متعقبين أثره في الماضي. وليست المسألة هي في دعم الفكرة القائلة بأن على كل فرد اليوم، عاملاً أو رب عمل، أن يرى في هذه الحُكم قوانين أخلاقية تخصه هو، وذلك من أجل استمرارية الرأسمالية الحديثة. فكل فرد اليوم يلقي منذ ولادته، الاقتصاد الرأسمالي قائماً مثل كون شاسع، أو مستقر ينبغي أن يعيش فيه ولا يمكنه أن يغير فيه شيئاً، على الأقل بصفته فرداً. وكلما انخرط الفرد في العلاقات الاقتصادية داخل السوق، يصبح مرغماً على التكيف مع قواعد العمل الرأسمالية. فالصناعي الذي يتصرف باستمرار بخلاف هذه القواعد يغدو مستبعداً عن المسرح الاقتصادي مثلما يُرمى في الشارع، من غير تردد، العامل الذي لا يستطيع أو لا يريد أن يتكيف معها.

وهكذا، فإن الرأسمالية، بعد أن توصلت في أيامنا إلى السيطرة على كل الحياة الاقتصادية، تربى وتختار، من خلال عملية انتقائية اقتصادية، عناصرها، عمالاً ومشرفين، الأكثر قدرة والذين لا يستغنى عنهم. غير أننا نضع الاصبع هنا على حدود هذه الفكرة المتعلقة بالانتقاء كوسيلة للتفسير التاريخي. حتى يمكن لهذا النمط من الحياة، وهذا الشكل من العمل، المتكيفين جداً مع خصوصيات الرأسمالية، أن يكونا مختارين، «منتقيين»، وأن يسيطرا على الأشكال والأنماط الأخرى، ينبغي في البداية، حتماً، أن يظهر إلى الوجود، لكن ذلك لا يحصل في حالات فردية معزولة؛ بل ينبغي أن يعبر عن تصور مشترك بين جماعات إنسانية في إطارها الكلي. هذا المصدر هو ما ينبغي تفسيره. سنتحدث لاحقاً بالتفصيل عن المذهب التبسيطي في المادية التاريخية، الذي تكون فيه مثل هذه الأفكار انعكاساً، أو بنية فوقية، لأوضاع اقتصادية معينة. يكفي، من أجل فكرتنا، أن نشدد على أن «روح الرأسمالية» (بالمعنى الذي نقصده هنا) قد وُجدت، من غير أدنى شك، في البلد الذي شهد ولادة بنجامين فرانكلين، ماساشوستس، قبل أن يتطور النظام الرأسمالي. بدأت، منذ عام 1632، ترفع الشكاوى ضد الإفراط في الحساب بحثاً عن الربح، وهو أمر خاضر بإنكلترا الجديدة التي تميزت بذلك عن المناطق الأخرى من أميركا. فوق ذلك، من المؤكد أن الرأسمالية كانت أقل تأصلاً في الولايات المجاورة (وهي التي أصبحت منذ ذلك الحين ولايات الاتحاد الجنوبية) التي أسسها رأسماليون كبار بهدف القيام بأعمال ومشاريع، في حين كانت مستعمرات إنكلترا الجديدة قد تأسست لأسباب دينية من قبل مبشرين ومثقفين وبمساعدة برجوازيين صغار وحرفيين وصغار ملاكين إنكليز. إن العلاقة السببية، في هذه الحالة الأخيرة، هي إذن عكس العلاقة التي تقترحها أو تفترضها المادية التاريخية.



إلا أن الخطوات الأولى من أية إيديولوجيا تكون مزروعة بالأشواك أكثر بكثير مما يتصوره منظرو «البنية الفوقية». فالأفكار لا تتفتح كالأزهار. لقد كان على روح الرأسمالية، بالمعنى الذي أعطيناها إياه حتى الآن، لكي تفرض نفسها، أن تقاتل ضد عالم من القوى المعادية. إن حالة معنوية شبيهة بتلك التي تجلت في المقاطع التي أوردناها من بنجامين فرانكلين قد لاقت استحساناً لدى الشعب بكامله. لقد كان ذلك أمراً محظوراً في الزمن الغابر كما في القرون الوسطى<sup>(11)</sup>، بصفته موقفاً خالياً من الشهامة، وتعبيراً عن بخل دنيء. كذلك هي الحال، في أيامنا أيضاً، عند كل المجموعات الاجتماعية التي لا تخضع بشكل مباشر لسلطة الرأسمالية الحديثة، أو التي تعتبر الأقل تكيفاً معها. ليس مرد ذلك، كما قيل غالباً، إلى أن التعطش للربح لم يكن معروفاً أو لم يكن على مثل هذه الحدة قبل الرأسمالية، ولا لأن النهم إلى الذهب كان قليلاً جداً - أو أنه صار اليوم كذلك - خارج الأوساط الرأسمالية البرجوازية قياساً على ما هو عليه في دائرته الخاصة، كما يحلو لبعض الرومنطقيين المحدثين أن يعتقدوا، ولكن اعتقاداً مليئاً بالأوهام. لا. ليس في هذا يكمن الاختلاف بين الروح الرأسمالية وروح ما قبل الرأسمالية. إن نهم الموظف الكبير في الصين، والأرستقراطي في روما القديمة، والمزارع الحديث يمكن أن يؤكد كل المقارنات. إن النهم إلى الذهب لدى حوذي من نابولي، أو لدى ممثلي المهن المماثلة في آسيا، أو لدى حرفي من أوروبا الجنوبية أو آسيا، يبدو، وهذا ما يمكن أن يشبهه أي واحد، أكثر قوة بكثير، وأقل تردداً بكثير مما هو، على سبيل المثال، لدى إنكليزي يعيش في ظروف مشابهة<sup>(12)</sup>.

إن النقص المطلق في الأمانة، والأنانية والطمع، والشراسة في طلب الربح هي كلها ملامح مميزة في البلاد التي بقي فيها التطور الرأسمالي البرجوازي، بالمقياس الغربي، متخلفاً. كل مستخدم (بكسر الدال) يمكن أن يقول ذلك: إن افتقار العمال، في هذه البلدان، للضمير<sup>(13)</sup> - في إيطاليا مثلاً، بالمقياس إلى ألمانيا - كان وما يزال، في حدود معينة، أحد أهم العقبات التي تواجه تطورها الرأسمالي. لا يمكن للرأسمالية أن تستخدم عمل أولئك الذين يطبقون مبدأ القدرية (حرية الاختيار) غير المنتظم، كما لا يمكنها أن تستخدم، وهو ما بينه فرانكلين، رجل أعمال عديم الضمير. ليس الاختلاف اختلافاً على درجة التعطش للكسب المالي، ذلك أن النهم إلى المال قديم قدم الإنسان. إلا أننا سنرى أن الذين يخضعون لهذا النهم من غير تحفظ - على غرار القبطان الهولندي الذي «يفضل الذهاب إلى الجحيم لكي يكسب المال، حتى لو تعرض لإبحاره للخطر» لا يمكن لهم تحت أي عنوان، أن يكونوا شهوداً على «روح» حديثة للرأسمالية خاصة جداً، روح يمكن أن تعتبر ظاهرة جماعية؛ هذا وحده هو الذي يعيننا. ففي كل عهود التاريخ راحت حمى الكسب من غير هوادة تطلق لنفسها العنان، خارج كل معيار أخلاقي، كلما رأت نفسها قادرة على ذلك. ظهرت التجارة الحرة، على غرار ما يحصل في الحرب أو القرصنة، فاقدة أي كايح أخلاقي في العلاقات مع العناصر الغريبة أو مع الذين لا ينتمون إلى نفس المجموعة الاجتماعية. هذه «الأخلاق باتجاه الخارج» تميز في هذه الحالة ما كان ممنوعاً مع الأشقاء. كان الكسب الرأسمالي، باعتباره «مغامرة»، ظاهرة مألوفة في كل أنماط الاقتصاد النقدية، للذين استثمروا المال عن طريق

الاقطاعات، وجباية الضرائب، وتسليفات الدولة، وتمويل الحروب، ونفقات البلاطات والمكاتب الحكومية. إن الحالة المعنوية للمغامر الذي يهزأ من كل قيد أخلاقي هي حالة شاملة. ففضافة الكسب الواعية والمطلقة هي في علاقة وطيدة جداً مع الامتثالية الأكثر دقة ومع احترام التقاليد. غير أن هذه الحداثة، بعد تفتت التقاليد وإدراج العمل الحر في إطار المجتمع، لم تكن مبررة أخلاقياً ولا محاطة بالتشجيع، بل كل ما في الأمر أنها قُبلت فقط كواقع. واقع غير مهم من الناحية الأخلاقية، بل ذميم، لكن، للأسف، لا مفر منه. لم يكن ذلك فحسب الموقف الطبيعي في كل تربية أخلاقية، بل كان أيضاً، وهذا أمر مهم، سلوكاً عملياً للإنسان العادي في العصر ما قبل الرأسمالي، بمعنى أن استخدام الرأسمال استخداماً عقلانياً في استثمارات ثابتة، والتنظيم الرأسمالي العقلاني للعمل، لم يصبحا بعد القوة المسيطرة التي تحدد الفاعلية الاقتصادية. هذا وقد شكل هذا الموقف تماماً أحد العوائق الأساسية التي اصطدم بها البشر خلال تكيفهم مع الشروط التي تتطلبها اقتصاد على النمط الرأسمالي البرجوازي.

إن على «الروح الرأسمالية»، كنمط حياة محدد، مرتدية ثوباً «أخلاقياً»، أن تقاتل أولاً ضد هذه الطريقة في الشعور وفي السلوك وفي الارتكاس، إزاء الأوضاع الجديدة التي نسميها التراث. وهنا أيضاً ينبغي أن نؤجل إلى وقت لاحق كل محاولة للجوء إلى تعريف ما لجوءاً نهائياً. غير أننا سنحاول، على الأقل بصفة مؤقتة، توضيح فكرتنا بواسطة بعض الحالات الخاصة. ولنبدأ أولاً مع العمال.

العمل بالمقاول (بالقطعة) هو أحد الوسائل التقنية التي يلجأ إليها المقاول الحديث عادة، لكي يحصل من عماله على حد أقصى من المردود. ففي مجال الزراعة مثلاً، يعتبر موسم الحصاد من تلك الحالات التي يكون فيها تكثيف العمل حاجة ملحة. وبما أن ظروف المناخ تلعب دوراً أساسياً، فإن كسب أرباح طائلة، أو تحمل خسائر فادحة أمر منوط، في الحقيقة، بالوتيرة التي تجري فيها الأعمال. لذلك يتم اللجوء عادة إلى العمل عن طريق الالتزام. وبما أن فوائد المقاول تزداد مع ارتفاع الغلة والمردود، لذلك يجري البحث عن وسيلة للتعجيل بتخزين المحصول، وذلك برفع الأجر مقابل العمل بالمقاول. وبهذا يكون الجهد قد بذل لشد اهتمام العمال عن طريق إعطائهم فرصة لكسب أجر مرتفع جداً في مقابل وقت من العمل قصير جداً. غير أن الصعوبات الخاصة لا تلبث أن تبرز. فليس من شأن زيادة قيمة الأجر، مقابل العمل بالمقاول، أن ترفع مردود العمل خلال فترة معينة، بل أنها، على العكس، تقلص هذا المردود، فتتجلى ردة فعل العمال على زيادة الأجر في تقليص الإنتاج اليومي. فالرجل الذي يتقاضى، على سبيل المثال، ماركاً واحداً مقابل حصد فدان، يحصد فدانين ونصفاً ويتقاضى ماركين ونصفاً. وإذا ما ارتفع الأجر مقابل الفدان إلى مارك وربع، فإنه لا يحصد ثلاثة فدادين كما بإمكانه عادة أن يفعل بسهولة، وكما يجري الحساب على هذا الأساس، ظناً برغبته في الحصول على 3,75 ماركاً، بل هو يحصد فدانين فحسب لكي يكسب 2,50 ماركاً. فالكسب الإضافي لا يجذبه بقدر ما يجذبه تقليص أوقات العمل. فهو لا يتساءل: كم يمكنني أن أكسب يومياً إذا بذلت الحد الأقصى من الجهد؟ بل يسأل: كم



ينبغي أن أعمل لكي أكسب ماركين ونصفاً، وهو المبلغ الذي أكسبه عادة والذي يغطي حاجاتي اليومية؟ هذا واحد من نماذج مما نعينه بالسلفية. الإنسان لا يرغب «بطبيعته» في أن يكسب من المال أكثر فأكثر، بل هو يرغب ببساطة في أن يحيا حسب عادته وأن يكسب من المال ما يكفيه لذلك. أينما لجأت الرأسمالية إلى زيادة إنتاجية العمل البشري بزيادة وتيرته، اصطدمت بمقاومة عنيدة من لازمة العمل هذه في الاقتصاد ما قبل رأسمالي، وهي تصطدم اليوم أكثر بمقدار ما تكون اليد العاملة التي تحتاج إليها «متخلفة» (من وجهة النظر الرأسمالية).

لنعد إلى المثل الذي ضربناه. بعد فشل الدعوة إلى «الكسب» عن طريق الأجور المرتفعة، لم يبق سوى اللجوء إلى الطريقة المعاكسة: إلى خفض الأجور لإرغام العامل على القيام بعمل مضمن من أجل الحصول على الربح ذاته. تبدو العلاقة بين الأجور المتدنية والتحصيل المرتفع في أيامنا، وفي نظر المراقب السطحي، علاقة متبادلة، بحيث أن كل ما يُدفع كأجور يقابله تقليص في الإنتاج. وقد لجأت الرأسمالية إلى هذا السبيل منذ البداية من غير انقطاع. وخلال قرون ظلت القاعدة، القائلة بأن الأجور المنخفضة هي أجور منتجة، بمثابة آية، بمعنى أنها تزيد من محصول العمل. استناداً إلى بيتيردو لاكور Pieter de la Court الذي يتمتع بعقلية شبيهة بالعقلية الكلفانية، ألا يعمل الشعب إلا إذا كان فقيراً وطالما بقي فقيراً؟

غير أن فاعلية هذه الوسيلة محدودة مهما تكن جلية<sup>(14)</sup>. فمن أجل أن تتطور الرأسمالية لا بُدَّ لها، بالتأكيد، من أن توجد، على صعيد السوق، في إطار فائض سكاني يستأجر خدماتها بأسعار زهيدة. ولكن، إذا كان صحيحاً أن «جيش الاحتياط» الكبير العدد يسهل، في حالات معينة، توسعها الكمي، إلا أنه يشكل، في الوقت ذاته، عقبة أمام تطورها النوعي وخصوصاً أمام انتقالها نحو أشكال من المؤسسات تحتاج لعمل مكثف. لذلك ليست الأجور المتدنية أبداً مرادفاً للعمل الرخيص. فمن وجهة نظر كمية محض، تنخفض مردودية العمل مع أجر غير كافٍ لتجديد قوة العمل الجسدية، ومثل هذا الأجر يمكن أن يعني، على المدى الطويل، انعدام قوة العمال الأقوياء. وفي أيامنا، يحصد العامل المتوسط السيليسياني (من بروسيا)، الذي يبذل أقصى جهده، ثلثي المساحة التي يحصدها في نفس الكمية من الوقت، عامل بوميرانيان (من بولونيا) أو من مكلنبورغ (ألمانيا)، اللذين يتقاضيان أجوراً أفضل، ويؤمنان تغذية أفضل، ويقل إنتاج البولوني كلما كان أقرب إلى الشرق في انتمائه وطبيعة حياته.

إذا توقفنا على صعيد الأعمال نجد أن الأجور المتدنية لا تحقق هدفها إذا كان الأمر يتعلق بمنتجات يتطلب تصنيعها عملاً مصنفاً ومهارة، أو استخدام آلات ثمينة وهشة، أو بشكل عام اهتماماً مركزاً ومبادرة. هنا، ليست الأجور المتدنية ذات مردود، ومفعولها هو عكس ما يكون متوقعاً. لا لأن حساً رقيقاً بالمسؤولية هو أمر لا غنى عنه في ذلك، بل ينبغي فوق ذلك أن تكون العقلية، على الأقل خلال ساعات العمل، متحررة من السؤال السرمدى: كيف يمكن كسب أجر معين بأقل جهد ممكن وبأقصى شكل من التكيف؟ ينبغي، على العكس، أن يمارس العمل كما لو كان هدفاً في ذاته - استجابة لنداء داخلي. والحقيقة أن مثل هذه العقلية ليست من نتائج الطبيعة.

ولا يتم بحصرها عن طريق الأجور. فحسب إيمانها حصينه عمليه مثابرة وموحدة من سنة يوم بعد أن غلبت الرأسمالية أسخنة متمكنة من نفسها أصبحت بعيدة البعد العنصرية منها سيما في كنفه البداء الاقتصادي. وكذلك هو، ثم سمائه في انما يعجز عن تبوع شعبها من غير النجوة إلى حبيب قوي قادر أصبح، كما سرتي ديمائها في يوم.

بمحدد ذلك مضرب مثلاً ان التماثلات اليوم لا سيم الحاربات يقدم صورة عن الموقف من المعنى التقني في الوعي انه يدير سبكا خاص غصا مظهر في الأسعد، ويظهر عوارب كبر عن نفس السامح المورثة او المكتبة بحسب أخرى أكثر فاعلية ويسكو يستحدثون جميعهم بربيع من السماء، بل الأثبات، غير قادرين على استيعاب سكال جديد من العبر وعلى ترك دأئهم فيها، بل ساهه، على مسجدها فالمرحلات التي تقدم لهم حول امكانه حقا يحز كبر جهوة، وفوت كبر، مصدق، بشكل عدم صدره بنفس كني في محم إنه ياده مفرقة عمل بالمدرسة لا يعني نهى ميك غير أن الامر يحري غير خلاف ذلك وهو ما يسر في مفرقا عديم الحدود، مع ساه البدائي بتقني بربيع ديبه بوعيه نظرية بشكل خاص غاب ما سمع وهو ما كنه لاحتساب. أن هذه الجماعة هي التي تجد فيها في بعات الفصل السرطانية بربيع اقتصادية. العبرة على تركيز الفكر في عمار العجز ووح خلافها قد امر ان مثا فان قد يسهونه وهم نار ذهنية اقتصادية بحسب حساب إمكانية الكسب الأكثر رضعا مع مفرقة على السيطرة على الذات وحصر من شأنها مع سبه المردود بشكل ملحوظ هو اثره لأكثر مسجدا بتقني قد تصور عن العجز بصفه عيه في ذاته مسجدة بعبء داخيه وقد ما تطلبه الم ماله تصاعد التربة الدببة من فرض تحطى الر وبين التقني السني وبه هذه الملاحظة حول الحالة ان هبه براسمالية" مع لا بسكي ان يطرح كيم مكن من الاصل قيام قد الم طين الكيف مع بر مماله وبين العرام الدببة لأنه يمكن ان يستخلص من العديد من الوقائع ان هذه بربيه كان موجود في جميعه مماله ذلك ان العور ولاصحتها، بلين يعرض لهما ووقع صحتهما، صحاب الانجاء المسحي من جانب رعاتهم في الفصل، يسا بتجسير فحسب او يسكل اساسي عن الموضوع بعينه اسرافه عن المفاهيم الدببة. فله شهادته، بكنة حالات أخرى كثر وقد كنه يوعي بده بدمر الأديرة (من قبل ملاتهم في العمل)، وهو الموضوع الذي يردد كثير في شهادته معاصره. ينبغي البحث عن اسباب دله في مسجدهم الكبير بمعمل كنه يوم نحن يوم ويذكر بعد في الحاضر ونجد لا، حتى المماور في محاولة ما مسجده الممي الذي نظري عليه فكرة التقيد

بحر سومبارت Sombar، في ممولاه جو. نقو الرأسمالية<sup>3</sup> يبر اكيم اثين من المادية الميحية في التاريخ لاقصادي، إسباع الحاحات، والكسب، ان سكر النشاط لاقصادي ووجهه قد مرس ممدون في الحالة لأولي بحجم الحداد انحصيه وهي الثانية بمناخه الكسب إلى ما بعد الحد. بل بتعليق اسباب الحجاب ما سبه سومبارت



اقتصاد الحاجات يبدو، من أول وهلة، مماثلاً لما نعينه هنا بالسلفية الاقتصادية. والحقيقة أن الأمر هو كذلك، إذا ما كان مفهوم الحاجة محصوراً بالحاجات التقليدية. وفي الحالة المعاكسة، فإن عدداً أكيداً من الأنماط الاقتصادية، التي تعتبر بالضرورة رأسمالية إستناداً إلى تعريف يضعه سومبارت في مكان آخر<sup>(19)</sup>. يقع خارج صنف الاقتصاد المربح، ويرتبط باقتصاد يقوم على أساس الحاجات. تستفيد بعض المؤسسات الخاصة من رساميلها (أموال أو بضائع مقدرة بأموال) وذلك من خلال شراء وسائل إنتاج ومبيع منتجات مصنوعة - مستحقة بذلك من غير أدنى شك صفة الرأسمالية - وبإمكانها في الوقت ذاته، الاحتفاظ بصفة تقليدية. ليس ذلك أبداً الاستثناء، بل هو بالأحرى القاعدة، خلال التاريخ الاقتصادي الراهن، وذلك رغم الهجومات القوية المؤثرة التي تشنها روح الرأسمالية تكراراً. ولا شك أن الشكل الرأسمالي لأية مؤسسة والروح التي توجهها «يتلاءمان» مع بعضهما البعض لكنهما لا يتطابقان داخل علاقة من «الترايط» الضروري. بيد أننا سنستخدم مؤقتاً عبارة «روح الرأسمالية (الحديثة)»<sup>(20)</sup>، لكي نميز البحث العقلاني والمنهجي عن الربح من خلال ممارسة مهنة ما، وهو ما يدل عليه مثال بنجامين فرانكلين. وتبرير ذلك هو، من جهة أولى، أن هذا الموقف قد وجد شكله الأنسب في المشروع الرأسمالي الحديث، ومن جهة أخرى، لأنه وجد في هذه «الروح» محركه المناسب.

غير أنه يمكن مراقبة الظاهرتين، كل على حدة. كان بنجامين فرانكلين مقتنعاً بروح الرأسمالية، في وقت لم تتميز أعماله المطبعية في شيء من حيث الشكل عن أي مشروع حرفي: وسنرى أن المقاولين الرأسماليين من أصحاب الامتيازات التجارية، في بداية الأزمنة الحديثة، لم يكونوا وحدهم حملة أو رسلاً لما نسميه هنا روح الرأسمالية<sup>(21)</sup>، غير أن هذا الدور يعود بالأحرى إلى شرائح الطبقة الصناعية الوسطى، وهي شرائح تبحث عن سبيل للارتقاء. وكذلك هي الحال، في القرن التاسع عشر، حيث لم يكن ممثلو تلك الفترة الكلاسيكيون جنتلماناً الأناقة في ليفربول وهامبورغ الذين توارثوا ثرواتهم التجارية جيلاً عن جيل، بل كانوا على العكس، من حديثي النعمة في مانشستر ورياني - ويستفالي، ومن مواليد أصول متواضعة جداً في الأساس. ونجد في القرن السادس عشر حالة مماثلة: فقد كانت الصناعات الناشئة، في أغلب الأحيان، من شأن حديثي النعمة واهتمامهم<sup>(22)</sup>.

إن الاستثمار المصرفي، على سبيل المثال، أو استثمار تجارة الجملة أو التجارة بالمفرق أو كذلك استثمار مشروع كبير في مجال إنتاج المصنوعات المنزلية، ليست كلها ممكنة إلا على شكل مشروع رأسمالي. غير أنه من الممكن أن تدار مختلف هذه المشاريع بروح تقليدية صرف. في الحقيقة، لا يمكن أن تدار بطريقة أخرى مشاريع بنك كبير من بنوك الإصدار. لقد ارتكزت التجارة البحرية، طيلة عصور بأكملها، على احتكار وامتيازات شرعية ذات صفة تقليدية صرف في تجارة المفرق - ولا أتحدث هنا عن التنايل الخاملين المبتدلين الذين لا يملكون رأسمالاً، ويطالبون بدعم الدولة - ذلك أن الثورة القائمة هي التي ستضع حداً للسلفية الهرمة. والانقلاب ذاته هو الذي فجر البنى القديمة في العمل المنزلي، الذي لا يشبهه العمل المنزلي الحديث إلا من حيث الشكل،

بمعنى تأكيد مجرى هذه التوبة والمبدؤ حتى يصحك ان يتطوي عليه مع ان هذه مو. معر به  
من خلاف من منمو

حتى يهايه بمر لأغني بغيري وعلى لأق في ذوق كثيره من صاعه سبيح في عالمنا  
كأن حياة الصاعه التي يستجده عمال في المندرس حيه ممعه حد حسب نفس ب. راعه يمكن  
ان تنجيه على الشكل التالي يأتي ب. أريف إلى المدينه حيث يقيم المقاول جاعين إليه  
لقطع المسوحه في حاله لثمان سمح الماده لأيه كيا به شكل ساسي من قبل الرعي  
بعده وبعد المحقق حزين والرعي غدا من بوعيه البصاعه يدفعه من بين الماسك انه بالسنه  
بلا سواي البعده سيبه فإن من المقاول هو يائوه بوجوهو إليه (من غير الاستاد في) من  
عينا) من قبل المحقق. على بوعيه كأنه قد حجب بها ويسرود في بجدوده في محاوره لا بد  
م يخلو قد فهو فاقمه بالصبيه من فط طويل - وفي مثل هذه الحاله فإن "الطبيب بخرن مرفعه  
و بيه الرعي هؤلاء الر من لا يستمر محضيه. لا يصب لأمر دنت. لأصغر مستاد  
مباينه عبا و خرى فكفي المرمه وهكذا يسرود يتطور ببطه نظام العيالب كان عند ساعد  
العمل مبدلا حد م حمس إلى م ساعد يوهي و حيايا في كثير و كذا بعد المرم في  
أوقاف الإزدحام وكانت لأباع مواضعه كذا ناهيه حبيب حياه لائقه ولأدجار بعض حال  
الأمه بالصبيه وكان يقيم المساقوب فيما بينهم وحدا علاقات حسنه دنت بهم منفقوا حوا  
المدينه لأسميه بعبيد. اره صوبه إلى المعهى يوهي، حلقه مضمره من الأصداء - بها  
الحياه النهاده البديده

إن دنت هو على كل وجه شكل م السليم لا ر ساعلي بمرمو فيه الجاوب مساعد  
بحاريا صري فقد ك استخدام الراسيه ام لا يسعي عنه أو حور، فإن بوجه مضموم من  
الصبيه لأقتصاديه أي سعادته، هو وجه عقلائي بكر المأله معنى في انوفه سعاد  
اقتصادي بعبدي حد او حد بالاعشار الروح التي بسط المقاول ويحمره جد الحياه بعبدي  
سبه إلى أبا بعبديه كند كليه العجا المدور. طريقه بعبد جشرو ٦ و علاقات الدنيه مع  
بعبان وكند في بعبه هي بعبديه سكا ساسي سكا بربان طريقه السحب م. يالو  
حد ونصرف البصاعه كل دنا يسطر على إدارة المسودع وهو كاسي، إذ يمكن الأقرب، في  
أخلاق هذا الصنف من المقاولين

فداه ومي بعبه بعبه قطع هذه الحياه نهاده وشوق وفي غلب لأحيان يكون ف  
حضم ي هو. ساسي في شكل سببم كالاعتاب الو المومسه المعلمه، صنعان البعبه  
جيازيكيه إبحر و حسب صاعه هو التالي : ب م عاينه الممويين ذهب م رعب  
وهناك انكي بعباه المساحين البير يريد سجداههم وهو سيد واهم رعبينهم كذا فأكبر و بويه  
من سيد الرفاده على مستوحاهم ويحورهم بالتالي من مر رعي إلى عبا م راحيه حرقه به بعب  
أصالب البيع من خلال المدخول، ما امركه دنت، في ساسي ساسي مع جسدكثير بعبه بعبه  
كليه تجارة الجسنه وينومل بعبه إلى الرنايه، ب و رهم بويه كذا عدم ويصام عاا مبيرات



البضاعة مع أذواق الزبائن وحاجاتهم. كما أنه يتصرف، في الوقت ذاته، حسب المبدأ التالي: تخفيض الأسعار، زيادة كمية المبيعات. النتيجة المألوفة في مثل عملية العقلنة هذه لا تلبث أن تظهر: من لا يتكيف يُصَبُّ بالعزلة ويخضع للإبعاد فتنهار المثالية أمام الضربات الأولى للمضاربة. وتتجمع ثروات كبيرة لم تكن مستثمرة على أساس التسليف بفائدة معينة، بل في المشاريع. ويزول نمط الحياة القديم البسيط والمريح، أمام الصبر القاسي لدى البعض من الذين يرتقون إلى المراتب الأولى، لأنهم لا يريدون الإنفاق بل الربح، في حين أن الآخرين الذين يرغبون في تأييد العادات القديمة يجدون أنفسهم مرغمين على تقليص نفقاتهم<sup>(24)</sup>.

إن هذه الثورة، على العموم، ليست رهناً بتوفير فيض من الرساميل الجديدة - أعرف حالات كان يكفي فيها بضعة آلاف من الماركات المستلفة من الأقارب - بل رهن توفر روح جديدة: إن «روح الرأسمالية» قد دخلت حيز الفعل. فالقضية الأساسية على صعيد توسع الرأسمالية الحديثة ليست قضية مصدر الرأسمال، بل نمو روح الرأسمالية. فحيث تفتتح، وحيث تكون قادرة بذاتها على الفعل تخلق الرأسمالية لنفسها رأسمالها الخاص واحتياطها النقدي - وسائل عملها - إلا أن العكس ليس صحيحاً<sup>(25)</sup>. نادراً ما كان دخولها إلى المسرح دخولاً سلمياً. ولا بد أن يكون أوائل المجددين عرضة لعدم الثقة، وللحقد أحياناً، وللنقمة الأخلاقية غالباً - أعرف من ذلك حالات محددة. وجرى تركيب أسطورة حول حياتهم الماضية المغمورة بظلال غريبة. كيف لا يُعترف بأن ميزة استثنائية هي وحدها القادرة على أن تحمي ثباتهم ورباطة جأشهم، كمقاولين في هذا «الأسلوب الجديد»، وأن تضعهم في منأى عن الفشل المعنوي والاقتصادي؟ فوق ذلك، وبعيداً عن يقينية النظرة الخاطفة وعن الفاعلية المحققة، ليس إلا بفضل مزايا أخلاقية محددة جداً ومتطورة جداً يمكن مباشرة لمن يحمل لواء التجديد أن يوحى إلى زبائنه وعماله بثقة مطلقة بابتكاراته. لا شيء غير ذلك يمكن أن يمنحه القوة لتجاوز عقبات لا حصر لها، وللقيام قبل كل شيء بعمل أكثر ضخامة بكثير، عمل يتطلبه المقاول الحديث. غير أن هذه المزايا الأخلاقية مختلفة جداً عن تلك التي كان التقليد يتطلبها منذ وقت قصير.

إن الذين نجدهم في أساس هذا المنعطف الحاسم، الذي لا معنى له ظاهرياً، ولكن، الذي ينفخ روحاً جديدة في الحياة الاقتصادية، لم يكونوا، إلا في حالات إستثنائية، مضاربين أو مغامرين عديمي الذمة ممن يمكن وجودهم في كل عهود التاريخ الاقتصادي، كما لم يكونوا أيضاً كبار الممولين. إن هؤلاء المجددين هم، على العكس، أناس نشأوا في مدرسة الحياة القاسية، حسابون وفضوليون في آن معاً، يتميزون بالصبر والثقة بالنفس والثبات والإخلاص التام لعملهم، ويؤمنون بأفكار حازمة «وبمبادئ» برجوازية صارمة.

ربما نكون ميالين إلى الاعتقاد بأن هذه المزايا الأخلاقية الشخصية لا تمت بصلة إلى أية حكمة أخلاقية أو حتى أية فكرة دينية، وإلى الاعتقاد أيضاً بأن العلاقات المتبادلة هي سلبية بشكل أساسي. وعلى الأصح، إن القدرة على التملص من التقاليد الموروثة - نوع من فلسفة الأنوار الليبرالية - من شأنها وحدها أن تؤمن حياة ملأى بالأعمال والمشاريع. والواقع أن هذا بالتحديد هو

جانبه الوضوح الرائع. ففي أبواب ٢ علاقة بطلاني بين المعتدلات حبيبه والسبوك النحباتي ،  
 ورد ما أصبح يمثل هذه العلاقة " يوجد فهي حبيبه في انقلب على الأقل في المانيا إذ لا أفراد  
 المشتمين حالياً بروح الرسمالية هم عادة لا مبالوا ، إذ لم يقبل معانيهم ، ينكيسه ان  
 الاصنام المرمي بالجهل لا يعوي كثير هذه الكتابات بفاعله ، فالحسن يبدو في ظهورهم وميله لا ع  
 الدس من الأعمال مديونه ، وحين يسألونهم «معنى» ساطع من غير توقف ، أو يطلب إليهم تفسير  
 لعدم رسالتهم ولا كتاباتهم ، يبتكروا ، وهو ما يظهرهم جميعاً وعريبي ، في نظر الدبر يحهبوا  
 هكذا ، وبسطه نحو انجلاء الديب ، بما يحيدون ، إذ انهم انهم يعرفون ما يدعونون ، أي في عمل  
 من أجل أن ٢ دي رولاد أولادي ، إلا أنهم في الأعصاب يحيون ، مريد من الدقة ، لأن هذا الدفاع ليس  
 ناصحاً بهم ، بل هو بحث المرء التصديقه بصفة ، فهو يربط بان عمقهم المبوب قد عد امر لا يسمي  
 عنه بوجودهم ، إن عد هو ، في الواقع ، سجين انوحيد المسك ، وإن نظر إليه في النضال من  
 رايه السمادة النحبة ، فهو يربط كم هو غير عقلاني ، هذا المسبك الذي يكون وجود الإنسان فيه  
 مرتبط بأعماله وليس العقل

ب انهم بانقوة وتحفظه الاجمالية التي يوفقهم من بعد ايضاً دوره حبي كات  
 محبة شعب بأكتفه متجه نحو المقادير الكمية الضرب كما هي حال في الوثائق المتحددة  
 كات روحه الأرقام يمارس سحرها الفها على أرقام حال الاعمال الذين هم ايضاً وشعراء  
 وم المناسب ان سحر ان لا مستلام بلاغوة ، يس من ساء بقاءه خفيري ، وتجديداً الذين  
 يتألمهم السحاح سكين دائم فون ديك ، ب بضمه إلى املاك العائنه وإلى نعت السرب التي  
 نسي الأصوب ، الإحصائية ، كما ان سبوك لأباء في التجمعات أو هي ملائكة صباها هي في اوصاف  
 حديسي السمة من الشائع المصيرة بشدهو ، ومن بختيار مندوا النورثة ، ب السموح المثالي  
 حقاوور برسماني ، كد عرف في ألمانيا بالذات من خلال امته شهيرة بمرور ٢ يسبه  
 سي هو لا ، وصحبي المرحلين إلى هذا الحد ، دا" فهو يوجس جبه من بضمه ولاعاق غير  
 المحدي بقدر ما برنات من استعلاء علاقته مستللاً وعي ويسم من المظهر الحاحية لمفظوه  
 الاحياء التي بضم بها بضره خرب وسبصي إلى درسه جندو ، انارحي بهد السبص  
 الحاسم ان حياته بضم على الأعصاب ، بها سكي ، وهذا ما كان يظهر بوصح في عظه بضم  
 فرائض التي دكر بها بمر أمر سنائي ، ب ، ب يكر بالآخرى هو الصاعده انعت بدو  
 بعد ، هذا على نوع من التوضيح أكثر صديق وصرحه في المصل من هذا التحفظ الذي ينادي  
 به في كلتي بمره وذلك ، فهو لا يهجي شيك بضمه من برونه سوى شعوره اللاعقلاني أنه كعب  
 عمه على أحسن صورة

هذا هو البسيط ما ند ، في نظر الإنسان ما قبل الرسماني ، أنه جوه عرابة والندوة  
 ولاحتصار أن يختار كاتر سري بضمه أو كهدف وحيد في انجلاء عكبه الدحوب إلى البير  
 محملاً بالذهب والبروق هذا ما لا يمكن بمره في نظره إلا ضيق غريم ، حالة دمنة  
 في يامنا وفي ظل من سمات السياسية الفرجية والاقتصادية ، وصم اييه وسبك المظلم



العامة التي تخص نظامنا الاقتصادي، يمكن لروح الرأسمالية هذه، وهذا ما سبق لنا أن أكدناه، أن تكون هكذا وببساطة، مفهومة كنتيجة لعملية تكيف. فالنظام الرأسمالي بحاجة إلى هذا الانفتاح على إلهام كسب المال؛ وهذا الموقف إزاء الثروات المادية متكيف إلى هذه الدرجة مع النظام، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بشروط الديمومة والاستمرار في الصراع الاقتصادي من أجل البقاء، بحيث لا تعود هناك مشكلة اليوم حول علاقة ضرورية بين هذا النمط من العيش وبين أي نوع من المنظور الحياتي الواحد. إن الذين يعتمدون هذا الموقف ليسوا، في الواقع، بحاجة إلى دعم أية قوة دينية، وهم يشعرون أن المحاولات من جانب الدين إنما تستهدف التأثير على الحياة الاقتصادية - في حدود ما تكون هذه المحاولات محسوسة - وأنها تشكل عوائق أمام تنظيم الاقتصاد من قبل الدولة. إن المصالح التجارية والاجتماعية والسياسية هي التي تميل إذن إلى تحديد الأفكار والتصرفات؛ ومن لا يكيف سلوكه مع شروط النجاح الرأسمالي يمضي في طريق الخسارة، أو على الأقل يعجز عن التطور. هذه الظواهر هي التي شهدناها عصر، تمكن فيه الرأسمال الحديث، عند إحراز انتصاره، من التحرر من أوصيائه القدامى. ولكن، بما أن الرأسمال قد بدا قادراً، في تلك الفترة، على تدمير الأشكال القروسطية، الخاصة بانتظام الحياة الاقتصادية، فبإمكاننا أن نقول، بصفة مؤقتة، أنه كان في وسعه أن يفعل ذلك مع علاقاته بالقوى الدينية. تقضي مهمتنا تحديداً بالبحث عما إذا كان ذلك قد حصل وما هو مدلوله.

نكاد نكون بحاجة إلى أن نبين أن هذا الشكل من التصور للثراء، بصفته غاية في ذاته، يجد الناس أنفسهم مكرهين عليه، باعتباره استجابة لنداء داخلي، إن هذا الشكل يصطدم بالمشاعر الأخلاقية لعصور بكاملها. إن المبدأ اللاتيني *Deo placere vix potest* المندرج ضمن الحق الكنسي والذي ينطبق على نشاط التجار، اعتبر، في حينه، وكأن له سلطة القانون (على الطريقة نفسها في تناول الإنجيل مسألة الفائدة)<sup>(27)</sup>. وكذلك الأمر إزاء كلام القديس توما الذي نعت البحث عن الكسب بأنه عمل شائن *Turpitudine* (يندرج في مضمون هذه العبارة معنى الكسب الإلزامي أي بالتالي المبرر في المقياس الأخلاقي).

قدمت الكنيسة الكاثوليكية تنازلات جدية إلى القوى الرأسمالية التي كانت تقيم معها علاقات حميمة جداً في الحاضرات والمدن الإيطالية<sup>(28)</sup>. هذه هي وجهة النظر الأكثر جذرية على صعيد عملية إنتاج الثروة. ولكن، حيث كان يخضع المعتقد للوقائع، كما هي الحال عند القديس A. de florence، لم يغيب غياباً كاملاً الشعور بأن الكسب للكسب هو أمر لا يمكن قبوله والتسامح معه إلا إذا حصل بدافع ضرورات الحياة في هذا العالم.

يقر بعض منظري (الأخلاق)، في هذا العصر لا سيما الأسمانيون، بأن بروز أشكال رأسمالية في الأعمال والمشاريع هو أمر لا مفر منه، ويميلون إلى تبرير تلك الأشكال، لا سيما في التجارة، باعتبارها ضرورية. ويرون في الصناعة التي تتطور عبرها - دون أن يخلو ذلك من تناقض - المصدر الشرعي للربح، وهو ما ليس عرضة للنقد والتهجم الأخلاقيين. غير أن المذهب السائد يرفض «روح» الكسب الرأسمالي، بصفاتها عملاً شائناً *Turpitudine*، أو على الأقل، يرفض أن يضيف عليها





الأصعب على هذه الحقيقة الحتمية، يكفي أن نقرأ، على سبيل المثال، التقرير الخاص بجهود فرانكلين الهادفة إلى إنجاز تحسينات في أوضاع المنشآت العامة في فيلادلفيا. إن الشعور بالارتياح والاعتزاز الناجم عن «تأمينه عملاً» للعديد من الناس، وعن مساهمته في ازدهار مدينته الأم اقتصادياً - بالمعنى الديموغرافي والتجاري الذي تضمنه الرأسمالية لهذه الكلمة - يشكل كل ذلك بالتأكيد جزءاً من لذة العيش النوعية، المثالية بلا ريب، لدى رجل الأعمال الحديث. وكذلك، فإن العقلنة، على أساس حساب دقيق، هي إحدى الخصائص الأساسية في الاقتصاد الرأسمالي الفردي الموجه بتبصر وفطنة وحذر نحو النتيجة المتوقعة، أي النجاح الاقتصادي المتناقض مع حياة الريفى السيرة يوماً بيوم، ومع رتبة الحرفى بين جماعات الحرفيين القديمة وامتيازاتهم، أو مع الرأسمالية المغامرة التي يستهويها استثمار الظروف السياسية والمضاربات اللاعقلانية...

ربما يبدو أن نهوض روح الرأسمالية يصبح مفهوماً بسهولة أكثر إذا اعتبرناه جزءاً من تطور العقلانية بمجملها؛ ويمكن استنباطه من مواقف مبدئية حول قضايا الوجود الأساسية. ينبغي إذاً اعتبار البروتستانتية تاريخياً مجرد «مرحلة سابقة» من فلسفة عقلانية صرف. وتعني المحاولة الجادة في دعم هذه المقولة الإقرار بأن من غير الممكن طرح القضية على هذا الشكل، فتاريخ العقلانية، ببساطة، لا يتطور على جميع الأصعدة بوتيرة واحدة. على سبيل المثال، إذا تصورنا العقلانية تبسيطاً لمحتوى القانون، وإعادة ترتيب له، فإن عقلنة الحق الشخصى كانت قد بلغت ذروتها في القانون الرومانى في نهاية العصور القديمة، في حين إنها ما تزال من بين الميادين الأكثر تخلفاً في بعض البلدان التي بلغت درجة عالية من العقلنة الاقتصادية، كإنكلترا، حيث تحطمت نهضة القانون الرومانى أمام قوة كبار القانونيين، بينما لا يزال القانون الرومانى يحافظ على سيادته في بلدان جنوبى أوروبا الكاثوليكية؛ ولم تجد الفلسفة العقلانية، العلمانية الصرف ساحتها الوحيدة، ولا حتى ساحتها الأساسية المفضلة، في البلاد التي شهدت أكثر أشكال التطور الرأسمالى؛ وفي بلاد الكاثوليكية الرومانية، بقيت الفولتيرية(\*) التشككية حتى أيامنا، الجامع المشترك بين شرائح واسعة من الطبقات العليا - وهو ما يحتل أهمية على الصعيد العملى - ومن الطبقات الوسطى. وفي المقابل، إذا كانت «العقلانية العملية» تعني هذه الطريقة في العيش، التي تعيد العالم، بشكل واع، إلى المصالح الدنيوية للأنا وتحكم عليه على أساسها، فإن هذا الأسلوب في العيش كان وما يزال أيضاً من مميزات الشعوب المؤمنة بمبدأ القدرية، وهو المبدأ الراسخ جداً عند الإيطاليين والفرنسيين. غير أننا مقتنعون أن هذه الساحة ليست الساحة التي ازدهرت عليها هذه العلاقة بين الإنسان وشغله (Beruf)، العلاقة الضرورية جداً للرأسمالية. الحق يقال، ينبغي أن يتصدر هذا المبدأ البسيط، إنما المنسى غالباً، كل دراسة حول العقلانية: يمكن للحياة أن تتعقلن بالتوافق مع وجهات نظر نهائية شديدة التنوع، وضمن اتجاهات شديدة الاختلاف. إن العقلانية هي مفهوم تاريخي يتضمن عالماً كاملاً من التناقضات. وعلينا أن نبحث عن الروح التي ولد منها هذا الشكل

(\*) نسبة إلى الفيلسوف الفرنسى فولتير Voltaire.





بالنسبة للسعادة في الحياة، لذلك وضعت قراراتي كتابة: فهي موجودة دوماً في مفكرتي وأمارسها طالما حييت. والحقيقة أن الإلهام كإلهام لم يكن له أي تأثير علي. ولكن رأيي أنه إذا لم تكن بعض الأفعال سيئة إلا لمجرد أن العقيدة المستلزمة تحرمها، أو حسنة لأن هذه تقرها، ففي المقابل يمكن لهذه الأفعال أن تكون محرمة علينا بسبب سوءها، أو مطلوبة منا بمقدار ما تتأكد منفعتها لنا، وذلك استناداً إلى طبيعتها بالذات، آخذاً بالاعتبار كل الظروف» (Autobiography; New York, Henry Holt, 1916, P. 112).

(7) بقيت بعيداً عن الأنظار، وعرضت المسألة [أي تصميماً لمكتبة كان هو محركها] كما لو كانت صادرة عن عدد معين من الأشخاص الذين طلبوا مني أن أمسك زمام الأمر بيدي، وأن أعرضه على الذين يُعتبرون هواة مطالعة. بهذه الطريقة تم عملي بلا عائق، واستخدمت هذه الطريقة فيما بعد مرات عدة وفي ظروف مشابهة، بإمكانني العودة إليها بحرارة، آخذاً بالاعتبار النجاح الكبير الذي حققته لي. هذه التضحية الصغيرة المؤقتة بتبجحك ستعوض عليك بسهولة فيما بعد. إذا لم يكن معروفاً لبعض الوقت لمن يعود الفضل في ذلك، فسيجد من هو أكثر تبجحاً منك نفسه في موقع من يدعي فعل ذلك، إذاً يغدو الحسد نفسه مهياً لاستعادة حقه وذلك بانتزاع الريشة المغتصبة وإعطائها لمالكها الحقيقي، «Autobiographie» ص. 140.

(8) يتخذ Brentano (م. ن. ص. ص. 125 - 127 ملاحظة رقم 1) ذريعة من هذه الملاحظة، لكي ينتقد النقاش اللاحق لهذه العقلانية ولهذا النظام، اللذين أخضعت النسكية الدنيوية الناس لهما. هذا يعني، كما يقول، «عقلنة نمط وجود لا عقلاني». وهذا صحيح تماماً. لا يكون شيء ما «لا عقلانياً» في ذاته، بل من وجهة نظر عقلانية معينة. بالنسبة للإنسان غير المتدين، تبدو الحياة الدينية لا عقلانية، والنسكية في نظر المتعي لا عقلانية. ولا يهم كثيراً أن يكون الدين والنسكية، على أساس معاييرهما الوحيدة، نوعاً من «العقلنة». ألا يكون مفيداً أن يتمكن هذا البحث من المساهمة في توضيح حقيقة أن البساطة الظاهرية في مفهوم «العقلانية» تخفي في الحقيقة تعقده.

(9) أقدم النسخ الإنكليزية تتضمن Business. أنظر لاحقاً: القسم الثالث.

(10) يدعي Brentano في تقرير لفرانكلين طويل وغير دقيق أنني كنت أنكر مزايا فرانكلين الأخلاقية. يمكن لهذا الاستشهاد أن يكفي، كما يبدو لي، لأن يجعل هذا التقرير خالياً من المعنى.

(11) أنتهز هذه الفرصة لكي أعرض منذ الآن بعض الملاحظات النقدية المضادة. في Der Bourgeois، يؤكد سومبارت، وهو ما لا يمكن الدفاع عنه، أن أخلاق فرانكلين هي ترداد حرفي لبعض كتابات عبقرى عصر النهضة العالمي Leon Battista Alberti. فإلى جانب كتاباته النظرية في الرياضيات والنحت والرسم وفن العمارة والحب (كان يكره النساء)، كتب ألبرتي أيضاً مؤلفاً من أربعة مجلدات حول إدارة شؤون المنزل. وللأسف لم أتمكن، وقت طباعة هذا المؤلف، من الإطلاع إلا على نسخة Bonucci القديمة لا على نسخة Mancini. إن النص الذي استشهد به فرانكلين قد أعيد طبعه حرفياً أعلاه. أين يمكن العثور إذن على مقاطع مشابهة عند ألبرتي، لا سيما حكمة البداية: «الوقت من مال» والمواعظ التي تلي ذلك؟ حسب علمي، أن المقطع الوحيد الذي ينطوي على بعض التماثل، وإن خفيفاً، موجود في نهاية الكتاب الأول من «الإدارة المنزلية» (تحقيق Bonucci، II، ص. 353) حيث يتحدث ألبرتي بعبارات عامة عن المال كعصب التدبير المنزلي وعن ضرورة إدارته بكثير من العناية:





للعمل ونظامهم وحذرهم، الذي ينبغي تشجيعه، من الريفيين، الخ. كل ذلك هو نتيجة تغيير، داخل اقتصاد قائم على العمل الحر، في وضع الاقتصاد المنزلي وفي نظام المزارعة، وفي حكمة Caton التي تنطبق على اقتصاد قائم على العبودية. يرى سومبارت (الذي يُعتبر رجوعه إلى الرواقية من قبيل المكر الأكيد) أن العقلانية الاقتصادية كانت قد «تطورت في نتائجها الأخيرة» على يد Caton، ليس خطأ بشكل كامل، إذا أولنا هذا الأخير تأويلاً صحيحاً. حيث إن من الممكن أن نضع في صنف واحد ال *diligense pater familias* عند الرومانيين، وال *massajo* عند ألبرتي. ومن اللافت أن تعتبر ملكية ريفية في نظر Caton موضوعاً للإستثمار. من ناحية أخرى إن فكرة الصناعة تنطوي على تمايز واضح وذلك بفعل التأثير المسيحي. وهنا بالضبط يكمن الاختلاف. ففكرة الصناعة القادمة من النسكية الرهبانية والتي انتشرت بواسطة كتابات الرهبان هي بذرة التقليد الذي تطور فيما بعد على يد النسكية البروتستانتية الدنيوية حصراً (أنظر لاحقاً). (من هنا وكما سنشير إلى ذلك كثيراً، قرابتها مع التومائية، العقيدة الرسمية للكنيسة، وهي قرابة أقل وثوقاً من تلك التي تربطها بالرهبان المتسولين والأخلاقويين في فلورنسا وسينا). هذا التقليد لا يظهر في كتابات Caton وألبرتي: المسألة في نظر هذا وذاك تتعلق بالتعقل في السلوك الحياتي لا بالأخلاق. وعند فرانكلين أيضاً لا ينكر الميل النفعي، غير أن من المستحيل الانخداع به، كما أن العظة الموجهة إلى التجار الشباب تترك صدى أخلاقياً مؤثراً يؤلف صفتها المميزة. إن عدم الدقة في استخدام المال يعادل، في نظره، اغتيالاً لأجنة الرأسمال - أي **النقص أخلاقي**.

صنّف سومبارت ألبرتي تقياً. غير أن هذا الأخير، بالرغم من تلقيه الأوامر، مثل كثير من الإنسانويين، ونيله الإقطاعات من روما، فهو لم يبرر (إلا في مقطعين باهتين) نمط الحياة التي نصح بها تبريراً منطلقاً من دوافع دينية. إن القرابة الحقيقية بين ألبرتي وفرانكلين غير موجودة إلا في الحدود التي لا يعلل الأول فيها مواعظه الاقتصادية بتصورات دينية وحيث لا يقوم الثاني بتعليلها هكذا أبداً. إن التعليل الوحيد في هذا المجال على الأقل التعليل الشكلي، هو، في نظرهما معاً، النفعية. يمتدح ألبرتي مانوفاكتورة الصوف والحرير، والنفعية الاجتماعية الماركنتيلية «التي توفر العمل لكثير من الناس» (Alberti، م. ن. ص 292). إن تحليلات ألبرتي حول هذا الموضوع هي مثال ممتاز على هذا النوع من «العقلنة الاقتصادية» - الثابتة إذا صح القول - التي نجدتها فعلياً، «كانعكاس» للشروط الاقتصادية، في كتابات المؤلفين الذين اهتموا، في كل زمان ومكان، «بالشيء ذاته»، في الصين القديمة واليونان، في روما، في عصر النهضة كما في عصر التنوير. كما هي الحال في الزمن الغابر عند Caton، و Varron و Columelle، إنها من غير شك نوع من العقلانية الاقتصادية التي تطورت عند ألبرتي وأمثاله وخصوصاً مع عقيدة الصناعة. ولكن من كان يعتقد أن مثل هذه النظرية، وهي من إنتاج مثقفين، كانت قادرة على الإنتشار في قوة ثورية يمكن مقارنتها بقوة المعتقد الديني التي تتصرف بمسألة الخلاص لكي تكافئ طريقة خاصة في الحياة (معقلنة منهجياً في مثل هذه الحالة)؟ وعلى العكس، إننا نرى جيداً ما يمكن أن تقدمه عقلنة للسلوك الموجه بالدين (وللسلوك الاقتصادي إحتمالاً). خارج الطوائف البروتستانتية، يكفي أن يؤخذ بالاعتبار، رغم الاختلافات، مثل اليانين واليهود وبعض الطوائف النسكية من القرون الوسطى والويكيليف والأخوة المورافيين، الذين هم فرع من الحركة الهوسية ومن حركات دينية قامت في روسيا، وأخيراً من بعض الأنظمة الرهبانية.





مختلفاً. إن الذين يشعرون أنهم على اختلاف دائم ومحدد مع أفكار سومبارت، ويرفضون الكثير من مقولاته عليهم أن يبقوا مقتنعين بأهمية ما كتبه.

(14) بالطبع، لا نستطيع هنا أن نتفحص النقطة المتعلقة بمعرفة الحدود ولا النظرية المعروفة المتعلقة بالعلاقات المتداخلة أو المتبادلة بين الأجر المرتفع والإنتاجية المرتفعة، وهي نظرية كان براسي Brasseley قد قدمها، ثم صاغها ودافع عنها برنتانو من الناحية النظرية، و Schulze-Gäveruitz من الناحيتين النظرية والتاريخية معاً. ومع أن النقاش قد استؤنف في دراسات جدية على يد Hasbach (Schomollers Jahrbuch، 1903، ص ص 385 - 391 و 417) إلا أنه لم يبلغ نهايته. يكفي أن نعبر عن موافقتنا على هذه الحقيقة التي ليست ولا يمكن أن تكون موضع شك من أحد: أجور منخفضة وتحصيل مرتفع، من جهة، أجور منخفضة وظروف مناسبة للتطور الصناعي من جهة أخرى، هما أمران لا يمكن أن يكونا، في كل الظروف، متماثلين هكذا ببساطة. وبكلام عام، إن التربية في سبيل الحضارة الرأسمالية، ومعها إمكانية النظام الرأسمالي كنظام اقتصادي، ليست مجرد نتاج لعمليات مالية ميكانيكية. كل لأمثلة المذكورة ليست سوى استشهادات.

(15) لهذا السبب لم يكن إدخال صناعات رأسمالية ممكناً، في كثير من الحالات، من دون حركات هجرة واسعة من مناطق ذات حضارات قديمة. مهما كانت صحيحة ملاحظة سومبارت حول الاختلاف بين المهارة الفردية، وأسرار تربية حرفيين، وتكنيك حديث علمي وموضوعي، فإن هذا الاختلاف كان يُرى بصعوبة في فجر الرأسمالية. في الواقع، من المتعارف عليه أن الخصائص الأخلاقية لعامل الصناعة الرأسمالية (وبمعنى ما خصائص المقاتل أيضاً) تكون أكثر ندرة من مهارة الحرفي المؤسسة عبر عصور من التقليد. وكذلك فإن الصناعة المعاصرة، في خيار نشوئها، ليست أبداً مستقلة عن خصائص السكان هذه، الخصائص المكتسبة عبر تقاليد عريقة وتربية تستهدف القيام بعمل مكثف حين تكون مثل هذه التبعية واضحة، تعزوها الأحكام العلمية المسبقة في الوقت الراهن، إلى خصائص عرقية وراثية أكثر منها إلى تراث وتربية، وهذا ما هو في نظري موضع شك.

(16) انظر دراستي: «سيكولوجية أصحاب المهن»، مجلة أرشيف العلوم الاجتماعية والسياسية الاجتماعية المجلد 28.

(17) يخشى أن تكون ملاحظاتي السابقة مفهومة على نحو خاطيء. إن ميل نوع معروف من رجال الأعمال إلى أن يستخدموا، في سبيل الوصول إلى أهدافهم الخاصة، المبدأ القائل «بضرورة الدين للشعب» ليس له أية علاقة مع المسألة التي تهمننا. وكذلك الأمر مع الإرادة الطيبة عند عدد من الأشخاص، أعضاء الإكليروس اللوثيري خصوصاً، الذين يضعون أنفسهم بتصرف السلطة وفي خدمتها، فيتصرفون «كالشرطي الأسود» رافضين الإضراب معتبرينه خطيئة ومعتبرين النقابيين عملاء «طمع». إن العوامل المدروسة في نصنا لا تعني وقائع إستثنائية، بل وقائع معروفة جيداً تتكرر، كما سنرى، بشكل دائم وبطريقة نموذجية.

(18) الرأسمالية الحديثة، ط. I، مجلد I، ص 62.

(19) م. ن. ص 195.

(20) طبعاً، روح المشروع الحديث العقلاني، الخاص بالغرب، وليس روح هذا الصنف من الرأسمالية المنتشرة في العالم منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، في الصين والهند وبابل واليونان وروما وفلورنسا:

رسماليه المبرزين معوي الحروب ملاكي المخرج، التناظر كبر العجاو وكبر المصور (أنظر  
لقدعه

22) أريد أن لا نذهب إلى هذه المصية لا نجد بيري، جيد إن نيكس المبرور الرسمالي من جهة ومن  
جهة أخرى انضبطت من جهة التي سمح الرسمالي نود انفسه لا نجد ان جبره داخل السريعة  
الاجتماعية ذاتها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العلاقات الاجتماعية والمعتقدات الدينية عبر الكاليفيه  
التي نجد من ناحية الرسماليه إلا أن الرسماليه في البلاد المنخفضة كـ «و» والأسباب  
بعضها فيها بعد مخرج كما كان اسما بالقياس للمعنى الدقيق إن البرجوازية الصغيرة  
والثوسطه الطبقة الصناعيه حيث تتحدد بشكل اساسي المضاربه، كانت في المرحله ونداره  
مؤلفه، في حده كيه منها، من صفتين وبنود جبره بالاعمال المصنعيه ويندرجه الكاليفيه عن  
السوء «عندما يرى من مظهره غائره بالهناك كبير وبنود: من كل مكان وغير جميع  
بعض». ونجد «الغائره بال» لتطمين الرهائي «الغائره بال» للمعنى الصناعي من يظهر إلا في الامثال من  
المصر الوسيط إلى العصور الحديثه

22) اسفر حو. هذه النقطة التحليل التي قدعه 93 Malinak Zurich

23) الصوره التي نرى هي «مدرج مثالي» من «المصور» عليه انطلاقا من مروط مفره في مصداق محتمله  
وفي امكانه موجه وهي لا تصحح إلا لتقديم دليل إنه نقاب الاقيه إن الاكر من هذه العمليه، في  
الأنثى الحصريه التي «تكرها بها» قد حرب بالهضط حسب الطويقه المذكوره

24) بعد السب من بر سبته اخرى ويرى من نتيجة الصده، كانت كل هذه المرحله الارض من  
عقله الصناعه الاكاديميه قد توافق مع تفهم طرد «انثيه» للمبشعه في الخيله البريه  
(25) وقد لا يعني اللون بأن حركات محيط الممدد الثمين يسبب دس هنيه اقتصاديه

26) لا نقوه لا يعود لا الرسط المقدر الذي يشكل ماده، ويراى إلى جرم متوسط جبري هو  
مفهوم «المدرج المثالي» نظر. سي في مجته ارجف العلوم الاجتماعيه والسبب الاجتماعيه جديد  
9 رافد «أجد طبعها» حد موت غير في «مجموعه مقالات حول منهجية العلوم الاجتماعيه»

(27) ربما يكون هذا المكان المناسب للتوصل إلى بعض الملاحظات حول بحث Keller «نقطة سبي أن  
محدثاته وفكر سوب ب. نضعها وذلك ضمن الحدود التي يبدو فيها جزء من السياق الحالي  
إنه الأمر بصعب تصويره أن يعتقد قاصد ما في «البحر» الكهوي بالذات، وهي التي بعد  
محدثه في كل الاختلافات النقيه في العالم قد سجدت فيها كمعيار، حاسم بين لاختلاف الكاليفيه  
والأجري البروستاتيه في حين أن هذه الدوله لا سير نحن إلى ذلك إلا في ملاحظه عرصبه حوب  
ببعض التفسير العام يجر ألا ينادى. «العدوى المولود» المعروفه أو بالأحرى بلد التي أصبح  
مفسرنا هي السبب، الصرخ عند الرخصه قد كوكي في العر السادس عشر كل تاريخ  
البحر حوب اليوساب المبرين وتاريخ الكليه في البلاد المنخفضه إن «التيوساب» في «الكليه»  
كانت مظهر من المظاهر الجذريه سبب هذه المسئله عند (أنظر بد انفسه) ملاحظه من 2  
مظهر كالم الأكثر سبب (الذي لم يكن مع ذلك) أن جوده «تجربه» من جوده  
مبطله «البحر» المظهر بشكل حاسم إلا مع Salmasius سبب أن في موجه «الناقص» الام  
على العكس مما



لكن الأمر يختلف بالنسبة للحجج الخاصة بالمؤلف . إذا قارناها بكتابات Funck (التي لم تنل برأيي ما تستحقه)، وبكتابات كتاب كاثوليكيين آخرين، وبأبحاث Endemann، الهرمة في بعض نواحيها، إنما الأساسية دوماً، فهي تعطي انطباعاً بسطحيته. صحيح أن Keller قد احترس من المبالغات المشابهة لتلك التي تستخلص من ملاحظات سومبارت . بالنسبة إلى هذا الأخير، تحدد «الرجال الأتقياء» (S. Bernardin de Sienne و S. Antonin de Florence) الرغبة في تحريك روح المؤسسة عبر كافة الوسائل، وهم يؤولون بالنتيجة تحريم الربا بشكل يستثنى منه ما نسميه الاستثمار المنتج للرأسمال، وهكذا كانت تجري الأمور تقريباً في كل العالم . ينبغي الإشارة بشكل عابر إلى أن المسألة تتعلق «بكتاب أطروحة» في أسوأ معاني الكلمة . أليس ذا دلالة أن يضع سومبارت، من جهة، الرومانيين في عداد الشعوب «البطولية» وأن يعتبر، من جهة أخرى، - بالتناقض مع مجمل مؤلفه - أن العقلانية الاقتصادية قد دفعت على يد Caton حتى نتائجها النهائية (م . ن . ص 290)؟

استناداً إلى ذلك، فقد حرف بشكل كامل معنى تحريم الربا وهو ما لا يمكن أن نعرض تفاصيله هنا . إن هذا المعنى الذي غالباً ما جرت المبالغة بشأنه في السابق، هو اليوم مغبون القيمة؛ ففي عصر ينتج عشرات المليونيريين الكاثوليك كما البروتستانت، قلب هذا المعنى رأساً على عقب لغايات المنافسة عن الدين . ومن المعروف أن تحريم الفائدة لم يُلغ، بموجب تأثير الكتاب الديني، إلا خلال القرن الأخير، وبناء على تعليمات من مجمع محكمة التفتيش، ومن خلال الخطر الذي فرض على النجيين، لكي لا يرحموا التائبين بأسئلة عن الربا إذا ما تأكدوا من طاعتهم والتزامهم بالتحريم، إذا ما أعيد العمل بموجبه مرة أخرى . لقد أفسحت العقيدة في المجال أمام مجادلات لا حصر لها، حول تبرير شراء السندات وحسم التبادل، أو أيضاً حول شرعية أشكال العقود الأكثر تنوعاً بالنتيجة، وخاصة إذا أخذنا بالإعتبار أن قرار محكمة التفتيش المشار إليها أعلاه يتعلق بقرض بلدي، فإن من يدرس المسألة بجدية لا يمكن أن يدعي أن تحريم الربا لا ينطبق إلا على قروض خيرية للإستهلاك، وليس على قروض يكون الهدف منها «المحافظة على رأس المال» أو مساعدة مشروع رأسمالي (م . ن . ص 25) . والحقيقة هي أن الكنيسة لم تتراجع إلا متأخرة جداً عن تحريم القروض بالفائدة . وحين فعلت ذلك لم تكن الأشكال المستخدمة في الاستثمار التجاري هي أشكال القرض ذي المردود الثابت، بل أشكال القروض التي تكون المشاركة النسبية فيها قائمة في الربح وفي الخسارة . وينبغي أن تكون بالضرورة كذلك إذا أخذت بالاعتبار الميزة الخاصة بربح المداول . لم تكن هذه الأشكال مدانة (إلا من قبل بعض الكهنوتيين المتشددين) . ولكن، بعد ذلك، حين شاع توظيف الرساميل على أساس فائدة ثابتة وشاعت الحسومات، إصطدمت هذه الأشكال بدورها بصعوبات ناجمة عن تحريم الفائدة - وهي صعوبات أدت إلى اتخاذ إجراءات قاسية من قبل كبار التجار (اللائحة السوداء!) . ومع ذلك، كان الكهنوتيون يتعاملون مع الربا بطريقة قانونية صرف وشكلية، ومن غير هذا النزوع إلى حماية رأس المال، وهو ما كان Keller ينسبه إليهم خطأ . وأخيراً في حدود ما نستطيع ملاحظة الموقف الواضح، كانت العوامل الحاسمة هي التالية: من جهة، عداء تقليدي وضعيف نسبياً ضد قدرة الرأسمال المتعاظمة التي تعتبر غير شخصية، وملائمة قليلاً بالنتيجة لرقابة أخلاقية (كانت تصريحات لوثر حول Fugger وأعمال البنوك إنعكاساً لذلك) . من جهة ثانية، ضرورة التكيف مع الحاجات العملية . غير أننا لن نناقش الآن ذلك، لأن تحريم الربا وتاريخه، كما ذكرنا سابقاً، ليسا بالنسبة لنا إلا

عربيا من الأعراس وذا تأثير محدود جدا.

إن خلاف الإسكندرية الاقتصادية خصوصا بعض اللاهوتية نسبة في الغرب الرند هم  
لاسي S. Antonin de Florence و S. Bernardin de Sienni في حلال الرهبان الديار بعزم  
مقدم الشبكة على سرعة خاص منصوص دون أي منتهى. لا يكون موضع حبه على حده  
يمكن رده المسألة في نفس عرصي. إلا أن نفس مبرر يرد على الإقتدار. أن من الكلام  
من الأعلى الاقتصادية في الكاثوليكية. عن علاقتها لإيجابية بالرسالة. بالكتاب المعين  
يبدون جهد متخذين في ذلك على بعض التبعين، لكي يفسره. بحسب كانه الآخر. في  
من صياحه. وبكي يبرر رده من وجهة نظر حلاله بالطبع Keller لا يمكن أن يطمح لأكثر من  
ذلك.

إن مفهوم اقتصاده وإذ حله جماعي دحمان في التحليل الأخير عن الشبكة الربحية. احتمالاً أيضاً من  
فكره! Masserizia التي سخرها ألبى. كما يعرف هو نفسه ذات على سان Giannozzo من  
مصادر كهوية. ستقول فيما بعد وجرى من الوصوح والاكتمال بأي معنى خبير الأخلاق. ثم هببه مبلغ  
الشبكة الدينية من الطوائف البروتستانتية. وبعد تأثير الأفكار عند السبيل. اليوناني. كما يرى  
ذلك يعرف هيبه متأخر على المصادر. وبدلاً في عصر. وإن في سياق مختلف واختلاف كبير. في  
الأهم في نظره. في مناقشتهم كلياتهم أنيرج. بعض تصور خاص. جد. وقد ما مراد فيما بعد  
عن الشبكة البروتستانتية. في تحقيق الحلاله البردي. من خلال ممارسة المهنة. بالتحديد. المرتد  
النسبة التي يعرفها عند المعتد الديني. من خلال المبدأ. والتي لا يمكن أن يوفقها الكاثوليكية  
بالضرورة. وذلك بفعل طبيعه لوسائل التي تستخدمها في الحلاله. وهي مختلفه حلالاً كلياً. وهم  
مؤلفون في الواقع. تمديد الأخلاقية ولا يهتمون. في شريكات العمل الحي التي يمكن أن يسم  
عن الروحية بالحلاله في المقام. من السهل. و به أنهم مسجون بالتكيف مع الضرورات العملية  
ربس. كما هي الحال في الشبكة الدينية. مع مساهمة بإطلاق من فئات في شكل سامي  
وتنقل عن S. Antonin و S. Bernardin حصص مدارة لهم من Keller وذلك من بعد  
وما زال هذه التكييف موضع جدال في باد. غير أن معنى هذه التصورات الأخلاقية الربحية. بعضها  
أعراهم. ليس قليل الأهمية.

إلا أن الجذور الحقيقية للأخلاق الدينية، التي حسب الغربي أحد التصورات الحديثة المتعلقة بالمهنة،  
جاءت حتى الطوائف والفرق الطوطية، وخصوصاً از Wielif مع أن برودينر Brodmaz يتلخ في  
تقدير أهمية هذا الأخير غير يعتقد أن تأثيره كان من الكيم بحيث لم يفسر نظريته ما فعله ليس في دمجها  
وذا يجوز ما أن يدرس كل هذا بالتفصيل. لأنه ليس هذا مجال درس الأخلاق المسيحية في العصر  
الوسطوي. إذ كانت قد هزل السبل بروح المرحابة وفي حالة الإيجاب إلى أي حد فعل ذلك  
28. إن بعض التعديرات اليمانية لم يكن ناه عمية الإقراض. كانت مطلوبة من جميع الأخوة وحتى من الفقراء  
بالدب من ثوب. إذ تكون فيها مشكلة فائدة. نفس إلا أن مطلق Deoplares vix potest  
صوب أريانية (وهو من وجهة نظرنا عن ثوب فومه عمية  
29) برز مثلاً في القرن الأو. الفصل XV من المضمون Arte diculimada أي شكل يمكن به  
بحرر بحرية الر. وعلى الخاص. ب. يس. على عمية التكميل. عن. دسب. ثم حرر. الأخوة.



الذين يرى أن اللجوء إليهم أمر حسن، وأن يقوموا بذلك بالطريقة التي تتلاءم أكثر ما يكون مع الهبة، خدمة أو ثواباً، وذلك تبعاً للفائدة المنظورة خلال العام المنصرم، حسب العادة]. ينبغي إذن أن يُرى في ذلك، من جانب الجماعة، طريقة في منح الغفران، عن طريق التلزم، لأعضائها، على أعمالهم ونشاطاتهم المهنية. إنَّ التوجيهات الموجودة في النص الذي يلي مباشرة، وكذلك التوصية (الفصل 63 الذي يسبق) بحساب كل الفوائد والأرباح وكأنها «هدايا» تبين بطريقة نموذجية أن الاستفادة من رأس المال لم تدخل بعد في صميم العادات. إن اللوائح السوداء التي تنظمها البورصة في أيامنا ضد عملاء التصريف الذين يحتفظون لأنفسهم بفارق صرف العملات تذكر بالسمعة السيئة التي تلحق بمن كانوا يدافعون عن الربا أمام المحاكم الكهنوتية.





إن ذلك هو الأساس الطبيعي الذي لا يستغنى عنه، في حياة الإيمان، الأساس المحايد في ذاته كالطعام والشراب<sup>(6)</sup>. غير أن الشغل Beruf يتخذ في نظر لوثر مزيداً من الأهمية بمقدار ما يعمق فيه فكرة ال Sola fides ويستخرج منه النتائج المنطقية، معرباً دوماً بمزيد من المرارة، عن معارضته «النصائح الإنجيلية»، كما تعرضها مؤسسات الرهبنة، لأن هذه النصائح «يملئها الشيطان» حسب رأيه. ليست حياة الرهبنة، في نظره، خالية فحسب خلواً تاماً من القيم، باعتبارها وسيلة لتبرئة النفس أمام الخالق، بل هي تصرف الإنسان أيضاً عن واجباته الدنيوية، وتظهر، في نظر لوثر، كنتاج للأنانية وقساوة القلب. على النقيض من ذلك، يبدو إنجاز المشاغل الوظيفية الدنيوية، في نظره، تعبيراً شكلياً عن حب القريب، وهو ما يبرره بهذه الملاحظة القائمة على أن تقسيم العمل يرغم كل فرد على العمل من أجل الآخرين. تتعارض السذاجة القصوى في وجهة النظر هذه، بطريقة تكاد تكون كاريكاتورية، مع أفكار آدم سميث<sup>(7)</sup> المعروفة حول الموضوع ذاته. إلا أن هذا التبرير الذي يتميز بالجمود لا يلبث أن يختفي، مفسحاً في المجال أمام الفكرة التي تؤكد، بتكرار متصاعد النبوة، أن القيام بالواجبات الزمنية، في كل المناسبات، هو طريقة العيش الوحيدة التي ترضي الله. إن إنجاز هذه الواجبات، وحده، هو إرادة الله، وبالتالي فإن لكل المهن المشروعة القيمة ذاتها أمام الله<sup>(8)</sup>.

أن يكون هذا التبرير الأخلاقي للنشاطية الزمنية واحداً من أكثر النتائج أهمية في الإصلاح الديني، في عمل لوثر بشكل خاص، هذا ما يقع مطلقاً خارج الشك وما يمكن اعتباره أيضاً بمثابة نقطة مشتركة<sup>(9)</sup>. كم هو بعيد هذا التصور عن عقلية باسكال التأملية، بحقدتها العميق وكرهها لكل نشاطية دنيوية ينكر لها أية قيمة، ولا يرى فيها، وهو ما يقتنع به داخلياً، سوى الغش والباطل<sup>(10)</sup>. إنه أيضاً تصور أكثر بعداً عن التكيف مع العالم، الليبرالي والنفعي الذي تحققه الاحتمالية اليسوعية. ولكن كيف يتمثل تفصيلاً المدلول العملي لما آلت إليه البروتستانتية؟ يمكن عادة تصور المسألة وإدراكها عقلياً بوضوح، أكثر من الإحساس بها بطريقة غامضة.

بادئ ذي بدء - وهل الأمر بحاجة إلى توكيد؟ لا يمكن «لروح الرأسمالية» أن تُنسب إلى لوثر، لا بالمعنى الذي أضفينا على هذه العبارة حتى الآن، ولا بأي معنى آخر. إن الدوائر الدينية، التي تحتفل اليوم وتشيد بأقصى الحماس «بالحدث» الكبير الذي هو الإصلاح الديني، ليست بأي شكل صديقة للرأسمالية. فقد رفض لوثر نفسه بفظاظة كل علاقة قريبي مع ما يمكن تسميته طريقة التفكير الفرانكلينية. ونضيف أن اتهاماته ضد كبار تجار عصره، من أمثال فوجر<sup>(11)</sup> Fugger، لا يمكن بالتأكيد اعتبارها مؤشراً أياً يكن الأمر: إن الصراع، في القرنين السادس عشر والسابع عشر نظرياً وعملياً، ضد امتيازات كبريات الشركات التجارية هو أمر يمكن مقارنته، في الحقيقة، مع الحملات التي تشن في أيامنا ضد التروستات، ولا يمكن اعتباره، شأن هذه الأخيرة، تجلياً لوجهة نظر تقليدية. ضد هؤلاء الأفراد، «الصيرفيين» اللمبرديين والمحتكرين وكبار المضاربين والبنكيين ذوي الحظوة لدى الكنيسة الانكليكانية من جهة، وضد الملك والبرلمان في كل من فرنسا وبريطانيا من جهة أخرى، قاتل الطهريون البوريتانيون والهوغنوت من البروتستانت قتالاً ضارياً<sup>(12)</sup>. وبعد

مجريه دايخ Number (سبتمبر ١٩٥٠) ٦٥٩ وكتب كروميريل الى سبرينج دايك ١٩٥١ فيصفه عظيمه كـ  
 ارطال الوصافه، وقد كاتب احدو هذه الوصافه شطوط وجود العديد من المقامات من طر حصه  
 من الاعياد وان ديث لا يتقدم المصنفه العامه ١٤٠٠ في لسان عظمى ٥٠٠ وويل فيما بعد محمداً  
 بعينه و اسماعليه "سوع خاص" من حجه حري عر سوبر في كثير من التصريحات و الجواهر  
 صد الرب والعائده عموماً، وحب صيحه الكتب ان صانعي عجب مر ٥٠ اي الشمس عجم و هي  
 بالمقارنه مع التصو. ان المدرسيه القروسطيه "المشارقه على نهايتها، اراء و منجده" بوصوح من  
 وجهه نظر سماليه من بين عدد ٤٠٠ صيحه انديعه المنجده بعضه الجبال و هو ما كان قد  
 فقه سان انطوان دو فلورانيس

غير انه يسر من العلم في الدخول في التفاصيل من خطبي عليه، على صعيد البسوث  
 الحياتي فكره "الهام" الدعوه اند حيه Beru بالمعنى تبني بنكته، فان ان يور ناويلا  
 مسي و السبحه لاري من نتائج لاصلاح الديني تكمن على الصيحه من النظر. ان الكاثوليكيه  
 في مضاعفه المثلث ١٠٠٠ بعضه الديني نبي يوقها بدو من عمده البيومي صحر في اضر وضفي  
 وفي جعلها مدده حلاقيه ١٠٠٠ بعضه هذه "الهام" الدعوه اند حيه كرا Beru حيه بغير عد التعبير  
 عن نفسه، قد يجره حد دلب الحجب الشطوط تبني في مختلف الكنائس التي حصبه  
 بلاصلاح الى النفوذ النوراني الذي اعتقد بوبه ان استخراج منه هذه الفكره الايمانيه يساعد على  
 التاويل لتبديي بوصف العهد القديم خصوصاً، مسجداً في البوابة الحقه "الحيا" التي يحطلي  
 خلفه هذا العالم منقصب في مارك حري على عزم عناصر اديه منها اي نظريه بوصف  
 الى صيغه فكره حيه معائنه ديني عبيديه صام على البصر ان يسعي و "مختص" فوه باركا  
 تكلفين يحورون. اربح حد هو المعنى حري سطوي عليه كل المقاصد التي تساور بسحا  
 مباهم المساعل الديويه بسجي العوده الى التمدد بسحب على موقف مختلف ختلاف حريه  
 على الاخر ١٠٠٠ بسبب حريه بسجلى البسوث السطحي يسوع في ظهوره الكلاسيكي وفي صلاه  
 الصره تبنيهم احمه دأعصا خرب كفاو بزماو كي بسعد يكون فكره السعل خديه  
 مسويه بن عصب العلم رفض حد يال و الاخر "المسيحيه الاولى" في د الرما في العهد  
 الجديد و لا سيما عند القديس بولس هي جيل مسعد عكره الانظار لأخروج و عبر السطح  
 بوطيقي من انه عليه لأهميه و اعتماد هذه نوع من الاملااه، و حتى طريقه هي في البصر  
 طريقه تبليديه مسقيه ١٠٠٠ كي لأهميه بظفر صجي، الرما رما ١٠٠٠ فو ريمو او هي وصحه  
 اهتمامه تبليدي حيه يديه ١٠٠٠ الرما و انه يعمل كما كان من قبل، فإنه بدت لا يعيس على  
 بظفر خرق رموه ديث وان مثل هذه نجاحاً على غير موجوده لحد صويل رما فو ريمو ١٠٠٠  
 بظفر خاص حقيه التي نظور ١٠٠٠ ريمو عجم ١٠٠٠ في وجهه تبليديه اكب دت ١٠٠٠

بما أنه كان يعتقد في الجبهه هي من طبعه المسحوق، فقد سبهم باني بوبه نفسه فربح جد  
 من الاملااه الأعزوه كما عرفت عند القديس يوسف و دت في السور ١٠٠٠ في عمله بظفر



فيما يتعلق بالأمور الدنيوية. إنها اللامبالاة التي عبّر عنها القديس بولس في (I, Cor, VII)<sup>(17)</sup>. بإمكان كل فرد أن يصنع خلاصه في الوضع الذي يكون فيه، خلال رحلة الحياة العابرة، ومن العبث تعليق الأهمية على نمط المشاغل. ذلك أن متابعة كسب مادي، يتخطى الحاجات الخاصة، ليست سوى مؤشر على غياب النعمة أو البركة الإلهية، وبما أن هذا الكسب يبدو غير ممكن إلا على حساب الآخرين، فهو أمر مرفوض مطلقاً<sup>(18)</sup>. غير أن لوثر كان يزيد من تشديده على دلالة العمل الوظيفي كلما انخرط بالأعمال والمشاغل الدنيوية، وهذا ما دفعه إلى مضاعفة تقديره بأن العمل الوظيفي هو أمر خاص، يوجهه الله إلى الفرد لكي يضطلع بمهمة ملموسة حددتها العناية الإلهية. إن النسق التاريخي الملموس، الذي وضع الله الفرد فيه، قد أصبح، في نظر لوثر، وبشكل متزايد، تعبيراً مباشراً عن الإرادة الإلهية، وذلك في أعقاب صراعاته ضد الاشرافيين والاضطرابات الفلاحية<sup>(19)</sup>، فالتشديد بحدة متزايدة على عنصر العناية الإلهية، حتى في الأحداث الخاصة في الحياة، أدى به، أكثر فأكثر بعد ذلك، إلى اتباع تأويل تقليدوي مستند على فكرة الأمر الإلهي، إذ ينبغي على الفرد أن يبقى طوعاً في الوضع وفي الوظيفة، حيث وضعه الله، وأن يحافظ على تطلعاته الدنيوية، في الحدود التي تتطلبها هذا الوضع. وإذا كانت السلفية الاقتصادية في البداية نتيجة اللامبالاة البولسية، فقد غدت فيما بعد تعبيراً عن الإيمان المتزايد العمق بالعناية الإلهية<sup>(20)</sup>، هذا الإيمان الذي يحدد الطاعة العمياء لله، والخضوع غير المشروط للحالة المرسومة<sup>(21)</sup>. انطلاقاً من ذلك فشل لوثر فشلاً ذريعاً في إقامة صلة جديدة، أو على الأقل، صلة تقوم على مبادئ أساسية، بين المشاغل الوظيفية والمبادئ الدينية<sup>(22)</sup>. إن نقاء العقيدة، كما انفرضت عليه بطريقة ثابتة بعد معارك العشرينات 1520، وبما هي معيار وحيد لا يخطئ عند الكنيسة، يكفي، في ذاته، لكي يحول دون تطور وجهات نظر جديدة في المجال الأخلاقي.

هكذا استمرت فكرة الإلهام أو الدعوة الداخلية، تقليدوية في نظر لوثر<sup>(23)</sup>. ويبقى على الإنسان أن يرضى بعمله، باعتباره مفروضاً عليه بأمر إلهي، وعليه أن يتكيف معه. هذه الفكرة تختلف قليلاً عن الفكرة الأخرى وترجح عليها، تقول الأخرى أن النشاطية الوظيفية هي مهمة، أو بالأحرى المهمة الموكلة إلى الإنسان من قبل الله<sup>(24)</sup>. لقد شددت اللوثرية الأرثوذكسية على هذه السمة خلال تطورها. النتيجة الوحيدة المباشرة، على المستوى الأخلاقي، هي إذن نتيجة سلبية: فقد ألغي استبدال المهمات النسكية بالمهمات الدنيوية، وألقيت، في الوقت ذاته، العظات الداعية إلى طاعة من هم فوق، والخضوع إلى شروط الوجود التي وضعتها العناية الإلهية لكل إنسان مرة وإلى الأبد<sup>(25)</sup>. سنرى، حين سنناقش حول الأخلاق الدينية القروسطية، أن هذا التصور اللوثيري عن العمل اليومي كان قد جرى تحضيره بعناية، من قبل العلماء الروحيين الألمان. لتتذكر فقط المساواة التي أقامها Tawler، من حيث المبدأ، بين الأعمال الروحية والأعمال الدنيوية، إضافة إلى التقدير القليل الذي بموجبه رأى الأشكال النسكية التقليدية أهلاً للاعتبار<sup>(26)</sup>. تنبع وجهة النظر هذه، في رأيه، من الأهمية الحاسمة التي يوليها نظامه إلى طريقة التأمل والافتتان التي تتبعها الروح في تملكها ما هو رباني. لقد سجّلت اللوثرية، بمعنى ما، تراجعاً، وذلك في حدود ما أضحت

الأسس البيكونومجية بالأحلال العقلانية في الحقيقة عدد نوب أو دأخرى في كينته امر  
مشكوكا فيه، ففكره مع العلماء الوجيه يسب تصور ان هو لاء، حول هذه النقطة، بميدة الشبه  
جريب غير تصور ان المصير، وحربا بقضا عن تصور ان الصاحبير الـ qiakuts  
البره سندس في الامره كدندك بالتحديد وهذا عفا ان نرهه دسنت و الـ الجبل إلى  
الهدم السكي كان في نظر نوب متهما في كونه يحدو - انوصون في العلاقه وانعزل عن طريق  
الأعمال و لأبعد - الأمر الذي ان - ، بكنيته معه التي وصح هذه الفكرة ودفعها بكرهاكر إلى  
المقام القانومي

هكذا ومهم امكر - " واحد دند بع - لأخبار على الأ - قبل فكره لإنهاء او الدعوة  
الباطية Bural بالمعنى النوبري هي على لأكر داب حجم مكمل - أنه إلى بحيا هد كإ  
م عفا ان يحدده هذا - وهو لا يعني أن الفصيلة النوبرية المنعقدة بإعادة تنظيم الحياة البية  
بحكم ان تكون عالية من الدلالة العلمية، بالنسبة لبعض ت - سنا على معنى المحكم صماء - او م  
انديهي الانجيم لأهمية بي - بدبها - مبره - على موقف نوب وكنسبه راء الساطح الديوي  
ونه رما يحد سنده الاستيعار عموم الأ في و - ح - م البرويستانية بدو من انمفضل  
إبن ار ضيع في جدم و - لاسكا البرويستانية التي تكون فيها العلاقة بين الحياة العلمية  
والروحية كم فاسية على الإحاطة الفهم منه في بدبيرة بعد عرض بدور الذي بعته الكالفينية  
والغولف او المرو البرويستانية الأخرى في تطور الرسامالية مقام خلاوت نوب مع وسعي  
الـ m. n. g. المنع ونفسه فحسفه على علميه برر العلاقات التي قامه ورثه الروحيات مع  
الكالفينية ثم ان الكانويكيه كذب بخير الكالفينية وم نأر عسره حتى يافت الحضم  
الحققي يمكن تفسير دند، من ذوا صا بسياس سياسي صراف ويبقى لأصلاح انديهي ام  
يصعب تصور - من دون التور - ديبه في قام با - ونر بعد حل طويلا بحمل بصمات شخصية  
غير ان انه لم يدم في المخرج من دون الكالفينية لكن سبب الرعب الذي تركه الكالفينية في  
انكانو يكيين والنوبريين صمد بقا إلى حصصه بانه لأخلاقه ملاحظ م النظر الأولى، أن  
انقلاب الهي أقوم في الحياة الدينية وتمدن الديوي يختلف حثلا كبير عن تلك المعروفة في  
اكانويكيه وفي حوربه يستخلص دند حتى في لأع لأديبه التي بعته حصر دواغ ديبه  
ساحد على سبل العند، جابه بكون ميدان الإخيه جيد يثنى السهر، في الحق، صامت في تأمل  
سببي لأمر البه، وحقان دند - بهذه هذه الفصيلة الأخرى التي جرب البه على سببها  
والكم ميدان الإنهية لدى الظهيرة - بعد وصفت عمليه الطرد م الحق لأرضيه يحكم مبدون Wilton  
الشريد الأخير من القردوس المفقود

وحسب التصو إلى التور

شاهدو الجهة الشرقيه من القردوس

وحتى ذلك الحين بقي معدوم السعيد

يتأرجح بالشعنة المتهمة



وازدهمت البوابة بوجوه مخيفة

وسواعد متأججة.

ذرفوا بعض الدموع الطبيعية وسرعان ما كفكفوها

كان العالم كله أمامهم وكان عليهم اختيار مكان للراحة، حيث تحرسهم العناية الإلهية

وفي طريق مقفر من جنة عدن

ساروا يداً بيد بخطوات بطيئة تائهة.

قبل أبيات عدة كان ميخائيل رئيس الملائكة قد توجه إلى آدم بهذه العبارات:

عليك فقط أن تضيف إلى معرفتك المسؤولة أفعالاً.

أضف الإيمان والصبر والاعتدال

أضف الحب الذي يدعى المحبة،

فهو الروح لكل ما تبقى.

حينئذ لن تمقت الخروج من هذا الفردوس

لأنه سيكون في داخل ذاتك

فردوس أكثر سعادة بكثير.

نشعر مباشرة أن التعبير الفعال عن الانتباه الجدي الذي يوليه الطهري للعالم، وأن هذا التقييم للحياة الدنيا المعتبرة مهمة قيد الانجاز، أن ذلك كان مستحيلاً أن يقوم به كاتب من القرون الوسطى. لكنه ليس أقل غرابة على اللوثرية، كما تتجلى في التواشيح الدينية عند لوثر وبول غيرهارت P.Gerhardt. علينا أن نستبدل هذا الشعور الغامض بصياغة منطقية أكثر تحديداً وأن نعلل الاختلاف. لا يعني التماس «الطابع القومي» فحسب الاعتراف بالجهل، هكذا وببساطة، بل هو يغدو، في الحالة الراهنة، أمراً يصعب تحمله إطلاقاً. أن يعزى إلى انكليزي القرن السابع عشر «طابع قومي» وحيد، فهو ما يعتبر تاريخياً أمراً خاطئاً. إذ ليس «الخيالة» و«الرؤوس المستديرة» مجرد حزبين بل هما صنفان من الناس مختلفان اختلافاً جذرياً، والذي يراقب الوقائع عن كثب يرغب على تصويبهم، أي إعطائهم حقاً<sup>(29)</sup>. من ناحية أخرى لا توجد فروقات في الطبائع بين التجار الإنكليز المغامرين وقدامى التجار التحالفيين، خلافاً لما ظهر في نهاية العصر الوسيط من اختلاف عميق في الطبائع بين الإنكليز والألمان، وهو ما لا يمكن تفسيره بمجرد التباعد بين المصائر السياسية لدى كل منهما<sup>(30)</sup>. إن تأثير الحركات الدينية - ليس الوحيد وإن كان الأقوى - هو الذي يقف وراء هذه الاختلافات التي نشهدها اليوم<sup>(31)</sup>.

وبالتالي، إذا انطلقنا، في أبحاثنا حول العلاقات بين أخلاق البروتستانتين القدامى وبين نمو الروح الرأسمالية، من ابتكارات كالفن، من الكالفينية ومن سائر الطوائف الطهرية، ينبغي ألا نستنتج من ذلك أننا ننتظر العثور عند أحد مؤسسي أو ممثلي هذه الحركات الدينية، هدفاً معيناً من الجهد الإنساني هو إيقاظ ما نسميه «الروح الرأسمالية» مهما يكن معنى ذلك. إننا، وبشكل أكيد،

لا يبعد ان التحد عن الزود تدجوه مظهر اليه كهدف في ذه كان قد سى انه فيه خلاصه  
 عدد ي منهم على ذلك عمده لاغيره لم يسكن برامج الإصلاح الاجتماعي، بالنسبه لأى به حد  
 من المصنحين لم فيهم فيه Mendo، فوسم Fox، ويسمى Wensu العمل المسيطر  
 فهو لاء الاستخاص لم يكونو على نى مسود مومسي بمصنعه من حور والثباته الاخلاقيه ولا  
 المبتلين لأمسك الإصلاح الاجتماعي الاساسي و التمثيل حسب الثقافه به خلاصه  
 المقوس حده هو بنى منى محو في حياتهم و عفايه به لم محب سبب لم  
 هداهم الاخلاقيه والتحيات العمديه عدلدهم ولم نكو سوى النتائج، واقع دينيه ضروري عند  
 بسبب غلبه ال موقع لم يده نأثير ان الإصلاح الديني على الثقافه، في حاد سياسي منها  
 ومعنى الأول من وجهه نظر الحاصه في الجامع بر حبح، سنده نتائج غير موقفه غير مرقور  
 فيها حده المصنحين، نتائج بعيدة في الاعتب عن كل ما كان مرسومها به ينجم ومقتضيه  
 حاد مع هذه العاده

وهكذا فإن بركات الداء من الزهد، في حياتها المتنوعه في تفسير كتيبه حاد  
 الأفكار الر فوزه، ربحيه فعائنه وخصي بسبب في مو يقامه حور المعمر الذي يمكن أن يعرفه  
 الز فاعبه الداء قد المستعده لآذرك، سمح لآذرك به تغلب بعض الملاحظه على ال سحر هذه  
 العزمه الأولى على ذلك عمده من الدينيه يسر المقصود انه محاولة تفصيل ادراك الإصلاح الديني  
 معنى سياسي حاد في أن يني مختلف فعليه به توجه دوم وحده الإصلاح الديني، يحسم  
 من أن ظهر وكأنها مانويه وخصي سلفيه، امام وعي ديني حقيقي لقد حاد، ببساطه، أن يحدد  
 الحاصه التي تعود انى العود تدبيه من بين العومر العديده تاريخيه المعتقده التي ساهبت في  
 تصور حضارت الحديثه الموجهه حصصه حور الحياه الدنيا السو ال سى بطرحه لا يهدد لا إلى  
 : يحدد من بين بعض الخصائص سميره هذه الحضاره، مد التي يحل من المناسب :  
 فعلى الر تأثير الإصلاح الديني كتب تاريخي ادلا يسعى ان يحرر نفسا من الاعتقاد بان  
 الإصلاح الديني يمكن ان يستط تصفنه دهور به من الساحه التاريخيه من التحولات  
 لاهتصاديه في الواقع لم عدد من المسابه التاريخيه التي لا يمكن ان حده في نى دمايو  
 اقتصاديه ولا حصصها لآتي يميز من هذه النوع والمجدي السوراد السياسيه ابجته : كما  
 غيرها المساهمه في الحضاره على الأنظمه الدينيه المتحدده

من ناحيه اخرى، يسك سباله سباله الداء عن مقومه غير مضميه وعقدية " تدعى :  
 دروح الر سماليه : كما بالمعنى السوف الذي سجدته هذه العبارة لا يمتز لم يكون سوى  
 سمحه خص تأثير الإصلاح الديني دهر إلى حد التأكيد : الرسماليه كنظام اقتصادي هي  
 من فعل هذه الإصلاح لم واقع كوه في سكر سياسي من سكر تنظيم الرسماني أقدم من  
 الإصلاح الديني كوه سمحه هذه المقومه يكمن هدا التوحيد على المعنى من دس سمحه في  
 محين حدود اثباته الدينيه وسمحه من كدي المقفه لم سماليه ككوي نوع في هدا كمي  
 غير اقالم ويكمن ايض بالإضافه إلى دس في حيه مظاهر المدمره بالحضاره الرسماليه



والتي نجمت عن التأثيرات الدينية. في مقابل التشابك الهائل في التأثيرات المتبادلة بين الأسس المادية وأشكال التنظيم الاجتماعي والسياسي، والمضمون الروحي لعصور الإصلاح، نرى أنفسنا مرغمين على البدء بالبحث عما إذا كانت بعض «أشكال القرابة الانتقائية» ممكنة الوجود بين أشكال الإيمان الديني والأخلاق الوظيفية. وينبغي علينا، في الوقت ذاته، أن نوضح قدر الممكن الشكل والوجهة اللذين تمكنت الحركة الدينية أن تؤثر عبرهما على تطور الحضارة المادية على أساس أشكال القرابة الانتقائية هذه. حين تتحدد هذه النقطة بدقة كافية يمكننا إذاً فقط أن نحاول تقدير حصة الدوافع الدينية في بناء الحضارة وحصة غيرها من العناصر الأخرى.

## هوامش الفصل الأول

### القسم رقم 3

(\*) ترجمت هذه الملاحظات (1 - 2 - 3) ترجمة غير حرفية لعدم توافر مرادفات عربية تعبر عن معاني الكلمات في اللغات المختلفة تعبيراً دقيقاً، واكتفينا بتقديم المعنى العام.

(1) العبرية هي وحدها من بين اللغات القديمة التي تتضمن عبارات ذات معانٍ مماثلة، بالنسبة للمشغل في خدمة الملك، لعمل الموظف الملكي ولناظر الأعمال، للعبد، للأعمال الزراعية، للحرفيين، للملك، للتجار، ولكل أنواع الشغل في مقطع Ben Sira الذي سنتحدث عنه. إن الاستشهادات السابقة تبين أن هذا المقطع يعبر عن أفكار مألوفة في مملكة سليمان البيروقراطية القائمة على نظام السخرة والمؤسسة على النموذج المصري. وهكذا فإن المعنى الاشتقاقي لكلمة عمل بالعبرية، كما تعلمته من A. Merx، كان قد ضاع منذ القدم. وقد غدت هذه الكلمة، بعد استخدامها للتعبير عن جميع أصناف العمل، عامة كما في الألمانية، وكانت مثلها تستخدم في الأساس لأغراض دينية.

... (من المعروف أن النص العبري من كتاب Ben Sira كان قد ضاع وأنه تم العثور عليه على يد شستر Schechter، واستكمل جزئياً بواسطة نصوص موجودة في التلمود. لم يكن لوثر يمتلكه إذن ولم تؤثر إذن التعبيرات الخاصة بالعمل على لغة تعبيره؛ (انظر أدناه حول حكمة XXII, 29).

في اليونانية لا وجود للفظ ذات دلالة أخلاقية تقابل كلمة Beruf الألمانية. ولذلك ترجمت العبارات بتصرف أحياناً. كما أن استخدام بعض الكلمات قد تغير عبر العصور فاتخذت بعض الكلمات التي تعني العمل معنى الواجب.

وكذلك في اللاتينية، فالكلمة التي تتضمن معنى العمل تنطوي على مضمون غير عام، أي على معنى فيه دلالة أخلاقية، وتنطوي كلمات أخرى مثل professio على معنى الواجب العام المرتبط بدوره بالتصريح عن الضرائب على المواطنين، ثم استخدمت هذه الكلمة فيما بعد للتعبير عن المهنة الحرة بالمعنى الحديث للكلمة. كما كانت بعض الكلمات التي تعني العمل تعبر عن مضمون اجتماعي. من بين اللغات الرومانية، الكلمة الإسبانية vocacion وحدها تعبر عن معنى النداء الداخلي وتعطي معنى قريباً مما يوازيها في الألمانية. ولكنها لم تستخدم أبداً لتضع «العمل» ضمن الاتجاه المادي.

كما ان الكلمات المستخدمة في الكتاب الروماني تعبر عن انفس او النفس ليس في معنى ديني بل بمعناه الطبيعي في اللغة اللاتينية كما عاينوا على كتاب لانهم باعتبارهم اقباط فيها التأثير الذي مارسه نور على الانبياء في العصر لاحقاً فعنه البعض الأكاديمي يمكنهم

(2) في المقابل لم يوجد هذه الفكرة في نصوصهم بل بطريقة صريحة جداً في عتر دار Augsburg تقرب المادة 26 والحقيقة ان لا يجب ان يدين الحطوة المدنية ولا الدولة ولا الرأى لكنه يريد ان يهر الى كل هذه الامسيه على انها موصيات انية ان يدرس كل واحد الاحتمال المسيحي في كل هذه الحالات ان يقوم لاحتمال بصلحه كل حسب الهامه

مادة 77 تستخدم عن ال Beruf (المهنة) في علاقات العلاقات التي جمعها في الرعي

عشر الخ

نمار 26 وحده يتفرد على مصمو يمكنه Beruf بالمعنى المتخصص 6 ان يامه الجسد يعني ان حدوده في المصنوع على لغة المصنوع بل في هذا الحد في وضع لا يمكن ان عليه ايامه هو مطلوب من كل واحد حسب الهامه

4 حسب ما بعد انما فهم وهذا ما نلاحظه من انسي واكدوه في قول لغة Beruf لم يظهر بعدها الديوي الحالي في جميع النسخ التي عرفت الا بعد جملة التواتر على يد دير ان الكلمة التبريه من Beruf والمصنوعه في انحاء الساب في وسط البلاد المصحفونه يتفرد جميعها على هذا دلالة كلمة Ruf الانبياء حديثه كما في درد ال عره الى خدمه عيه في ويصلح هذا المعنى الحديث يمكنه Beruf يعود يعود الى المصنوع البروسانيه ينزل وقد تأثر بذلك جميع النسخ التي استقبلت ترجمات بروسانيه لتتوزع

ان برحه نور بعد المصنوع Ben Sira على ما نعلم في رد حالة استخدم فيها كلمة Beruf الانبياء جميعا الحديث الرسمي المصنوع وقد ظلت هذه الكلمة استخدم جميعها الذي يتفرد نور ما بعد كل ان الكنيسة كما في المصنوع المصنوع من كهنهيه و في هو عن مفهوم المهنة لا بعد ما في الانتماء بحقوق المصنوع امر اسباب الى ان جاء ثقب السلام عبر مسلمات كلمة Beruf المجال الاكبي الديوي

44 در م م م م K Eger لتعود في مفهوم نور وهي دراسة عيه بالتعليمات الموصيه للوجده وهي التي يتفهمها مع معظم الكثر اللاهوتيين هي التحليل غير الكافي بمفهوم X mian نظر هو هذا المصنوع I Frousch في تقريره عن تاريخ المصنوع ولا سيما لاهم المصنوع بعد الشاف في التعليمات الاجتماعية الدينية المسيحية

9 في الحقيقة هو غير المصنوع لوكوبي بسمه الإنساني في الظروف والمهنة باعتباره من نحو الله كما يمكن بالكل الموصي في شكل المصنوع اما بوجه الإنسان نحو مهنة علمونه محددة لهذا يعمل حسب طبيعته

كذلك بالنسبة الى مسك. حتى يقول ان الصفة هي التي غير حيازه مهنة نظر هو بعد موضوع A Kóseri الاخلاق عند مسكاله م في مام المنظمة المنظمة في عا الاخلاق الدينية وحمله النظام الهدي الاكثر مهنة يعتمد على هذا تصعيد ال التصعيد في ذلك الفديس يومه والاكثر البروسانيه هو المهنة هو في المهنة يجب ان بعد الاستعداد نحو كعب عند



بشكل مؤقت (حتى وإن بدت بعض النقاط التفصيلية ، كالأهمية التي تعزى للعناية الالهية ، قريبة من بعضها لدى كل منها . سنعود فيما بعد إلى نقاش وجهة النظر الكاثوليكية . حول القديس توما ، انظر : Maurenbrecher : «علم الأخلاق لدى باسكال» 1888 .

في المقابل ، حيث يبدو لوثر والقديس توما متفقين ، فإن الأول يحتمل أن يكون أكثر تأثراً من الثاني بالعقيدة المدرسية الأرسطية العامة ، لأنه ، استناداً إلى أبحاث Denifle ، يبدو أنه كان يجهل القديس توما جهلاً كبيراً .

انظر : Denifle ، «لوثر واللوثرية» ، 1903 ، ص 501 . وحول هذا الكتاب ، انظر : Köhler ، «كلمة عن أبحاث دنيفل عن لوثر» 1904 ، ص 25 .

(6) في كتاب : «حرية الإنسان المسيحي» :

1 - إن طبيعة الإنسان المزدوجة تصلح لتبرير الواجبات الزمنية بمعنى الـ *lex naturæ* (هنا ، نسق العالم) . وبالتالي فإن الإنسان متصل فعلياً بجسده وبالطائفة الاجتماعية .

2 - إنه سيتخذ ، في مثل هذه الحالة (ص 196 ، وهذا تبرير ثانٍ) ، إذا كان مسيحياً صالحاً ، القرار في أن يرد معروف الله مقروناً بحب صاف ، حب القريب ؛ هذه الصلة الضعيفة بين الإيمان والحب تندمج مع :

3 - (ص 190) التبرير النسكي القديم للعمل كوسيلة لاعطاء الإنسان «الداخلي» قوة السيطرة على الجسد .

4 - من هنا يصبح العمل - لأن البرهنة العقلية تتابع وتعود فكرة الـ *lex naturæ* في صيغة أخرى (هنا ، أخلاقية طبيعية) - غريزة خاصة منحها الله لآدم (قبل سقوطه) ، وعلى هذا أن يطيعها ، وذلك «من أجل أن يرضي الله فحسب» ؛

5 - (ص . ص . 161 و 199) ارتباطاً بـ VII. Mat ، 18 ، الفكرة كما يبدو هي أن العمل بمثابة في مهنة ما هو - وينبغي أن يكون - نتيجة هذا التجديد في الحياة الذي يمنحه الإيمان ، ولكن من غير أن يصل المؤلف إلى تطوير الفكرة الكالفينية الأكثر أهمية : فكرة امتحان طالب الترهيب . إن العاطفة الحارة التي تحرك هذا النص تفسر التقارب بين أفكار متباعدة .

(7) «إننا لا ننتظر وجبة عشائنا من رفق الخباز أو اللحام أو صانع الجعة ، بل مما يعتبره هؤلاء فائدتهم الخاصة . إننا لا نتوجه إلى شعورهم الإنساني بل إلى أنانيتهم ؛ ولا نتحدث إليهم عن حاجتنا التي تخصنا ، بل عن منافعهم» . [«ثروة الأمم» ، الجزء الأول ، الفصل الثاني] .

(8) هذه الفكرة موجودة قبل لوثر عند Tauler الذي يرى الالهام الروحاني والالهام الدنيوي متماثلين من حيث المبدأ . إن التعارض مع القديس توما هو أمر مشترك بين الصوفيين الألمان ولوثر . ينبغي أن يضاف أن القديس توما ، حفاظاً على قيمة التأمل الأخلاقية في المقام الأول ، ومن موقع الأخ المتسول ، وجد نفسه مرغماً على تأويل حكمة القديس بولس التي بموجبها «من لا يعمل لا يأكل» ، بمعنى أن العمل ، الـ *lex naturæ* الضروري ، مفروض على الجنس البشري جملة وليس على فرد بشكل خاص . إن تدرج القيم المنسوبة إلى مختلف أصناف الأعمال ، بدءاً من أعمال السخرة ، وحتى الأشكال العليا ، مرتبط بما تتميز به نوعاً ما الجمعيات الخيرية التي كانت ، ولأسباب مادية ، مرتبطة بالمدينة كمكان لاقامتها . وقد كان هذا التدرج غريباً على الصوفيين الألمان كما على أولاد

العلاج بوث، الذي كان سبيط يهدروا جميع المساعدين واحد ويصرفون إلى المرائب المقامات هي من ركنه على أن المصانع المدمرة عند القديس يوم موجوده عند Maurenbrecher، [م ن ص ص 65]

9- من "المنطق الحد ينظر" حضر الساحة بكنر، يعتقدون أن الاشتك الحديدية لا "ير" اثر على نفس البشر اعترف بأنني لا أفهم ذلك

10- دوا الحرو. منفي في يد الإسناد ببحث إن [عناصر البناء أو المصباح] بينما يتضح يبحث عن محبة I Faugere من 21% نظر Koster م ن ص ص 7 36

11- الموقف المبدئي لدى جمعية المعاشية المتقدمة، راء المعه - يعود إلى ذلك عجله فيما بعد نظر إلى ما أنته في معدي Dr Paul Honigsheim، المصنوع السياسه والاجتماعيه بنطاقه المعاشيه في القرن السابع عشر، الأطروحات التي يسه في هابندس 1904 وهي راجعه من مجموع أحداث شاميه حرق محرقات بنوير الأفكار الفرعية ما قبل التاريخ، انظر خاصة من ص 38

بمعد بعدد ال Figgor أنه يبر من العدالة لا يجوز تكديس بركة كيه وسيله خذ! حياة الإسناد ملطخ إلى به انقلابه من الاسديه هي التي تمنى هذا كما أنه يعبر لمر حده من الناحية الأخلاقية سرد فم وهو ما يفس في بفره عي مهدوم على عر سوى المعية بالنسبة لكونه اليوم

12- بعد من قصه تشكر جيه H 517 في دراسة حول مبادئ الاقتصاد الحراري في تاريخ لاتعداد القومي لانكليزي 1924: نظر ايض على ميل اسناد عريضة المسوين في جوس كرومويل 653 ضد الاحتكك والشرابات في II Common Wealth Gardiner من 1924 وفي المقام فلا إدراك لاند نائب رئيس لتي تنظيم اقتصادي مسيحي جماعي يجب نشره موزع من جانب الكنيسة متاح لتدكي فقد كاد الملك ينتظر من تلك مكاسب سياسيه ومانيه لحكايه وهذا هو البسيط ما وثقت الظهور من صيد

13- ما عليه بذلك يعني صلاه، ما بين الذين جهه كرومويل في عام 650 إلى الأوسديس وهو يبر يد على أنه حرب الإيذاء التي سها حدهم والتي تشكل ربه على يد الأوسديس الكاثوليكي

في 1011 Machoise صادرة في 4 و 3 2 1: وهذه هي حاضره الأساسيه إن لا يتكلم في بركة إرم جيد، وفاد مراه معصهم النقرة وروند عمو جيد وهو مع الأمامع الأوسديس يقوم على أساس معاملات تجارية كبيرة ولس صار ونقد مزارع على الله معكم، وهل سيكون معكم؟ إني متأكد من أنه لن يكون معكم!

هذا البيان يذكر عصر المعالاة التي ظهرت في الصحافة لانكليزيه، ان حرد II Boer ما هو معبر ليس كونه البيان فاحلم "مصحح" الإنكليز إلى مصالحه سرية الحرب، لأن الحجة دونه أن يترك

يستعمل في صرخ جين "لديه حبه هو عدواني يعود إلى صيده في سوق وهذا ما يعرف به على يعرفه Brechtano و - م - م - م مع نبي أو صعب هذا الأمر وعلى العكس في حد

مهم في حد - ياق هو التحدية أن كرومويل يبر فيه أخلاقه، القيس العميق، عضوض الأوسديس تلابر رئيس أنفسهم ويسعد الله حتى أن ال شمال الانكليزي هو الذي عليهم أن يمتنع بجد ضد

البد في 1771، رند م - م - م - م - م - م - م - م - م - م - م - M. I. (تاريخ الكومنويلث) I، من 63 يوم حده

(14) من غير المناسب عرض هذه النقطة بالتفصيل . نحيل إذن إلى المؤلفين المذكورين أدناه في الملاحظة رقم 16 .

(15) انظر ملاحظات Jülicher في كتابه الرائع «أقوال السيد المسيح الماثورة» الجزء الثاني، ص 108 وص 636، وما يليها.

(16) بالنسبة لما سيلي، قارن قبل كل شيء بحث Eger ، م . ن . وأنظر أيضاً: المؤلف الرائع الذي وضعه Schneckenburger : «الوصف المقارن بين المفاهيم اللوثرية والمفاهيم الإصلاحية» و (Grüder ، Stuttgart ، 1855) والذي ما يزال يحافظ على رونقه . أول طبعة من Luthard ، Ethik Luthers ص 84 ، وهي الوحيدة التي بحوزتي ، لا تقدم تصويراً صحيحاً للتطور . انظر في المقابل Dogmengeschichte II ، Seeberg ، ص 262 وما بعدها . إن المقالة حول الشغل في «الموسوعة العلمية الخاصة باللاهوت والكنيسة البروتستانتية»، هي مقالة عديمة الفائدة والقيمة . فبدل تحليل علمي يتناول المفهوم وتطوره ، تنطوي المقالة على أفكار سطحية جداً حول كل صنوف المواضيع ، مثل وضع المرأة ، إلخ . ومن الكتابات الاقتصادية حول لوثر، لا أنوه إلا بأعمال Schmoller ، «تاريخ الاقتصاد القومي في ألمانيا إبان الحركات الإصلاحية» ؛ البحث المتوج لـ Wiskemann 1861 ؛ ودراسة Frank G. Ward «شرح وتقييم آراء لوثر حول الدولة ووظائفها الاقتصادية». إن الكتابات المتعلقة بلوثر والمنشورة بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة للحركة الإصلاحية ، وهي كتابات رائعة في معظمها ، لم تحمل ، على ما أرى ، أي جديد حاسم على صعيد هذه المسألة الخاصة . حول الأخلاق الاجتماعية عند لوثر (واللوثرين) ، قارن طبعاً وقبل كل شيء المقاطع المناسبة التي وضعها Troeltsch ، Soziallehren .

(17) Auslegung des 7. Kap. des ersten Korinther briefes ، 1523 طبعة Erlangen ، LI ، ص 1 . إن فكرة الحرية أمام الخالق في «جميع الديانات» ، بالمعنى الوارد في هذا المقطع ، قد أولها لوثر أيضاً على الشكل التالي :

1 - بعض المؤسسات الإنسانية يمكن أن تكون مرفوضة (النذور الرهبانية ، تحريم الزواج المختلط، إلخ) .  
2 - إن القيام (وهو قليل الأهمية أمام الله) بالواجبات المفروضة في هذه الحياة تجاه القريب ، يتحول إلى أمر بضرورة حب القريب . والصحيح أن المسألة في هذا البحث المميز (مثلاً ص 55 - 56) تتعلق بالثنوية بين الـ lex naturæ والتبرير أمام الله .

(18) قارن مع مقطع: «المبيعات والمشتريات وأكل الربا» الذي وضعه سومبارت ، في الوقت المناسب جداً ، في مقدمة وصفه الروح الحرفية (= التقليدوية) ، والذي تمت صياغته بروح توماسية (نسبة إلى توما الأكويني) صارمة .

(19) في رسالته إلى H. Von Sternberg الذي يهديه فيها شرح المزمور CXVII ، كان قد اعتبر طبقة الأشراف الصغرى ، رغم انحطاطها الأخلاقي ، من تدبير الله (طبعة Erlangen ، XL ، ص 282) . إن التأثير الحاسم الذي تركه الشغب المتفاقم بفعل تهيج Thomas Münzer على تطور هذا المفهوم يتعلق بوضوح بهذه الرسالة (م . ن . ص 282) أنظر أيضاً Eger م . ن . ص 150 .

(20) وكذلك في تفسيره المزمور CXI ، 5 و 6 (طبعة Erlangen XL ، ص 215 - 216 ) تاريخ 1530 ، وهو التفسير الذي ينطلق من السجال ضد الانعزال في الأديرة كوسيلة لتخطي نظام هذه الحياة



إلخ. إن الـ *lex naturæ* (على نقيض القانون الوضعي كما سنه الامبراطور والمشرعون) متماثلة تماثلاً مباشراً مع عدالة الله: إنها مؤسسة ربانية وهي تشمل بشكل خاص تقسيم الشعب إلى حالات (ص 215). يشير لوثر بحدة إلى أن جميع الحالات متساوية ولكن أمام الله وحده.

(21) كما يعلمنا إياه لوثر، خصوصاً في أعمال «مجلس زعماء الدين والكنيسة» (1539) وكذلك «الاعتراف الموجز بالسر المقدس».

(22) المقطع التالي من الكتاب المشار إليه في الملاحظة السابقة. 1539 ، (طبعة Erlangen ، XXV ، ص 376) يبين إلى أي حد بقيت في خلفية لوثر الفكرة المهمة جداً في نظرنا التي تهيمن على الكالفينية - فكرة «امتحان طالب الترهّب» عند المسيحي في مهنته وفي سلوكه في الحياة: «إضافة إلى هذه الإشارات السبع الأساسية، هنالك أشياء شكلية خارجية جداً تعرف بها الكنيسة المسيحية المقدسة، [...] إذا لم تكن داعرين ولا سكارى ولا متكبرين ولا مبذرين ولا وقحين؛ بل متواضعين، صبورين وذوي عفة». هذه العلامات ليست أكثر صحة من الأخرى (صفاء العقيدة، الصلاة، إلخ). «لأن بعض الوثنيين قد مارسوا، هم أيضاً، مثل هذه الأعمال، وتمكنوا مع ذلك من الظهور أحياناً أكثر قداسة من المسيحيين». كاد وضع كالفن الشخصي أن يكون مختلفاً، سرى ذلك فيما بعد، إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للطهرية. ومهما يكن من أمر، فإن المسيحي في نظر لوثر يخدم الله استجابة لنداء داخلي فحسب (Eger ص 117). وفي المقابل نجد، بمعنى بسيكولوجي محض، بعض بدايات على الأقل لفكرة امتحان طالب الترهّب لدى الصوفيين الألمان (ولكن في شكلها التقوي أكثر مما هو في شكلها الكالفيني). انظر في هذا الصدد: Seeberg، «تاريخ العقائد» ص 185. واستشهاد Suso وأقوال Tauler المذكورة أعلاه.

(23) يعرض بشكل جيد وجهة نظره النهائية في بعض مقاطع من تفسير سفر التكوين (في Opera latina exegetica طباعة Elspeger) مجلد IV، ص 109.

وهذا ما يقابل بالضبط التقليدوية عند القديس توما الأكويني Summa theologia: إن فكرة الاجرامية في البحث عن الربح خلف الحاجات المتناسبة مع الوضع الاجتماعي تستند، عند القديس توما، على *lex naturæ* كما تتجلى في مصير الثروات الخارجية، وعند لوثر، على أمر الله. حول العلاقات بين الايمان والمهنة عند لوثر، انظر بالإضافة إلى ذلك: مجلد VII ص 225. (24) «كل واحد معيّن في مهنة معينة» (Kirchenpostille طبعة Erlangen، X، ص ص 223 - 235 - 236). وينبغي أن ينتظر هذه الدعوة، الدعوة التي تتحول إلى «أمر»، إلى خدمة الله. ليست النتيجة هي التي تصنع فرح الخالق، بل الطاعة التي ترافقها.

(25) على عكس ما قيل آنفاً عن تأثيرات التقوية على مردود عمل النساء، يفسر هكذا لماذا يعتقد صناعيون حديثون أحياناً أن عمال المنازل الذين يلتزمون بدقة بالديانة اللوثرية (في وستفالي مثلاً) يملكون أحياناً طريقة تقليدية في التفكير. ويمتنعون عن تغيير طرق عملهم - حتى وإن لم يتطلب ذلك واجب العمل في المعمل - وذلك رغم اغواء الأجر الأكثر ارتفاعاً، ويررون موقفهم قائلين: إن كل الأشياء متساوية في الحياة الآخرة. نرى إذن أن مجرد الانتماء إلى كنيسة ما، وكذلك الإلتزام إلى معتقد، ليس لهما في ذاتهما مدلول أساسي بالنسبة للسلوك في مجمله. إن المثل والمضامين الدينية الملموسة هي التي لعبت دورها في تطور الرأسمالية وما تزال تلعبه أيضاً وإن بالحد الأدنى.

(26) انظر : Tauler ، طبعة de Bâle ، 161 .

(27) قارن بين عظة Tauler المدهشة جداً المذكورة آنفاً مع العظة اللاحقة 17 - 18 . انظر : 20 .

(28) هذا هو الهدف الوحيد من هذه الملاحظات حول لوثر . لهذا جرى الاكتفاء بعرض موجز وعام وعابر ، وبالتالي غير كاف لوضع تقييم عام حول لوثر .

(29) لا شك أن أي واحد يوافق على مفهوم تاريخ المسوئين يسعده أن يعيد ذلك إلى فوارق عرقية . ويعتقد المسوون إنهم ، كأنكلو-ساكسونيين ، يدافعون عن حقوقهم في مواجهة سلالة غليوم الظافر والنورمنديين . من المدهش جداً أنه لم يخطر في البال النظر إلى العامة من ذوي الرؤوس الكروية بالمعنى الإناسي !

(30) إن الغرور القومي الانكليزي خصوصاً قد سبب حروباً كبيرة . والعبارة النموذجية جداً في أيامنا : «تبدو كأنها فتاة انكليزية» ، مطبقة على جمال شاب وغريب ، كانت مستخدمة سابقاً في القرن الخامس عشر .

(31) هذه الفروقات ظلت قائمة في انكلترا وتحديداً «انكلترا القديمة السعيدة» . ويمكن أن تعتبر الفترة التي تلت حركة الاصلاح الديني فترة صراع بين طرفين من أطراف المجتمع الألماني . إنني اتفق حول هذه النقطة مع ملاحظات J. M. Bonn في (Frankfurter Zeitung) المتعلقة بالكتاب الرائع الذي وضعه Von Schulze- Gävernitz حول الامبريالية البريطانية . (قارن بـ «H. Levy» في : أرشيف العلوم الاجتماعية السياسية XLVI ، 1919 ، رقم 3) .

(32) بالرغم مما كتبه هنا ومن الملاحظات اللاحقة الواضحة ، حسب رأيي ، والتي لم أعدّل فيها أبداً ، فإن هذه الفكرة بالتحديد هي التي نُسبت إليّ مرات عديدة وبطريقة غريبة .

## الفصل الثاني

### أخلاق النغل في البروتستانتية النكية

#### ١- الأساس النديبية في النسكية النديوية

أربعيا هائلت ربعة مضائق سماوية ببروسية النسخة بالمعنى الذي سجدت فيه هذه  
لكلمة هيا

الكالفينية *calvinisme* بالسكن بدق محدده في الأنداء الأساسية من أوروبا الغربية ، أي  
بمناطق التي خضعت لتأثيرها بشكل خاص خلال القرن سابع عشر

#### 2) التقوية *Le pietisme*

#### ١ الميثودية *Le methodisme*

#### ٤ الطوائف الممحدرة من الحركة المعمدية

بإيداع هذه حركاتهم بكم معروفة عن الحركات الأخرى ، وهم بكم خصصت عن لأنظمة  
الكبيرة النكية الحاصصة بالأصلاح أمر ذهباً قبل يكن في به مرسى العبودية ، في مصعب  
القرن الثامن عشر ، حتى الكبيرة الانكليزية القائمة ، غدت كبيرة جديدة بل كتاب في بينهم  
بمحرم يقطعه في الروح بسخية ، ولم يتصل كبسنتهم عن انكليزية لقائه إلا خلال مجرى  
مهورها ، وفي عقاب انطلاقتها في أميركا

بعد ان نظروا ب ندياه في انكسر وفي هو ب سجدت خاص ، في ظل صاخ الكالفية ،  
تعبت استقوية مرتبطة بالانكسار برونه جدد ، وب نعيم على سوى بينهم المعروف  
القطيعة ، إلى حد أنها انطمت ، في أواخر القرن ، السابع عشر ، وبحسب الضغط الذي حوسه سبير  
*spener* ، إلى الحركة النورية *lutheranisme* ، بعد ان حارب مسبقا العقيدة ، وبعبق هذه  
الحركة من دمج الكبيرة ، وحدهم نشأ المبطنة برنيدورف *inzendorf* من حماسة الحركة  
بمور في *Frères moraves* ، متأثرة الهوميه به ابي هوس *Huss* ، ونكالفية ، وجذب معها  
مجيرة على عن العبودية ، على ان نسكل في هائله او فقه مسئلة غير ب سجدت بخصم  
معها الا على مضمير في الأساس كتاب الكالفية والمعمدية على طرفي بقبض ، غير أنهم  
دخلا في علاقه حميمة في معمديه بهاء القرن السابع عشر ، فقد ندياه الغرب لم يعد يدرج  
المعروفات من الوجهة إلى الأخرى ، واصبح في الطوائف المبطله في نكلمه وهوسد ، ونشهد  
نكث المعرو أيقب مثالا نديجا بين التصويه والنورية ، وكند ببر الكالفية والكبيرة لانكليكانية ،



مع أن هذه الأخيرة، بميزتها الخارجية وب عقلية المؤمنين بها الأكثر منطقاً، قريبة، من الكاثوليكية. والحقيقة أن هذه الحركة النسكية التي كان قد أشير إليها بكلمة «الطهرية» Puritisme، بالمعنى الفضفاض للكلمة<sup>(2)</sup>، في صفوف أتباعها، لا سيما الأكثر حزمًا منهم، قد تعرضت للانكليكانية حتى في أسسها. غير أن الاختلافات، هنا أيضاً، لم تظهر ولم تتجلى بشكل تدريجي إلا خلال الصراع. حتى وإن أهملنا بداية قضايا التشكيل والتنظيم التي لا تهمنا الآن، فإن الوقائع تبقى قريبة من بعضها. فالاختلافات العقدية، بما فيها الأكثر أهمية منها، مثل تلك التي تدور حول القضاء والقدر وحول النعمة الإلهية كانت تتمايز في تركيبات ومعادلات فائقة التنوع وكانت تشكل عموماً، منذ بداية القرن السابع عشر، عقبة في وجه صيانة الوحدة الطائفية (غير أنه كان هنالك استثناءات. وكانت أنماط السلوك الأخلاقي بوجه خاص، المهمة جداً بالنسبة لنا، موجودة لدى اتباع الطوائف الأشد تنوعاً، المتحدرة منها من المصادر الأربعة المشار إليها أعلاه، أم من الخليط الحاصل بين بعضها. سنرى أن أسساً عقدية مختلفة يمكن أن تقابلها حكم أخلاقية متشابهة. إن المؤلفات الأدبية المهمة بالنسبة إلى خلاص الروح، وبشكل خاص كتب الذمامة لدى كافة الطوائف، قد تأثرت ببعضها تأثراً متبادلاً على مر الأيام؛ وهي تنطوي فيما بينها على تماثلات حادة رغم الخلافات الواضحة جداً في ممارسة الحياة اليومية.

أليس من الأفضل تجاهل الأسس العقدية والنظرية الأخلاقية تجاهلاً تاماً، والاكتفاء، هكذا وببساطة، بالممارسة الأخلاقية، في حدود الممكن؟ سنرى أن الإجابة على هذا السؤال هي النفي. فقد ذوت الجذور العقائدية المختلفة الخاصة بالخلقية النسكية، وهذا صحيح، في أعقاب صراعات ضارية؛ وترك هذا التجذر الأول تأثيرات عميقة جداً على الأخلاق «اللاعقائدية» اللاحقة، وليس كذلك فحسب، بل إن معرفة هذه الأفكار الأصلية هي وحدها التي تتيح فهم الصلة التي تربط هذه الخلقية النسكية بفكرة الماوراء، التي كانت تمارس سلطتها على أكثر الناس وعياً في تلك الفترة. لم يكن في وسع أي تجديد أخلاقي ذي أهمية معينة في الحياة اليومية أن يرى النور من دون تأثير هذه الفكرة على النفوس.

لا يهمننا، بالتأكيد، ما كان يجري تعليمه نظرياً ورسمياً في كتب اللاهوت الأخلاقي في تلك الفترة، بغض النظر عن مدلوله العملي الذي يمكن أن يرتديه بفضل نظام الكنيسة، والجهد الرعائي والتبشير<sup>(3)</sup>. ما يهمننا يختلف عن هذا اختلافاً جذرياً: إنه اكتشاف الحوافز البسيكولوجية التي تمتد جذورها إلى المعتقدات والممارسات الدينية التي ترسم للفرد سلوكه وتبقيه عليه. والحقيقة أن هذه الحوافز تأتي، في جزء كبير منها، من التصورات الناجمة عن هذه المعتقدات. ففي تلك الفترة كان الإنسان يكرر ويجترّ معتقدات مجردة، إلى درجة لا يمكننا فهمها إلا إذا تفحصنا، بالتفصيل، وكشفنا العلاقات التي تبنيها هذه المعتقدات مع المصالح الدينية. تبدو هنا بعض الملاحظات حول المعتقد<sup>(4)</sup> أمراً لا غنى عنه. وهي ملاحظات تبدو مضجرة للقارئ غير المتضلع باللاهوت، وسحطية ومتسرعة في نظر اللاهوتي. الطريقة الوحيدة التي بإمكاننا أن نتبعها هي تقديم هذه الأفكار الدينية على شكل «نموذج مثالي» مركّب بطريقة منهجية، ولا يمكن وجوده

في الحقيقة التاريخية إلا نادر . اعلم ، استحالته رسم حدود دقيقه داخل الحقيقة التاريخية . يمكن  
 احد الوحيد في محور نحو تأثير البرغي بهذه الأفكار . وب من خلال استخشاف مبادئها الأكثر  
 انظما

## أ. الكاثوليكية

الكاثوليكية هي معتقد الذي اسمه طيسس ، في القرن السادس عشر . الساحة عشر ،  
 مع ذلك سببه رعايته كبيره في بندان المسماله الأكثر ظهور . بلاد المحفظة ، ككلتر  
 قرب بهذه السبب سبب بها

في تلك المرحه بل حتى في أهدا بها . كان معتقد الكاثوليكي الذي يعتبر الأكثر  
 صبراً هو مذهب الحجريه . صحيح أن نقاشا قد جرى لمعرفة ما إذا كان ذلك هو المعتد  
 (الأسري) في الإصلاح انديي . أم أنه امر (ثأوي) يمكن أن فصوص ، بصدد المبره  
 لأسسبه متعمقه صدمه تاريخيه ، حكما عويميه أو ربابيه . لا سيما إذا كانت هذه الأحكام تعود  
 فقط إلى ما هو «مهم» في هذه الظاهره أو فقط إلى ما يمثل ، في ذاته ، «فيه» ثابته . أو أن الأحكام  
 تعود أيضا . إلى تلك الظاهره على سبيل رتب تاريخيه جرى إلى مدونتها السبي . عندئذ يعود  
 القضية لحكام بومييه . إذ انطلقنا مناهر من وجهه النظر لأخيه هذه . كما ينبغي علينا أن نصل  
 هنا . وإذا رجعا عن المدون . الذي يمكن أن نضمنه حداثه التجريه من عاه سالحة التثاقبه  
 و تاريخيه . فإن هذا سندهر يبدو بشكك كليه من غير كمر المد هب أهديه . فقد يحطبت اسمه  
 الحركه التي فاضها أودين دارنيس Olden Barneveldt . وقد بد المقام الكليه لاكتبيته في ظل  
 حذاء الأور . امر لا يمكن محطه ، بعد خلاصات التي مستحكم بين نتائج المدكي والظهيرين  
 حول هذا التفسير متعدد ، الذي عبر شكل أساسي كجانب من الكاثوليكية حطير سبب ، هذا  
 آخر سبب جلب إلى محاربة السطد في<sup>14</sup> . ب اميودومات الكبرى في القرن السابع  
 عشر . لا سيما سيودس دوردرخت Dordrecht ووينستر Westminster ، بالإضافة إلى عدد من  
 المجمع الكليه الأخرى . ثم جند عرافها الكيسي عرود مركزيا لأعماله . وقد كانت  
 السام بعدد من امثال الكهوب المناهضين . كما تحدث خلال القرنين الثامن عشر والتاسع  
 عشر انصاف في كليهه . وكانت بمثابة صرحه حرب في العظا الكبري . پس يودكات ،  
 بنجاو . قد . وبما أنه اتصال بين جد ، يكون . هذا المذهب معروف اليوم لدى كل إنسان  
 مثقف ، من الأقاصي النحرف عيه ، ودنك الم صرع إلى تأثير عرافه (ontessen) وسمسبر  
 بني وصنع عام 647 . حول هذه القطعه المحدده ، كان د استنيد المذهب سباطه في إعلان  
 المبادئ عند المحدثين وعد المستعبي

المصل التاسع (عن المصنف) . في هذا الإنسان ، بوجهه في المخطبه ، فقداه نام  
 عتونه حتى الم عه ناي سيه ، حتى متصل خلاصه بحيث أن . سبب سبب كذا على هذا  
 الخيو . ومحكوم بالحضرة . لا يمكنه وحده . يهتدي ولا حي أن يهتدي نهده  
 المصل الثالث (عن أوسر الله الإندية) ، ثم . بلكر من الله وحيد . صرحه عند دار بعده

الناس أن يعيشوا حياة أبدية، بينما حكم على آخرين بالموت الأبدي .

رقم 5 - من بين الذين قُدِّرَ لهم أن يعيشوا حياة أبدية اصطفى الله بعضهم قبل أن يضع أسس الكون وفقاً لتدبيره الثابت الأبدي وإرادته الداخلية ولرغبته . لقد اصطفاهم في المسيح ومن أجل مجدهم الأبدي بفضل نعمته ومحبة اللتين جاد بهما ، خارج كل بصيرة ومعرفة سببية في إيمانهم وفي أعمالهم الحسنة ، كما في مثابرتهم على ذلك ، وايضاً خارج أي شرط أو سبب محدد خاص بالمخلوق [المصطفى] ؛ كل ذلك شكراً وثناءً على نعمته ومجده .

رقم 7 - وفقاً لأمره الذي يتعذر سبره والذي به يمنح الرحمة طوعاً أو بحجبها ، لمجد سلطته السامية على مخلوقاته ، شاء الله أن يقصي مَنْ تبقى من الناس ويرميهم ، بفعل خطيئتهم ، في الخزي والحق ؛ وذلك حمداً له على عدالته المجيدة .

الفصل العاشر (عن الإلهام الفعّال) ، رقم 1 - كل الذين قُدِّرَ الله لهم أن يعيشوا ، وخدمهم فحسب ، شاء الله أن يخاطبهم بطريقة فعالة بالاسم والروح (بانتزاعهم من حالة الخطيئة والموت حيث يوجدون بطبيعتهم [ . . . ] ) وشاء أن يسحب منهم قلوبهم التي من حجارة ، وأن يمنحهم قلوباً من لحم ؛ وأن يجدد إرادتهم ، وأن يوجههم ، تحت تأثير سلطانه وقدرته الكلية ، نحو الخير [ . . . ] .

الفصل الخامس (عن العناية الإلهية) ، رقم 6 . أما هؤلاء الناس الأشرار الكافرون الذين عاقبهم الله ، في عدالته ، بخطاياهم السابقة ، حين غشى أبصارهم وقسى قلوبهم ، فهو لم يحرمهم فحسب من رحمته التي كان من شأنها أن تنير نفوسهم وتلامس قلوبهم ، بل حرمهم أحياناً من هباته التي كانوا ينالونها ، وعرضهم لما يغوي الكائنات الفاسدة بالخطيئة ؛ وهكذا فهو يتخلى عنهم لشهواتهم الخاصة ، لاغواءات هذه الدنيا ولسلطة الشيطان : الأمر الذي يجعلهم يقسون [في الشر] بالوسائل ذاتها التي يستخدمها الله لكي يلين بها قلوباً أخرى (9 و 10) .

«أن يكلفني ذلك طردي إلى النار ، فإن مثل هذا الرب لا يفرض علي الاحترام أبداً» .  
هكذا ، كما هو معروف ، حكم ميلتون Milton على هذا المذهب<sup>(11)</sup> . غير أن ما يهمنا هنا ليس إصدار حكم تقويمي على هذا المعتقد ، بل هو استخراج مدلوله التاريخي . ليس في وسعنا إلا أن نلقي نظرة اجمالية على قضية أصل المذهب وأن نعين سريعاً الطريقة التي بواسطتها انضم هذا المذهب إلى اللاهوت الكالفيني .

يمكن التوصل إلى ذلك عن طريقين . إن الشعور الديني بخلاص البشر على يد المسيح المخلص يتحد ، عند الأكثر نشاطاً وحماساً من هؤلاء الناس المؤمنين الكبار الذين لم تنقطع الكنيسة عن إنتاجهم منذ القديس أوغسطين ، باليقين الداخلي القائل بأن شيئاً لا يمكن أن يتحقق عن طريق القيم الفردية الذاتية ، وأن الشيء الوحيد الفعال هو فعل القوة الموضوعية : فجأة بدا هذا الشعور العميق ، أي هذه الضمانة الشيطانية ، التي تداوي البشر من وطأة الاحساس بالخطيئة ، أنه أرهقهم وقتل فيهم كل قدرة على أن يتخيلوا أن هذه الهبة ، التي أنعم الله عليهم



به مرحلة لتحليل من محاولتهم المستحضرين ، بها يمكن ان نلاحظ على طبيعة إيمانهم وعنى  
 انفسهم الخاصة . فحقبة انكسار موقفه الديني ، واجب ان يكتب «حرية الإنسان المسيحي»  
 يعتقد نور هو بقدر عمود جاد «واقر الله سره» هي مصدب معتد الوحيد . محرر من أي  
 معنى فلهذا حتى به لم يحل في بعد وإن مكث على جهة البعد هذه ومع ذلك هو  
 هذه الفكرة لم يكن بد في صلب اهتماماته على يمكن فقد يكون بين فضاء إلى مسألة  
 السوية كذا كانت برغمه مسؤوليته على . انكساره تدريجيا على . بسبب ملود ، سياسي  
 الواقعي » بهذا الشكل المنحدر نحاش ميلانشون Melanchton إدخال هذا المذهب «الغامض  
 والخطيرة في عقيدة أوجسوغ Augsburg من الآباء البوثرين . هذا كان جزءا من عقيدتهم  
 بدينية إيمانهم با المعية المفقودة يمكن ان متعدد ، جوسوغ والونه وثقة المؤمنين بكلام الله  
 وبالعالم بين الجفده

إن ما لم يعد قد نعلمه معكسبه ككساء حيث نرايدس أهله عبره في  
 نظره سكر ، أصبح خلال مساحاته في حرب مع خصومه في حمل اللاه - مع تعظيم الله  
 من كتب دلو ساند و as ratio كسب العقيدة . ثم نكتب أهليه بركه لا عد موت  
 كالف . وخلال الصبر على الديني بكري ، التي به مجمع دوردرس Dordrecht بكري ،  
 بمجمعه مسير قصري عهدهما برصح حدها . إن هذا الأمر الرقيب لا يحتم في نظر  
 كالف عن التجربة الديني سماهي الحال عند دثر . بل هم صبروا على فكرة المظلية ، وبعد  
 ما حارب هذا الأمر كان مع كل تطور يفرض بالمسك السطفي الخاص بتكرير ديني يحه  
 نحو الله حسب لا نحو الله . ثم بوجد الله به حب الإله ، بل إن الإله هم الذي وجد  
 من حب الله وكل العبيده حتى وإن كان من غير المشكوك فيه ، في نظر كالف ، بخره  
 صغير من السيرة هو وحده مدعو إلى الخلاص لأنني لا أخدمه لا بأعنيار ومبته هذه  
 العاية التي هي بمجيد عظمه الله . إن نظريو معية والمعادلة انه بويه على حكمه العاية هو ام  
 حال مر أي معنى وشكل هذه حيلة له لأنه هو وهو وحده . ثم في أنه ليس حارس لأي  
 قانون نس في وسع . نفهم حكمه ، لا حار بمصاحبه ان أخذ عمدا بها ، إلا قد شاء .  
 فبأن عبد ان نكتفي بهذه لغة ففهم الحقيقة لأبدية ، كل ما نفى . معنى قصير القوي .  
 مصداق المعجزة التي يستحيل تخيلها ومن العزير التفكير بتعقيقه

إن نجم المندوبين المبدون ، معاصرة علي الشكوى من خطيئهم المسكورة . فإنهم  
 يصرفون كالحيوان التي تنكروا كبه . يساءل لأن كل محتوم نقضه على الله فهو لا  
 يمكن جزياره . ولا يستطيع غير الموت لأنني في الحدود هي . يقر فيه الله ، بمجيد  
 جلالة أمر غير بعدم فقط . جزء من السوية سيستمده الخلاص وإن البخر الآخر صيفه  
 المندوب والإمر دار جد . البسر . حرامينهم نفعبال دور . ما هي محدية مضيرهم يعني ان  
 «واقر الله المنطقة ولأنديه يمكن ان يحصل ختفيع بحسب التأثير السري وهو لأب الذي لا  
 يمكن تصوره » لأب الذي في السماء أي العهد الجديد : لأب في سدي المبرك الذي ينتهج

لعودة مرتكب الخطيئة ، كما تفعل امرأة حين تستعيد قطعة نقود مفقودة ، يتحول هنا إلى مخلوق استعلائي منح ، منذ الأزل ، وبعيداً عن أي فهم بشري ، لكل واحد مصيره ، وتدبر أمر أدق التفاصيل في هذا الكون<sup>(16)</sup> . هكذا هي الحال بموجب أحكام لا يمكن سبر أغوارها ولا تغييرها ، إلى حد أن نعمة الله أمر تستحيل خسارته على الذين حظيوا به ، مثلما يستحيل أن يحصل عليها أولئك الذين حرموا منها .

إن هذه العقيدة ، في لا إنسانيتها المثيرة للشفقة ، ينبغي أن [تدمغ] عقلية جيل بكامله ، كان قد استسلم لتماسكها بعزلة داخلية غريبة<sup>(17)</sup> . في المسألة الأكثر أهمية في الحياة ، أي الخلاص الأبدي ، يجد رجل الإصلاح الديني نفسه مرغماً على أن يسلك ، وحيداً ، طريقه نحو مصيره المرسوم له منذ الأزل . لا شيء ولا أحد يمكن أن يأتي لمساعدته . لا مبشر أيضاً ، لأن على المصطفى أن يفهم ، بقلبه ، ومن تلقاء نفسه ، كلام الله ؛ ولا القربان المقدس ، لأنه إذا كانت القرايين قد وضعت ، بأوامر من الله ، لتعبر عن مجده ، وإذا كان ينبغي ، بفعل ذلك ، أن تكون ملحوظة بدقة ، فهي لهذا لا تشكل وسيلة للحصول على نعمة الله : إنها ليست سوى المظهر الثانوي من الايمان ؛ ولا الكنيسة لأنه إذا كان الحكم الكهنوتي يعني حرمان من يبتعد عن الكنيسة الحقيقية حرماناً نهائياً من أن يكون في عداد المصطفين<sup>(18)</sup> ، فإن الملعونين المنبوذين هم أيضاً لا ينتمون إلى الكنيسة (الخارجية) ؛ وإذا انتموا إليها ، فهم مجبرون على الخضوع لنظامها ، لا لكي يتوصلوا إلى الخلاص ، وهذا أكيد ، لأن المسألة مستحيلة ، بل هم مرغمون على طاعة أوامر الله تمجيداً له ؛ ولا الله أخيراً ، لأن المسيح نفسه لم يمت إلا في سبيل المصطفى<sup>(19)</sup> ؛ ومن أجلهم وحدهم قرر الله منذ الأزل تضحية المسيح بنفسه . إن الغاء الخلاص الغاء مطلقاً من جانب الكنيسة والاسرار الإلهية (وهو الغاء لم تطوره اللوثرية حتى في نتائجه النهائية) يشكل الاختلاف الجذري الحاسم مع الكاثوليكية .

وهكذا ، ففي تاريخ الأديان ، وجدت العملية نقطة نهايتها ، أي تلك العملية الواسعة من «خيبة أمل» العالم<sup>(20)</sup> ، التي بدأت مع نبوءات اليهودية القديمة ، والتي رفضت ، بالانسجام مع الفكر العلمي اليوناني ، كل الوسائل السحرية للتوصل إلى الخلاص ، باعتبارها معتقدات باطلة ورجساً يخرق المقدسات . إن الطهري الأصيل يذهب إلى حد رفض كل أثر للاحتفالات الدينية على حافة القبر ؛ وهو كان يدفن أقرباءه من دون غناء ولا موسيقى ، خشية أن يشف منها أي «معتقد خرافي» ، وأي إثبات على تأثير الممارسات السحرية الاسرارية على صعيد الخلاص<sup>(21)</sup>

لا وسيلة سحرية ، أو بالأحرى لا وسيلة ، أياً تكن الوسيلة ، من شأنها أن تؤدي إلى أن يتمتع بنعمة الله من أمر الله بمنعها عنه . إن عزلة الإنسان الداخلية ، ممزوجة مع عقيدة الاستعلاء المطلق القاسية لله ، ومع تفاهة كل ما هو جسدي ، تشكل من جهة ، أساس موقف الطهرية الجذري في سلبيته ازاء كل صنف من العناصر الحسية أو العاطفية في الثقافة والدين الذاتاني (عناصر معتبرة غير مفيدة للخلاص ومثيرة أوهاماً عاطفية وأباطيل وثنية) ؛ وبذلك تقصي العزلة كل احتمال لثقافة الحواس<sup>(22)</sup> . ولكن العزلة تشكل ، من جهة أخرى ، أحد جذور هذه الفردانية التشاؤمية الخالية

من الإلهام<sup>1</sup> والتي تجس في أيامنا بقص في الطبيعة الموحية وفي الجو سبيل عند الشعور التي  
 به ناصر طهري<sup>2</sup> لتأليفه خلاصة الطريقة التي سيجعلها نفسه ذاتاً فينا بعد ، كجي بولي  
 لاسية من حياتها<sup>3</sup> . إنه يجد في حبه هذا تأثير مذهب جبريه على السموات الفردية وعلى  
 فكرة الحياة مع أن هذا المذهب كما نرى كان في صريته إلى الرجوع في الواقع بسبب  
 المسألة عندنا إلا أن لكل الأكثر حظاً بهذه النقة الحصرية باله<sup>4</sup> ، وقد هو فيهما هذا على سبيل  
 المثال بحيثى هذا الشكوى ويحدد في ذات الطهري الإنكليزي في وفرة مدحونه بتجالات  
 التي يجري فيها التحديد والاحتمال من من النقة بالصدقة إلا سية والتجاوز بين النشر<sup>5</sup> ، لا ما كسر  
 Baxley الرقيب منه يصح بالخدر من الصديق الأكثر قرباً ويأمر باني Bayley ، عيارب  
 وأصحه ، بعده تلقى بأحد ، وعدم الالتئام لمن هو عرصه بسببه الحي بوعيد الموحى  
 الوحيد على الأمر هو الله بالتأثير الحي مع البشرية ، كان عند الهدف من الحياة  
 مرتبط ، في كل الأقطار من مشجب فيها الكائنية ، بإزالة صريته بالأعراف المخصوصي ، في  
 حين أن اهتمام كالم بالذات بهذا الموضوع لا بد أن على إيكادام<sup>6</sup> ، وويل حافى ، نعم  
 المقدس إنه جيت بالغ لأهمية بالدرجة الأولى نفسه واحد من "عناصر التأثير الذي يمارسه  
 هذا الدين ، وبالأدرجة الثانية باعتباره حذر ليكو حياً فهو موقف لأخلاقي هذه الوسيلة التي  
 من سبيلها أن يعالج مرحباً بصير مرتبط بحقيقته من إحيائه قد يرب"

منجذب لاحق عن نتائج لأخلاقية هذه مسائله على السلوك اليومي وهي نتائج مذهبه  
 فهم يتفق بالموقف العام الذي يفقه الإنسان من الدين بموج العلاقات بين الإنكليزي ورو في ظل  
 عمره وحبه حقيقه ، وكتب بالمرء من ر لسماء إلى انكبسه استحقاقه امر صبر وحي  
 بخلاص<sup>7</sup> . ينظر في شعاع "الوحية" بعد المباح المدهش من ، بكفي في هذه كتاب ونقدم  
 الحاجج Pilgrims progress الذي وضعه بانيان Bunyan<sup>8</sup> ، وهم كثر الكتب رواج في ذات  
 الطهري وفيه يرى ، مسيحي ، وعلى علم بالحياة في دميته الألفاظ لأمدية ، عصبية بده ، الذي  
 يدعو إلى القيم بخلق نحو المديرة الرأية ، أم رويته ، ولأنه فهم برهنة ، أجمالاً به ، نكته  
 يصرح ، وهو بحر أصدا في دية والحياة الحياة لأمدية ، ويطلق عمر الجيوب أن به دقة  
 لا يمكن أن يحل محل أسرار السادج لدى الشاعر . شخص الذي يحظى ، وهو يكس في  
 السج بتهليل جهور من المومنين لأنه حسن التعبير عن نفسه بمود الطهري حبه  
 حصر بخلاصه الشخصي ، به نصية شد من لأحدث المنيعة بعموده التي ينامها حجاج  
 مع الذين يضطرونه ماعمر كما ورد في مذكرات (Ottfried Keller) Cerebren ،  
 Kammascher<sup>9</sup> ، وعندما سر سبيلته أدرك به من الألفاظ وجود رويته ، ولأنه إلى جديده أن  
 بحر الحود انتميل من الموت والأحر ، يقضيه الحيا على سبيل القوس دو بيجو St. Anthony  
 de Lyon<sup>10</sup> ، كما يحرص ذند عليا دونيبحر Killingen ، عبد حد عن هذا الوجه العنصاني بعب  
 ماكياجني بهذه الكميات ، أصفا مجد سكا ، ثم ند في هو عهم عبد الباء الحاء الكهوتي  
 ولأنه بصحون حبه الوحر فوق الحروف على خلاص غوسهم ، وخيه يجب من المشاعر التي



يلقنها ريتشارد واغنر Richard Wagner لسيغموند قبل معركة الحتمية : بلّغني تحية ووترن Wotan ، بلّغني تحية والهال Wallhall's ولكن لا تخبرني شيئاً عن قصة والهال .

صحيح أن هذا الخوف يترك آثاراً مختلفة جداً على بانيان وليغوري . إن الرعب ذاته ، الذي يدفع بأحدهما إلى أقصى أشكال الاذلال الذاتي ، هو بالنسبة للآخر حافز لصراع مع الحياة منهجي وبلا هوادة . من أين يأتي إذن هذا الاختلاف؟

يبدو ذلك لأول وهلة لغزاً . كيف أمكن أن يتوافق هذا الميل إلى تحرير الفرد داخلياً من الروابط الوثيقة التي يحاصره العالم فيها ، مع تفوق الكالفينية الأكيد في مجال التنظيم الاجتماعي<sup>(31)</sup>؟ مهما يبدو ذلك غريباً فهو نتيجة الشكل النوعي الذي ينتهي إليه الحب المسيحي للقريب تحت ضغط العزلة الداخلية التي تضع الكالفينية الفرد فيها . وهو ينجم عنها في البداية تبعاً للعقيدة<sup>(32)</sup> . فالعالم موجود خدمة لمجد الرب ، ولأجل ذلك فحسب . والمصطفى المسيحي موجود في هذه الدنيا لكي يزيد ، ضمن امكاناته المتاحة ، مجد الرب في العالم ، وذلك بتنفيذه الأوامر الربانية ، ولأجل ذلك فحسب . إلا أن الله يريد للمسيحي الفاعلية الاجتماعية ، لأنه يرغب في أن تكون الحياة الاجتماعية متوافقة مع أوامره ومتناسقة معها . إن نشاط الكالفينية الاجتماعي<sup>(33)</sup> يدور فقط حول تعظيم الله وتبجيله . من هنا فإن النشاطية الوظيفية ، التي هي في خدمة الحياة الدنيوية للجماعة ، هي بالتالي من هذه الطبيعة أيضاً . كنا قد وجدنا عند لوثر أن تقسيم العمل إلى وظائف مبرر بحب القريب . غير أن ما كان قد بقي إيحاءً افتراضياً عقلياً صرفاً أصبح عند الكالفينيين عنصراً مميزاً في نظامهم الأخلاقي . إن حب القريب ، خدمة لمجد الله حصراً<sup>(34)</sup> لا خدمة للمخلوق<sup>(35)</sup> ، يتجلى ، في الدرجة الأولى ، في انجاز المهمات الوظيفية المطلوبة طبيعياً ، ويرتدي بذلك مظهراً موضوعياً صرفاً وغير شخصي من مظاهر العمل الذي نقوم به لخدمة المجتمع الذي نعيش فيه . ذلك أن التنظيم الاجتماعي المدهش يعتبر وسيلة لاشباع حاجات الجنس البشري ، وهذا ما يظهر جلياً في نظر من يستند إلى أحكام التوراة ، وكذلك في نظر من يعتمد على حكمه الطبيعي . وهكذا فإننا نقر بأن العمل ، خدمة للفائدة الاجتماعية اللاشخصية ، يعظم مجد الله ؛ وبأنه إذن من مشيئته . إن الالغاء الجذري لموضوع الربوبية ، ولكافة أنواع الأسئلة التي تتناول الكون والوجود ، والتي أجهدت الكثيرين ، هو أمر مفروغ منه بالنسبة إلى الطهريين ، وكذلك بالنسبة إلى اليهود ولكن لأسباب أخرى . وبمعنى ما فإن هذا الالغاء أمر مسلّم به عموماً لدى كل تقوية مسيحية غير صوفية .

إلى هذا الاقتصاد في القوى تضيف الكالفينية سمة أخرى تكتمل بها اللوحة . في نظر الكالفينية لا صراع بين الفرد والأخلاق (بالمعنى الوارد عند سورين كيركيغارد) ، مع أنها على الصعيد الديني ، تدع الفرد وحيداً مع امكاناته الخاصة . ليس علينا أن نحلل هنا أسباب ذلك ولا أن نحدد معنى وجهة النظر هذه أمام العقلانية الاقتصادية والسياسية لدى الكالفينية . هنا يكمن أساس الطبيعة النفعية للأخلاق الكالفينية ؛ ومن هنا أيضاً تنجم خصوصيات هامة في الطريق التي نفهم الشغل بواسطتها<sup>(36)</sup> . غير أن الوقت قد حان للعودة إلى تفحص مذهب الجبرية .

الفقيه الحنبلية ، في مصر ، هي التالية كيف يذكر سبيل هذا المذهب ان يكون مقبولاً<sup>١٠١</sup> في عصر لم يكن فيه الحياة الآخرة أكثر أهمية بحسب ، بل هي علاوة على ذلك ، أكثر يقينية ، في مواقع عبادة ، من كل فوائد الحياة الدنيا<sup>(١٠٢)</sup> ، بل سؤالا ينبغي أن يطرح نفسه ، في الحال ، على كل مؤمن ، أصح كل لأعبار في الآخرين في النصف الثاني هل مصطفي ؟ كيف أتأكد من ذلك ؟<sup>١٠٣</sup> يسر في الأمر مسكنه بالنسبة إلى الفقه فهو حصو . نفسه وبسيط بلا مصنفه ولا يضع خلاصه موضوع السبيل . وللهذا السبيل ، بل هو الـ كيف يمكن بلورد ، يتأكد من اصطفايته ، لا يجد كالمع حساس غير جواب واحد . ينبغي ان نكتفي بمعرفة ان الله قد امرنا وناب شاعر عن لقد التي لا تدرى بالمسيح ، والتي تنبع من الأجل الحقيقي وهو برهاني من حيث المعية<sup>١٠٤</sup> المرسية انه الله من الممثل معرفه الآخرين حلالا منكم ، إذ ما اصطفي وإدراكا . محكوما بالهلاله الأبدية . قد ان من المحارب الادعاء بمعرفة اسرار الله في هذه الحياة لا يعبر المصطفون هم اليهودير بشيء من خارج<sup>١٠٥</sup> فصلا عن ذلك ، إن كل التجارب الدينية عند اوتيل هي ايضا في مساو عولاء . باستثناء الثقة "الثابرة" انموذ . إذ المصطفين يشكون ، إذ كيه الله اللامرية

صفا المآله حقيقة تماما بالنسبة لاتباع . وقد كانت كمدد بالنسبة لبيدور . ذو بير Theodose de Bézé . ومما يرب وي بالنسبة لاتباعيه من جملة الناس العاديين . إن الخلاص الأكيد . بمعنى مكانية حصو على الخلاص ، يوردي بالضرورة في نظرهم أهمية أساسية حد<sup>١٠٦</sup> . حيث بنود مذهب المحبة كان من المستحيل كيف سؤالا هل يوجد مديير يمكن على أساسه ، يعرف ، ضرورة أكيدة ، ما إذا كان في عداد المصطفين ؟ هذا السؤال لم يحفظ بحسب بشكل دائم ، بأهمية مركزية في تطور مذهب "الثقوية" من الكيمية التي شملته لأصلاح بل كسب فيها حيا . بمعنى ما ، أهمية دينية . مسعود إلى ذلك خير مسرفف عند انتخاب الباسي والاحد علي من المذهب الخاص لأصلاح دين الطائفة . ومن مظاهر سوي أي قد . كان قد نجح . حلال كل القرب السامع عشر حتى خارج السوية ، أعمال حصو انفراد على نعمة الخلاص . أي حصوه . على ميل المثال ، على مراد سوا . عريان المقدس التي على العمل السعادي ماميا ، يدي ، بصفة هذه ، بحدد موقع المرء على الصعيد الاجتماعي

في حدود طرح مسألة الخلاص والفرق بين مسيحيا لاكتفاء . بانه كالمع في دين لايمان انساب . النابع من تأثير انفراد على الإله . وهي اللمة هي لم ينحل المذهب ذو كسبي عنها قطعا . على لأفيا من حيث السبيل . ولم يكن القساوسة يكتبون بدم حلال عملهم الرعائي ، لأهم كالمع على حكاية ماسر وعلى نوايه بالآلام . أحبه عن هذا المذهب فكانوا يؤمنون إذ الصعوبات ويكرم معها نظري مختلفة<sup>١٠٧</sup> . لأن مذهب الجبرية لم يحصع نوايل جديد . ولم ينظر . ولم يؤمن<sup>١٠٨</sup> ، فإن القساوسة قدمو بظهر من المصائب عرسجين بعضهم بالرمض الآخر

من الواجب ان يحبر انمره نفسه في عداد المصطفين . وأي حد على هذا الصعيد ينبغي

رفضه واستبعاده ، باعتباره إغواءً شيطانياً<sup>(46)</sup> ، ذلك أن الثقة الناقصة بالنفس إنما تنجم عن إيمان ناقص ، أي عن فاعلية ناقصة للنعمة الإلهية . وقد جرى تأويل نصيحة الرسول في أن يتأكد من الإلهام الرباني الذي يخصه شخصياً ، واعتبارها بمثابة الواجب الذي يقضي بأن يتيقن ، خلال الصراع اليومي ، من كونه مصطفىً ويحظى بالنعمة الإلهية . بدلاً عن مرتكبي الخطيئة العاديين ، الذين يعدهم لوثر بالغفران ، إذا ما أوكلوا أمرهم إلى الله مؤمنين تائبين ، يبرز «القديسون» الذين يعون ذاتهم<sup>(47)</sup> ، والذين نجدهم في هؤلاء التجار الطهرين ذوي الطينة الفولاذية ، من الأزمنة البطولية عند الرأسمالية ، والذين نجد عينات منهم في زماننا ؛ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن العمل الدؤوب في مهنة ما<sup>(48)</sup> هو أمر مطلوب بشكل واضح ، باعتباره الوسيلة الفضلى ، وذلك بغرض بلوغ هذه الثقة بالنفس . هذا ، وهذا وحده ، يبدد الشك الديني ويمنح اليقين بالغفران . أن تكون النشاطية الزمنية قادرة على إعطاء هذا اليقين ، وأن تعتبر ، تقريباً ، بمثابة الوسيلة المناسبة لمواجهة مشاعر القلق الديني ، فهذا ما نجد سببه في خصوصيات المشاعر الدينية المعترف بها في الكنيسة البرونستانتية . بالتضاد مع اللوثرية ، تظهر هذه الفوارق ، بأجلى ما يكون ، في مذهب التبرير بالإيمان . وقد جرى تحليلها بدقة لا متناهية ، من قبل شنيكنبورغر Schneckenger في سلسلة محاضراته الهامة<sup>(49)</sup> ، وبهدف موضوعي ، هو تحاشي الأحكام التقويمية ، بحيث إن الملاحظات اللاحقة ترجع ببساطة ، وفي الأساسي منها ، إلى ما كتبه .

التجربة الدينية الأرقى ، التي جهدت التقوى اللوثرية لأن تبلغها ، في صورتها المعروفة خلال القرن السابع عشر ، هي التوحد الصوفي مع الألوهية<sup>(50)</sup> . إن المقصود هو الشعور بالذوبان في الخالق ، هذا ما يوحي به اللفظ الذي لم يكن معروفاً في ظل هذه الصيغة من المذهب الاصلاحي : الشعور بأن نفس المؤمن باتت محاصرة بالرباني فعلياً ، بشكل يماثل فعل التأمل لدى الصوفيين الألمان ، ويتميز بأنه ينتظر انتظاراً سلبياً تحقيق الرغبة الجامحة بالحلول في الله ، كما يتميز أيضاً بسريره الوجدانية .

الحقيقة ، وهذا ما يبينه لنا تاريخ الفلسفة ، أن إيماناً دينياً ، صوفياً بشكل أساسي ، يمكن أن يتوافق كثيراً مع معنى الحقائق العملية ؛ ويمكنه حتى أن يكون بالنسبة لها دعامتها المباشرة بعد رفض المذاهب الديالكتيكية . بالإضافة إلى ذلك ، يمكن للصوفية أن تسهل ، بطريقة غير مباشرة ، السلوك العقلاني . مهما يكن الأمر ، فإن الصوفية ، بطبيعتها بالذات ، وفي علاقاتها التي تقيمها مع العالم ، تجهل كل تقييم إيجابي للنشاطية الخارجية . وأخيراً فإن اللوثرية تخطط للتوحد الصوفي مع الشعور العميق بعدم الأهلية الناجم عن الخطيئة الأصلية ، وهو شعور أساسي للحفاظ على التوبة اليومية عند المؤمن اللوثيري المتمسك بالتواضع والبساطة الضروريين لمغفرة الخطايا . وفي المقابل فإن التدين النوعي المفرط عند اللوثرين يتعارض أصلاً مع الهروب الطمأنيني خارج عالم باسكال ، كما يتعارض مع الشعور الداخلي بالتقوى اللوثرية . إن تأثير الرباني في النفس البشرية قد جرى استبعاده ، بموجب الاستعلاء المطلق لله بالنسبة إلى المخلوقات ، فوق ذلك ، لا يمكن أن يتحقق توحد المصطفين مع الله ، ولا يمكن أن يدرك ، من



حبيبهم ، ولا إن خبوا منه من خلالهم ، وإذ كانوا عن وعي يدب ، وهكذا فإن فهمهم بعبه من الإيمان ، والإيمان عند ، الموحود بفضل النعمة الإلهية هو ، بين هذه المرح ، مسرع بطيعة فعلهم نحن قد آدم اختلاف عميق ضابط ، سرود الخلاص الحاسمة ، ويسمى "العبه في نصيف كل موافق الدببه عمديه" بإمكان: "التدبير المعام" <sup>١٤</sup> التأكيد من طهرينه ، وما غير نفسه ما ، ومصطفى ، وإذ آده سلطه لإلهيه ففي نحاله لأوى تدبيل الحبيد بتدبيل نحو المعو. خصوصي ، في الثاني فهي نحن على الفعل السكي كان نور قريب من الموحود لأوى ، في حين سمي الكنائسيو ، في الثاني ، في انوثيري برت ، التأكيد ، لا يكف ، محبب ، ولكن ، ما ان المساع وانعواض البسطه وخصايه حادده ، في نظر الكنائسيين ، مهيب بدب سابعه فيجب أن يأكد الإيمان بنانجه الموحديه ، من حل تكون الأساس الاكث لتخلص الاكث سعي عليه ، لا يكون موف فعال ، كما سمي ، د يكون انشوده إلى الخلاص إلهام رباب ماطي فعلا

إذ وحدث في شرح السو " الثاني " هي النمار التي يصكر بوثيري ان يجد فيها بسكم أكيد لإيمان الحقيقي <sup>١٥</sup> فذل هذه الإحبه بفرر نفسها بوجد الإيمان حقيقي في سطر من سطور ينح بلسمي يري من مجد ان ما الدببه من هذ السو" فهي سنبط من في اده الإلهيه الموحى بها مبشوة في التو. ، لا بشكل غير مباشر في السطر التمدد للمعالم التي حلقه هذه الة <sup>١٦</sup> عليه لا يراف ههريه <sup>١٧</sup> ، وخصوصه بفرانه حاك مع حاله المصطفى في التو. ، حاله البطاركة عن سبيل جثال المصطفى وعبه انبي بعبه فعيا باله يوم انمال <sup>١٨</sup> وعبه العذر بموجب بعبه وتظهر حبه كنها بفضل الابواب - عن ياده مجد برر بعمال بصلحه بعب وبسم فقط طميريا سطيف من وعيه باب ساركة - على الأصل في بعبه الاساسيه وم "ه الثاني - بعبه إلى قوة" <sup>١٩</sup> بعبه على ياده مجد برر ، وبأنه يسر إدب من مشبه الله فحسب ، بل من تدبيره وبعبه <sup>٢٠</sup> وهو بينع الحيم الأسمى الذي بعبه هذ اندين بعبه "تخلص" <sup>٢١</sup> أن يكون من المسكر بعبه ديب ههه ما جري دكيد في <sup>٢٢</sup> <sup>٢٣</sup> <sup>٢٤</sup> <sup>٢٥</sup> <sup>٢٦</sup> <sup>٢٧</sup> <sup>٢٨</sup> <sup>٢٩</sup> <sup>٣٠</sup> <sup>٣١</sup> <sup>٣٢</sup> <sup>٣٣</sup> <sup>٣٤</sup> <sup>٣٥</sup> <sup>٣٦</sup> <sup>٣٧</sup> <sup>٣٨</sup> <sup>٣٩</sup> <sup>٤٠</sup> <sup>٤١</sup> <sup>٤٢</sup> <sup>٤٣</sup> <sup>٤٤</sup> <sup>٤٥</sup> <sup>٤٦</sup> <sup>٤٧</sup> <sup>٤٨</sup> <sup>٤٩</sup> <sup>٥٠</sup> <sup>٥١</sup> <sup>٥٢</sup> <sup>٥٣</sup> <sup>٥٤</sup> <sup>٥٥</sup> <sup>٥٦</sup> <sup>٥٧</sup> <sup>٥٨</sup> <sup>٥٩</sup> <sup>٦٠</sup> <sup>٦١</sup> <sup>٦٢</sup> <sup>٦٣</sup> <sup>٦٤</sup> <sup>٦٥</sup> <sup>٦٦</sup> <sup>٦٧</sup> <sup>٦٨</sup> <sup>٦٩</sup> <sup>٧٠</sup> <sup>٧١</sup> <sup>٧٢</sup> <sup>٧٣</sup> <sup>٧٤</sup> <sup>٧٥</sup> <sup>٧٦</sup> <sup>٧٧</sup> <sup>٧٨</sup> <sup>٧٩</sup> <sup>٨٠</sup> <sup>٨١</sup> <sup>٨٢</sup> <sup>٨٣</sup> <sup>٨٤</sup> <sup>٨٥</sup> <sup>٨٦</sup> <sup>٨٧</sup> <sup>٨٨</sup> <sup>٨٩</sup> <sup>٩٠</sup> <sup>٩١</sup> <sup>٩٢</sup> <sup>٩٣</sup> <sup>٩٤</sup> <sup>٩٥</sup> <sup>٩٦</sup> <sup>٩٧</sup> <sup>٩٨</sup> <sup>٩٩</sup> <sup>١٠٠</sup> <sup>١٠١</sup> <sup>١٠٢</sup> <sup>١٠٣</sup> <sup>١٠٤</sup> <sup>١٠٥</sup> <sup>١٠٦</sup> <sup>١٠٧</sup> <sup>١٠٨</sup> <sup>١٠٩</sup> <sup>١١٠</sup> <sup>١١١</sup> <sup>١١٢</sup> <sup>١١٣</sup> <sup>١١٤</sup> <sup>١١٥</sup> <sup>١١٦</sup> <sup>١١٧</sup> <sup>١١٨</sup> <sup>١١٩</sup> <sup>١٢٠</sup> <sup>١٢١</sup> <sup>١٢٢</sup> <sup>١٢٣</sup> <sup>١٢٤</sup> <sup>١٢٥</sup> <sup>١٢٦</sup> <sup>١٢٧</sup> <sup>١٢٨</sup> <sup>١٢٩</sup> <sup>١٣٠</sup> <sup>١٣١</sup> <sup>١٣٢</sup> <sup>١٣٣</sup> <sup>١٣٤</sup> <sup>١٣٥</sup> <sup>١٣٦</sup> <sup>١٣٧</sup> <sup>١٣٨</sup> <sup>١٣٩</sup> <sup>١٤٠</sup> <sup>١٤١</sup> <sup>١٤٢</sup> <sup>١٤٣</sup> <sup>١٤٤</sup> <sup>١٤٥</sup> <sup>١٤٦</sup> <sup>١٤٧</sup> <sup>١٤٨</sup> <sup>١٤٩</sup> <sup>١٥٠</sup> <sup>١٥١</sup> <sup>١٥٢</sup> <sup>١٥٣</sup> <sup>١٥٤</sup> <sup>١٥٥</sup> <sup>١٥٦</sup> <sup>١٥٧</sup> <sup>١٥٨</sup> <sup>١٥٩</sup> <sup>١٦٠</sup> <sup>١٦١</sup> <sup>١٦٢</sup> <sup>١٦٣</sup> <sup>١٦٤</sup> <sup>١٦٥</sup> <sup>١٦٦</sup> <sup>١٦٧</sup> <sup>١٦٨</sup> <sup>١٦٩</sup> <sup>١٧٠</sup> <sup>١٧١</sup> <sup>١٧٢</sup> <sup>١٧٣</sup> <sup>١٧٤</sup> <sup>١٧٥</sup> <sup>١٧٦</sup> <sup>١٧٧</sup> <sup>١٧٨</sup> <sup>١٧٩</sup> <sup>١٨٠</sup> <sup>١٨١</sup> <sup>١٨٢</sup> <sup>١٨٣</sup> <sup>١٨٤</sup> <sup>١٨٥</sup> <sup>١٨٦</sup> <sup>١٨٧</sup> <sup>١٨٨</sup> <sup>١٨٩</sup> <sup>١٩٠</sup> <sup>١٩١</sup> <sup>١٩٢</sup> <sup>١٩٣</sup> <sup>١٩٤</sup> <sup>١٩٥</sup> <sup>١٩٦</sup> <sup>١٩٧</sup> <sup>١٩٨</sup> <sup>١٩٩</sup> <sup>٢٠٠</sup> <sup>٢٠١</sup> <sup>٢٠٢</sup> <sup>٢٠٣</sup> <sup>٢٠٤</sup> <sup>٢٠٥</sup> <sup>٢٠٦</sup> <sup>٢٠٧</sup> <sup>٢٠٨</sup> <sup>٢٠٩</sup> <sup>٢١٠</sup> <sup>٢١١</sup> <sup>٢١٢</sup> <sup>٢١٣</sup> <sup>٢١٤</sup> <sup>٢١٥</sup> <sup>٢١٦</sup> <sup>٢١٧</sup> <sup>٢١٨</sup> <sup>٢١٩</sup> <sup>٢٢٠</sup> <sup>٢٢١</sup> <sup>٢٢٢</sup> <sup>٢٢٣</sup> <sup>٢٢٤</sup> <sup>٢٢٥</sup> <sup>٢٢٦</sup> <sup>٢٢٧</sup> <sup>٢٢٨</sup> <sup>٢٢٩</sup> <sup>٢٣٠</sup> <sup>٢٣١</sup> <sup>٢٣٢</sup> <sup>٢٣٣</sup> <sup>٢٣٤</sup> <sup>٢٣٥</sup> <sup>٢٣٦</sup> <sup>٢٣٧</sup> <sup>٢٣٨</sup> <sup>٢٣٩</sup> <sup>٢٤٠</sup> <sup>٢٤١</sup> <sup>٢٤٢</sup> <sup>٢٤٣</sup> <sup>٢٤٤</sup> <sup>٢٤٥</sup> <sup>٢٤٦</sup> <sup>٢٤٧</sup> <sup>٢٤٨</sup> <sup>٢٤٩</sup> <sup>٢٥٠</sup> <sup>٢٥١</sup> <sup>٢٥٢</sup> <sup>٢٥٣</sup> <sup>٢٥٤</sup> <sup>٢٥٥</sup> <sup>٢٥٦</sup> <sup>٢٥٧</sup> <sup>٢٥٨</sup> <sup>٢٥٩</sup> <sup>٢٦٠</sup> <sup>٢٦١</sup> <sup>٢٦٢</sup> <sup>٢٦٣</sup> <sup>٢٦٤</sup> <sup>٢٦٥</sup> <sup>٢٦٦</sup> <sup>٢٦٧</sup> <sup>٢٦٨</sup> <sup>٢٦٩</sup> <sup>٢٧٠</sup> <sup>٢٧١</sup> <sup>٢٧٢</sup> <sup>٢٧٣</sup> <sup>٢٧٤</sup> <sup>٢٧٥</sup> <sup>٢٧٦</sup> <sup>٢٧٧</sup> <sup>٢٧٨</sup> <sup>٢٧٩</sup> <sup>٢٨٠</sup> <sup>٢٨١</sup> <sup>٢٨٢</sup> <sup>٢٨٣</sup> <sup>٢٨٤</sup> <sup>٢٨٥</sup> <sup>٢٨٦</sup> <sup>٢٨٧</sup> <sup>٢٨٨</sup> <sup>٢٨٩</sup> <sup>٢٩٠</sup> <sup>٢٩١</sup> <sup>٢٩٢</sup> <sup>٢٩٣</sup> <sup>٢٩٤</sup> <sup>٢٩٥</sup> <sup>٢٩٦</sup> <sup>٢٩٧</sup> <sup>٢٩٨</sup> <sup>٢٩٩</sup> <sup>٣٠٠</sup> <sup>٣٠١</sup> <sup>٣٠٢</sup> <sup>٣٠٣</sup> <sup>٣٠٤</sup> <sup>٣٠٥</sup> <sup>٣٠٦</sup> <sup>٣٠٧</sup> <sup>٣٠٨</sup> <sup>٣٠٩</sup> <sup>٣١٠</sup> <sup>٣١١</sup> <sup>٣١٢</sup> <sup>٣١٣</sup> <sup>٣١٤</sup> <sup>٣١٥</sup> <sup>٣١٦</sup> <sup>٣١٧</sup> <sup>٣١٨</sup> <sup>٣١٩</sup> <sup>٣٢٠</sup> <sup>٣٢١</sup> <sup>٣٢٢</sup> <sup>٣٢٣</sup> <sup>٣٢٤</sup> <sup>٣٢٥</sup> <sup>٣٢٦</sup> <sup>٣٢٧</sup> <sup>٣٢٨</sup> <sup>٣٢٩</sup> <sup>٣٣٠</sup> <sup>٣٣١</sup> <sup>٣٣٢</sup> <sup>٣٣٣</sup> <sup>٣٣٤</sup> <sup>٣٣٥</sup> <sup>٣٣٦</sup> <sup>٣٣٧</sup> <sup>٣٣٨</sup> <sup>٣٣٩</sup> <sup>٣٤٠</sup> <sup>٣٤١</sup> <sup>٣٤٢</sup> <sup>٣٤٣</sup> <sup>٣٤٤</sup> <sup>٣٤٥</sup> <sup>٣٤٦</sup> <sup>٣٤٧</sup> <sup>٣٤٨</sup> <sup>٣٤٩</sup> <sup>٣٥٠</sup> <sup>٣٥١</sup> <sup>٣٥٢</sup> <sup>٣٥٣</sup> <sup>٣٥٤</sup> <sup>٣٥٥</sup> <sup>٣٥٦</sup> <sup>٣٥٧</sup> <sup>٣٥٨</sup> <sup>٣٥٩</sup> <sup>٣٦٠</sup> <sup>٣٦١</sup> <sup>٣٦٢</sup> <sup>٣٦٣</sup> <sup>٣٦٤</sup> <sup>٣٦٥</sup> <sup>٣٦٦</sup> <sup>٣٦٧</sup> <sup>٣٦٨</sup> <sup>٣٦٩</sup> <sup>٣٧٠</sup> <sup>٣٧١</sup> <sup>٣٧٢</sup> <sup>٣٧٣</sup> <sup>٣٧٤</sup> <sup>٣٧٥</sup> <sup>٣٧٦</sup> <sup>٣٧٧</sup> <sup>٣٧٨</sup> <sup>٣٧٩</sup> <sup>٣٨٠</sup> <sup>٣٨١</sup> <sup>٣٨٢</sup> <sup>٣٨٣</sup> <sup>٣٨٤</sup> <sup>٣٨٥</sup> <sup>٣٨٦</sup> <sup>٣٨٧</sup> <sup>٣٨٨</sup> <sup>٣٨٩</sup> <sup>٣٩٠</sup> <sup>٣٩١</sup> <sup>٣٩٢</sup> <sup>٣٩٣</sup> <sup>٣٩٤</sup> <sup>٣٩٥</sup> <sup>٣٩٦</sup> <sup>٣٩٧</sup> <sup>٣٩٨</sup> <sup>٣٩٩</sup> <sup>٤٠٠</sup> <sup>٤٠١</sup> <sup>٤٠٢</sup> <sup>٤٠٣</sup> <sup>٤٠٤</sup> <sup>٤٠٥</sup> <sup>٤٠٦</sup> <sup>٤٠٧</sup> <sup>٤٠٨</sup> <sup>٤٠٩</sup> <sup>٤١٠</sup> <sup>٤١١</sup> <sup>٤١٢</sup> <sup>٤١٣</sup> <sup>٤١٤</sup> <sup>٤١٥</sup> <sup>٤١٦</sup> <sup>٤١٧</sup> <sup>٤١٨</sup> <sup>٤١٩</sup> <sup>٤٢٠</sup> <sup>٤٢١</sup> <sup>٤٢٢</sup> <sup>٤٢٣</sup> <sup>٤٢٤</sup> <sup>٤٢٥</sup> <sup>٤٢٦</sup> <sup>٤٢٧</sup> <sup>٤٢٨</sup> <sup>٤٢٩</sup> <sup>٤٣٠</sup> <sup>٤٣١</sup> <sup>٤٣٢</sup> <sup>٤٣٣</sup> <sup>٤٣٤</sup> <sup>٤٣٥</sup> <sup>٤٣٦</sup> <sup>٤٣٧</sup> <sup>٤٣٨</sup> <sup>٤٣٩</sup> <sup>٤٤٠</sup> <sup>٤٤١</sup> <sup>٤٤٢</sup> <sup>٤٤٣</sup> <sup>٤٤٤</sup> <sup>٤٤٥</sup> <sup>٤٤٦</sup> <sup>٤٤٧</sup> <sup>٤٤٨</sup> <sup>٤٤٩</sup> <sup>٤٥٠</sup> <sup>٤٥١</sup> <sup>٤٥٢</sup> <sup>٤٥٣</sup> <sup>٤٥٤</sup> <sup>٤٥٥</sup> <sup>٤٥٦</sup> <sup>٤٥٧</sup> <sup>٤٥٨</sup> <sup>٤٥٩</sup> <sup>٤٦٠</sup> <sup>٤٦١</sup> <sup>٤٦٢</sup> <sup>٤٦٣</sup> <sup>٤٦٤</sup> <sup>٤٦٥</sup> <sup>٤٦٦</sup> <sup>٤٦٧</sup> <sup>٤٦٨</sup> <sup>٤٦٩</sup> <sup>٤٧٠</sup> <sup>٤٧١</sup> <sup>٤٧٢</sup> <sup>٤٧٣</sup> <sup>٤٧٤</sup> <sup>٤٧٥</sup> <sup>٤٧٦</sup> <sup>٤٧٧</sup> <sup>٤٧٨</sup> <sup>٤٧٩</sup> <sup>٤٨٠</sup> <sup>٤٨١</sup> <sup>٤٨٢</sup> <sup>٤٨٣</sup> <sup>٤٨٤</sup> <sup>٤٨٥</sup> <sup>٤٨٦</sup> <sup>٤٨٧</sup> <sup>٤٨٨</sup> <sup>٤٨٩</sup> <sup>٤٩٠</sup> <sup>٤٩١</sup> <sup>٤٩٢</sup> <sup>٤٩٣</sup> <sup>٤٩٤</sup> <sup>٤٩٥</sup> <sup>٤٩٦</sup> <sup>٤٩٧</sup> <sup>٤٩٨</sup> <sup>٤٩٩</sup> <sup>٥٠٠</sup> <sup>٥٠١</sup> <sup>٥٠٢</sup> <sup>٥٠٣</sup> <sup>٥٠٤</sup> <sup>٥٠٥</sup> <sup>٥٠٦</sup> <sup>٥٠٧</sup> <sup>٥٠٨</sup> <sup>٥٠٩</sup> <sup>٥١٠</sup> <sup>٥١١</sup> <sup>٥١٢</sup> <sup>٥١٣</sup> <sup>٥١٤</sup> <sup>٥١٥</sup> <sup>٥١٦</sup> <sup>٥١٧</sup> <sup>٥١٨</sup> <sup>٥١٩</sup> <sup>٥٢٠</sup> <sup>٥٢١</sup> <sup>٥٢٢</sup> <sup>٥٢٣</sup> <sup>٥٢٤</sup> <sup>٥٢٥</sup> <sup>٥٢٦</sup> <sup>٥٢٧</sup> <sup>٥٢٨</sup> <sup>٥٢٩</sup> <sup>٥٣٠</sup> <sup>٥٣١</sup> <sup>٥٣٢</sup> <sup>٥٣٣</sup> <sup>٥٣٤</sup> <sup>٥٣٥</sup> <sup>٥٣٦</sup> <sup>٥٣٧</sup> <sup>٥٣٨</sup> <sup>٥٣٩</sup> <sup>٥٤٠</sup> <sup>٥٤١</sup> <sup>٥٤٢</sup> <sup>٥٤٣</sup> <sup>٥٤٤</sup> <sup>٥٤٥</sup> <sup>٥٤٦</sup> <sup>٥٤٧</sup> <sup>٥٤٨</sup> <sup>٥٤٩</sup> <sup>٥٥٠</sup> <sup>٥٥١</sup> <sup>٥٥٢</sup> <sup>٥٥٣</sup> <sup>٥٥٤</sup> <sup>٥٥٥</sup> <sup>٥٥٦</sup> <sup>٥٥٧</sup> <sup>٥٥٨</sup> <sup>٥٥٩</sup> <sup>٥٦٠</sup> <sup>٥٦١</sup> <sup>٥٦٢</sup> <sup>٥٦٣</sup> <sup>٥٦٤</sup> <sup>٥٦٥</sup> <sup>٥٦٦</sup> <sup>٥٦٧</sup> <sup>٥٦٨</sup> <sup>٥٦٩</sup> <sup>٥٧٠</sup> <sup>٥٧١</sup> <sup>٥٧٢</sup> <sup>٥٧٣</sup> <sup>٥٧٤</sup> <sup>٥٧٥</sup> <sup>٥٧٦</sup> <sup>٥٧٧</sup> <sup>٥٧٨</sup> <sup>٥٧٩</sup> <sup>٥٨٠</sup> <sup>٥٨١</sup> <sup>٥٨٢</sup> <sup>٥٨٣</sup> <sup>٥٨٤</sup> <sup>٥٨٥</sup> <sup>٥٨٦</sup> <sup>٥٨٧</sup> <sup>٥٨٨</sup> <sup>٥٨٩</sup> <sup>٥٩٠</sup> <sup>٥٩١</sup> <sup>٥٩٢</sup> <sup>٥٩٣</sup> <sup>٥٩٤</sup> <sup>٥٩٥</sup> <sup>٥٩٦</sup> <sup>٥٩٧</sup> <sup>٥٩٨</sup> <sup>٥٩٩</sup> <sup>٦٠٠</sup> <sup>٦٠١</sup> <sup>٦٠٢</sup> <sup>٦٠٣</sup> <sup>٦٠٤</sup> <sup>٦٠٥</sup> <sup>٦٠٦</sup> <sup>٦٠٧</sup> <sup>٦٠٨</sup> <sup>٦٠٩</sup> <sup>٦١٠</sup> <sup>٦١١</sup> <sup>٦١٢</sup> <sup>٦١٣</sup> <sup>٦١٤</sup> <sup>٦١٥</sup> <sup>٦١٦</sup> <sup>٦١٧</sup> <sup>٦١٨</sup> <sup>٦١٩</sup> <sup>٦٢٠</sup> <sup>٦٢١</sup> <sup>٦٢٢</sup> <sup>٦٢٣</sup> <sup>٦٢٤</sup> <sup>٦٢٥</sup> <sup>٦٢٦</sup> <sup>٦٢٧</sup> <sup>٦٢٨</sup> <sup>٦٢٩</sup> <sup>٦٣٠</sup> <sup>٦٣١</sup> <sup>٦٣٢</sup> <sup>٦٣٣</sup> <sup>٦٣٤</sup> <sup>٦٣٥</sup> <sup>٦٣٦</sup> <sup>٦٣٧</sup> <sup>٦٣٨</sup> <sup>٦٣٩</sup> <sup>٦٤٠</sup> <sup>٦٤١</sup> <sup>٦٤٢</sup> <sup>٦٤٣</sup> <sup>٦٤٤</sup> <sup>٦٤٥</sup> <sup>٦٤٦</sup> <sup>٦٤٧</sup> <sup>٦٤٨</sup> <sup>٦٤٩</sup> <sup>٦٥٠</sup> <sup>٦٥١</sup> <sup>٦٥٢</sup> <sup>٦٥٣</sup> <sup>٦٥٤</sup> <sup>٦٥٥</sup> <sup>٦٥٦</sup> <sup>٦٥٧</sup> <sup>٦٥٨</sup> <sup>٦٥٩</sup> <sup>٦٦٠</sup> <sup>٦٦١</sup> <sup>٦٦٢</sup> <sup>٦٦٣</sup> <sup>٦٦٤</sup> <sup>٦٦٥</sup> <sup>٦٦٦</sup> <sup>٦٦٧</sup> <sup>٦٦٨</sup> <sup>٦٦٩</sup> <sup>٦٧٠</sup> <sup>٦٧١</sup> <sup>٦٧٢</sup> <sup>٦٧٣</sup> <sup>٦٧٤</sup> <sup>٦٧٥</sup> <sup>٦٧٦</sup> <sup>٦٧٧</sup> <sup>٦٧٨</sup> <sup>٦٧٩</sup> <sup>٦٨٠</sup> <sup>٦٨١</sup> <sup>٦٨٢</sup> <sup>٦٨٣</sup> <sup>٦٨٤</sup> <sup>٦٨٥</sup> <sup>٦٨٦</sup> <sup>٦٨٧</sup> <sup>٦٨٨</sup> <sup>٦٨٩</sup> <sup>٦٩٠</sup> <sup>٦٩١</sup> <sup>٦٩٢</sup> <sup>٦٩٣</sup> <sup>٦٩٤</sup> <sup>٦٩٥</sup> <sup>٦٩٦</sup> <sup>٦٩٧</sup> <sup>٦٩٨</sup> <sup>٦٩٩</sup> <sup>٧٠٠</sup> <sup>٧٠١</sup> <sup>٧٠٢</sup> <sup>٧٠٣</sup> <sup>٧٠٤</sup> <sup>٧٠٥</sup> <sup>٧٠٦</sup> <sup>٧٠٧</sup> <sup>٧٠٨</sup> <sup>٧٠٩</sup> <sup>٧١٠</sup> <sup>٧١١</sup> <sup>٧١٢</sup> <sup>٧١٣</sup> <sup>٧١٤</sup> <sup>٧١٥</sup> <sup>٧١٦</sup> <sup>٧١٧</sup> <sup>٧١٨</sup> <sup>٧١٩</sup> <sup>٧٢٠</sup> <sup>٧٢١</sup> <sup>٧٢٢</sup> <sup>٧٢٣</sup> <sup>٧٢٤</sup> <sup>٧٢٥</sup> <sup>٧٢٦</sup> <sup>٧٢٧</sup> <sup>٧٢٨</sup> <sup>٧٢٩</sup> <sup>٧٣٠</sup> <sup>٧٣١</sup> <sup>٧٣٢</sup> <sup>٧٣٣</sup> <sup>٧٣٤</sup> <sup>٧٣٥</sup> <sup>٧٣٦</sup> <sup>٧٣٧</sup> <sup>٧٣٨</sup> <sup>٧٣٩</sup> <sup>٧٤٠</sup> <sup>٧٤١</sup> <sup>٧٤٢</sup> <sup>٧٤٣</sup> <sup>٧٤٤</sup> <sup>٧٤٥</sup> <sup>٧٤٦</sup> <sup>٧٤٧</sup> <sup>٧٤٨</sup> <sup>٧٤٩</sup> <sup>٧٥٠</sup> <sup>٧٥١</sup> <sup>٧٥٢</sup> <sup>٧٥٣</sup> <sup>٧٥٤</sup> <sup>٧٥٥</sup> <sup>٧٥٦</sup> <sup>٧٥٧</sup> <sup>٧٥٨</sup> <sup>٧٥٩</sup> <sup>٧٦٠</sup> <sup>٧٦١</sup> <sup>٧٦٢</sup> <sup>٧٦٣</sup> <sup>٧٦٤</sup> <sup>٧٦٥</sup> <sup>٧٦٦</sup> <sup>٧٦٧</sup> <sup>٧٦٨</sup> <sup>٧٦٩</sup> <sup>٧٧٠</sup> <sup>٧٧١</sup> <sup>٧٧٢</sup> <sup>٧٧٣</sup> <sup>٧٧٤</sup> <sup>٧٧٥</sup> <sup>٧٧٦</sup> <sup>٧٧٧</sup> <sup>٧٧٨</sup> <sup>٧٧٩</sup> <sup>٧٨٠</sup> <sup>٧٨١</sup> <sup>٧٨٢</sup> <sup>٧٨٣</sup> <sup>٧٨٤</sup> <sup>٧٨٥</sup> <sup>٧٨٦</sup> <sup>٧٨٧</sup> <sup>٧٨٨</sup> <sup>٧٨٩</sup> <sup>٧٩٠</sup> <sup>٧٩١</sup> <sup>٧٩٢</sup> <sup>٧٩٣</sup> <sup>٧٩٤</sup> <sup>٧٩٥</sup> <sup>٧٩٦</sup> <sup>٧٩٧</sup> <sup>٧٩٨</sup> <sup>٧٩٩</sup> <sup>٨٠٠</sup> <sup>٨٠١</sup> <sup>٨٠٢</sup> <sup>٨٠٣</sup> <sup>٨٠٤</sup> <sup>٨٠٥</sup> <sup>٨٠٦</sup> <sup>٨٠٧</sup> <sup>٨٠٨</sup> <sup>٨٠٩</sup> <sup>٨١٠</sup> <sup>٨١١</sup> <sup>٨١٢</sup> <sup>٨١٣</sup> <sup>٨١٤</sup> <sup>٨١٥</sup> <sup>٨١٦</sup> <sup>٨١٧</sup> <sup>٨١٨</sup> <sup>٨١٩</sup> <sup>٨٢٠</sup> <sup>٨٢١</sup> <sup>٨٢٢</sup> <sup>٨٢٣</sup> <sup>٨٢٤</sup> <sup>٨٢٥</sup> <sup>٨٢٦</sup> <sup>٨٢٧</sup> <sup>٨٢٨</sup> <sup>٨٢٩</sup> <sup>٨٣٠</sup> <sup>٨٣١</sup> <sup>٨٣٢</sup> <sup>٨٣٣</sup> <sup>٨٣٤</sup> <sup>٨٣٥</sup> <sup>٨٣٦</sup> <sup>٨٣٧</sup> <sup>٨٣٨</sup> <sup>٨٣٩</sup> <sup>٨٤٠</sup> <sup>٨٤١</sup> <sup>٨٤٢</sup> <sup>٨٤٣</sup> <sup>٨٤٤</sup> <sup>٨٤٥</sup> <sup>٨٤٦</sup> <sup>٨٤٧</sup> <sup>٨٤٨</sup> <sup>٨٤٩</sup> <sup>٨٥٠</sup> <sup>٨٥١</sup> <sup>٨٥٢</sup> <sup>٨٥٣</sup> <sup>٨٥٤</sup> <sup>٨٥٥</sup> <sup>٨٥٦</sup> <sup>٨٥٧</sup> <sup>٨٥٨</sup> <sup>٨٥٩</sup> <sup>٨٦٠</sup> <sup>٨٦١</sup> <sup>٨٦٢</sup> <sup>٨٦٣</sup> <sup>٨٦٤</sup> <sup>٨٦٥</sup> <sup>٨٦٦</sup> <sup>٨٦٧</sup> <sup>٨٦٨</sup> <sup>٨٦٩</sup> <sup>٨٧٠</sup> <sup>٨٧١</sup> <sup>٨٧٢</sup> <sup>٨٧٣</sup> <sup>٨٧٤</sup> <sup>٨٧٥</sup> <sup>٨٧٦</sup> <sup>٨٧٧</sup> <sup>٨٧٨</sup> <sup>٨٧٩</sup> <sup>٨٨٠</sup> <sup>٨٨١</sup> <sup>٨٨٢</sup> <sup>٨٨٣</sup> <sup>٨٨٤</sup> <sup>٨٨٥</sup> <sup>٨٨٦</sup> <sup>٨٨٧</sup> <sup>٨٨٨</sup> <sup>٨٨٩</sup> <sup>٨٩٠</sup> <sup>٨٩١</sup> <sup>٨٩٢</sup> <sup>٨٩٣</sup> <sup>٨٩٤</sup> <sup>٨٩٥</sup> <sup>٨٩٦</sup> <sup>٨٩٧</sup> <sup>٨٩٨</sup> <sup>٨٩٩</sup> <sup>٩٠٠</sup> <sup>٩٠١</sup> <sup>٩٠٢</sup> <sup>٩٠٣</sup> <sup>٩٠٤</sup> <sup>٩٠٥</sup> <sup>٩٠٦</sup> <sup>٩٠٧</sup> <sup>٩٠٨</sup> <sup>٩٠٩</sup> <sup>٩١٠</sup> <sup>٩١١</sup> <sup>٩١٢</sup> <sup>٩١٣</sup> <sup>٩١٤</sup> <sup>٩١٥</sup> <sup>٩١٦</sup> <sup>٩١٧</sup> <sup>٩١٨</sup> <sup>٩١٩</sup> <sup>٩٢٠</sup> <sup>٩٢١</sup> <sup>٩٢٢</sup> <sup>٩٢٣</sup> <sup>٩٢٤</sup> <sup>٩٢٥</sup> <sup>٩٢٦</sup> <sup>٩٢٧</sup> <sup>٩٢٨</sup> <sup>٩٢٩</sup> <sup>٩٣٠</sup> <sup>٩٣١</sup> <sup>٩٣٢</sup> <sup>٩٣٣</sup> <sup>٩٣٤</sup> <sup>٩٣٥</sup> <sup>٩٣٦</sup> <sup>٩٣٧</sup> <sup>٩٣٨</sup> <sup>٩٣٩</sup> <sup>٩٤٠</sup> <sup>٩٤١</sup> <sup>٩٤٢</sup> <sup>٩٤٣</sup> <sup>٩٤٤</sup> <sup>٩٤٥</sup> <sup>٩٤٦</sup> <sup>٩٤٧</sup> <sup>٩٤٨</sup> <sup>٩٤٩</sup> <sup>٩٥٠</sup> <sup>٩٥١</sup> <sup>٩٥٢</sup> <sup>٩٥٣</sup> <sup>٩٥٤</sup> <sup>٩٥٥</sup> <sup>٩٥٦</sup> <sup>٩٥٧</sup> <sup>٩٥٨</sup> <sup>٩٥٩</sup> <sup>٩٦٠</sup> <sup>٩٦١</sup> <sup>٩٦٢</sup> <sup>٩٦٣</sup> <sup>٩٦٤</sup> <sup>٩٦٥</sup> <sup>٩٦٦</sup> <sup>٩٦٧</sup> <sup>٩٦٨</sup> <sup>٩٦٩</sup> <sup>٩٧٠</sup> <sup>٩٧١</sup> <sup>٩٧٢</sup> <sup>٩٧٣</sup> <sup>٩٧٤</sup> <sup>٩٧٥</sup> <sup>٩٧٦</sup> <sup>٩٧٧</sup> <sup>٩٧٨</sup> <sup>٩٧٩</sup> <sup>٩٨٠</sup> <sup>٩٨١</sup> <sup>٩٨٢</sup> <sup>٩٨٣</sup> <sup>٩٨٤</sup> <sup>٩٨٥</sup> <sup>٩٨٦</sup> <sup>٩٨٧</sup> <sup>٩٨٨</sup> <sup>٩٨٩</sup> <sup>٩٩٠</sup> <sup>٩٩١</sup> <sup>٩٩٢</sup> <sup>٩٩٣</sup> <sup>٩٩٤</sup> <sup>٩٩٥</sup> <sup>٩٩٦</sup> <sup>٩٩٧</sup> <sup>٩٩٨</sup> <sup>٩٩٩</sup> <sup>١٠٠٠</sup> <sup>١</sup>

تباعاً ، بل يعني أنها ينبغي أن تكون الاختبار المنهجي لوعي يجد نفسه ، في كل لحظة ، أمام الخيار : مصطفى أم ملعون ؟ نكون بذلك قد وصلنا إلى نقطة من أبحاثنا هي من النقاط الأكثر أهمية .

إن شكلاً مشابهاً من التفكير، بلورته الكنائس والطوائف أو الفرق اللوثرية بوضوح متزايد<sup>(66)</sup> ، وكان اللوثريون قد اعتبروه ارتداداً إلى «التطهر بالعمل»<sup>(67)</sup> . ومهما يكن مبرراً احتجاج المتهمين ، على اعتبار موقفهم الاعتقادي مماثلاً للمذهب الكاثوليكي ، فإن هذا الاتهام ، كان من غير شك ، ثابتاً ، بالنظر إلى النتائج العملية المترتبة على مثل هذا الموقف في حياة المسيحي اللوثرى العادي اليومية<sup>(68)</sup> . ربما لأنه لم يوجد قط ، في مجال التقييم الديني للعمل الأخلاقي ، شكل أقوى من الذي قدمته الكالفينية لأتباعها . غير أن ما يعطي ، بشكل حاسم ، لهذا النوع من «الخلاص بالعمل» معناه العملي هو ، بالدرجة الأولى ، التعرف على الخصائص التي تميزه بين شكل السلوك الملائم والحياة اليومية ، لدى مسيحي عادي من مسيحي القرون الوسطى . كان الكاثوليكي العلماني في العصر الوسيط<sup>(69)</sup> يعيش عادة «كفاف يومه» ، من الناحية الأخلاقية . وكان ، قبل كل شيء ، ينجز ، واعياً ، واجباته التقليدية . وفيما تبقى ، في المقابل ، لم تشكل «أعماله الصالحة» ، بالضرورة ، كلاً متماسكاً ؛ وعلى الأقل ، لم تكن بالضرورة متسلسلة ، بشكل عقلائي ، في نظام حياتي . بل بقيت بالأحرى سلسلة أفعال معزولة ، ينجزها حسب الظروف ، بهدف التحرر من الخطايا الخاصة ، إما بتأثير من الكهنوت ، وإما لكي يدفع ، في أواخر حياته ، نوعاً من القسط لتأمين خلاصه . وكانت الأخلاق الكاثوليكية ، طبعاً ، أخلاق «اليقين» ، غير أن النية من وراء عمل ما هي التي تحدد قيمته ، والعمل هذا حسناً أم سيئاً ، كان يوضع على حساب من ينجزه ، مؤثراً على مصيره المزدوج ، الديني والدنيوي . تعترف الكنيسة ، بطريقة واقعية جداً ، بأن الإنسان ليس وحدة محددة بعبارات مطلقة الواضوح ، يمكن تقييمها بدقة ، غير أنها تقر بأن حياته الأخلاقية محددة بدوافع متضاربة وأن سلوكه متناقض في الغالب . ومن المعروف أن الكنيسة تتطلب ، فوق ذلك ، كمثال أعلى ، تحولاً جذرياً في الحياة الإنسانية . لكنها ، من ناحية أخرى ، تخفف من هذا التطلب (عن جمهور المؤمنين) بإحدى وسائلها الفعالة جداً نفوذاً وتربية : سر التوبة ، الذي تتطابق وظيفته مع أعرق خصائص الكاثوليكية .

إن «فك سحر» العالم - إزالة السحر كتقنية للخلاص<sup>(70)</sup> - لم يكن مدفوعاً بعيداً من جانب الكاثوليكية مثلما كان على يد الطهرية (وقبلها على يد اليهودية) . كان الكاثوليكي<sup>(71)</sup> يتصرف بغفران كنيسته لكي يعوض عدم كماله . وكان الكاهن ساحراً يصنع معجزة استحالة القربان ، ويمسك بمفاتيح الجنة بين يديه . يمكن الرجوع إليه في التوبة والندامة . إنه ، وهو يدير الأسرار ، يوزع الكفارات ، والأمل بالنعمة ، واليقين بالعفو ، مؤمناً بذلك إفراغ هذا التوتر المخيف الذي يحكم قدره به على الكالفيني دون تملص ولا تخفيف أبداً . بالنسبة للكالفيني لا مجال لأشكال من المواساة الودية والإنسانية . وليس بإمكانه أبداً أن يأمل - على طريقة الكاثوليكي أو حتى اللوثرى - بتعويض ساعات ضعفه ومجونه بإرادة قوية متنامية . إن رب الكالفينية لا يطلب أعمالاً صالحة

معروفة بل حياة بنود "الصالح" الذي جاء في نظام معين. يجب التساؤل حالة الذهاب  
الإيمان الكاثوليكي "الإنساني أصلاً، بين الحظيرة، الدم، أسبوعه، وحقن، ثم الحظيرة مرة  
أخرى ولا مساحة لاستعادة من حياة. يطر إليها في حملها. سحب رصده يمكن عرضه  
بوساطة موثقة والتكفير عنه بوسائل المعصاة الكسبية

الجمهورية الأخلاقية استبداداً. معززة هكذا من عدد من التصميم والطام. كتاب سكر  
إلى غير منهج معطي منظر على مجمل الشؤون. ليس من الصدفة أن يكون نغمه التمهجين  
والميدويين. قد يجب متعلقه بأندع انهضة الحياى من الحكم الظهري على المبدأ الثامر عشر كما  
أن تعاريف المعاداة التديينية. ويريسوريو. فاست قد قدمت في اسلافهم "الروحاني حلاً" المرف  
السامية عشر". ذلك، بحولاً حدد. في معنى الحياة كلها كان وحده. بقضي في كل  
محطته وفي كل عمل. تأكيد نتائج المعصاة. ودين سحب الإنسان من حالته الطبيعية ووضع  
في حالة صام صلي

كتاب حياة والفديس، موطنة حصر نحو نهاية متعاقبة نحو الخلاص. وهذه السب  
حميد كتاب محققه كتب في هذا العالم. وجامعة تدعى الهدف الوحيد. سمية محمد شاذلي  
الأرضى. ثم يطر إلى مفهوم معطي لله وبجانبه. من هذه الصرامة<sup>14</sup>. وحدها الحياة التي  
بوجهه. فكر سبب قادراً على إنجاز تحطلي الكيان الطبيعي. بعد جرد سنده الذكوجيو  
الديكارى من هذا الظهري في دة. أدلة من خلال ناويل حلافي جديد<sup>15</sup>. سبب  
العصاة التي أصعب على نفوذ البورية بلامتها السكية الحرة، والتي سبب، في هذه  
حد. فربما الروحانية مع الكاثوليكية<sup>16</sup>، وبعدها، الوعي معها. ومن بافل المرب  
كاثوليكية كتاب تشهد ايضاً قضايا مماثلة

"السكية المسيحية من غير أي سبب، مطو. إليها من الخارج ومن هذا على السوء،  
معروف على سبب سبيده السبب في العرب. إلى كد سببها مطو. عدد عصاة عدول  
كلها في العصر الوسيط. وفي تعداد من وجوهها، من تصور القديمة بسبب المعنى التاريخي  
الكبير حياة الرهبنة في العرب، العناصر مع الرهبنة الشرقية. غير هذه حقيقة على الأقل في  
مقدومه العام. إذ لا يذكر في جميع الحالات. وقد كتب في مبدئيها سبب. من فلوب  
سبب. Suni, Benor من التبدل لا اعتباري من التبدل. من فلوب في مبدئيها السبب. وصاعده  
محرره من دة عبد كنوني. د ع 1905، الفرنسي X و X، و. أكثر عدد اباع كسبة  
Gruex وافر (الثاني عشر)، ويسكن مطو. عبد اليسوعيين. وقد بحوث سسكية إلى منهج في  
"السبب العقلاني. يهدف إلى تجاوز الكيان الطبيعي وإلى سحب الإنسان من سببته من انتر  
وحريره من سببته الطبيعية. وبعدها. ودين بقية استبداد. قد. بالحصار إلى عظمة الإادة<sup>17</sup>  
د. حصص أفعاله برفاهه دائمة. وصحى ذهبي. من سببونه الأخلاقي. هكذا فإنها موضوعاً ند  
الكنس. يوضح شيئاً في حده مبدئيه الله، محققه. سبب. خلاص النفس. هذه الرقابة الدينية  
الضالفة، التي هي هدف عباد الفديس إيباس. وهي شكل عام من سبب فصل الرهبنة<sup>18</sup>



تشكل، من ناحية أخرى، المثال الأعلى العملي عند الطهرية<sup>(80)</sup>. بأي مقدار من السخرية المرة كانت تقارير استجوابات شهداء الطهرية تُقدّم في مقابل ثروات وتبجّحات الأساقفة النبلاء اللامتناهية وما يماثلها عند عملاء السلطة<sup>(81)</sup>، مع تحفظ هادئ وبارد من قبل أتباعها؟ نجد فيها ظاهراً هذه الرقابة على الذات، التي تقيّم، حتى في أيامنا، النموذج المكتمل للجنة لجان الانكليزي أو الأنكلو-أميركي<sup>(82)</sup>. لنترجم ذلك إلى لغتنا<sup>(83)</sup>: إن النسكية الطهرية، مثل كل أشكال التنسك «العقلاني»، تعمل على جعل الإنسان قادراً، مقابل «الانفعالات»، على تأكيد «دوافعه الدائمة»، لا سيما تلك التي ترسخها هذه النسكية في ذهنه. فهي تسعى إلى أن ترسخ فيه «شخصيته» بالمعنى الشكلي والبيكولوجي للكلمة. على عكس كثير من الأفكار الشائعة حول هذا الموضوع، المقصود هو جعل الإنسان قادراً على أن يعيش حياة نشيطة ومنفتحة؛ المهمة الأكثر إلحاحاً هي: قتل بساطة التمتع الغريزي والعفوي؛ والوسيلة الأكثر فاعلية هي: إدخال النظام إلى أشكال السلوك الفردي. إنها نقاط حاسمة توجد مفصلة بوضوح في قواعد الكهانة الكاثوليكية<sup>(84)</sup> كما في مبادئ السلوك الكالفيني<sup>(85)</sup>. إن القدرة على التوسع الشامل، عند كليهما، تستند على هذا التطور المنهجي للفرد بكامله. فيما يتعلق، بالكالفينية بشكل خاص، ينبغي ملاحظة قابليتها، قياساً على اللوثرية، على تحقيق وجود البروتستانتية ككنيسة مكافحة.

ليس الخلاف بين النسكية الكالفينية ونسكية العصر الوسيط أقل بديهية. إن إلغاء المصالحة الإنجيلية حول النسكية إلى نسكية في الحياة الدنيا. لا لأن الكنيسة الكاثوليكية قد قصرت الحياة «المتودية» على خلايا الرهبنة، نظرياً وعملياً. فعلى العكس من ذلك، وهذا ما كنا غالباً قد أشرنا إليه، تعلم الكاثوليكية رغم اعتدالها الأخلاقي النسبي أن حياة من دون أية ميزة أخلاقية منهجية لا يمكنها أن تبلغ أسمى أشكال المثل العليا التي طرحتها، وهذا يصح أيضاً على الحياة الدنيا<sup>(86)</sup>. إن العالميين، أتباع القديس فرنسيس في عالم الرهبنة، على سبيل المثال، قد شكلوا محاولة مهمة لإدخال النسكية في الحياة اليومية، ونحن نعرف أنها لم تكن المحاولة الوحيدة. صحيح أن أعمالاً مثل «تقليد يسوع المسيح» تبين تحديداً، من خلال نفوذها العميق الذي مارسه، كم أن السلوك، الذي وعظت باتباعه، قد اعتبر أرفع من الحد الأدنى من الأخلاقية الكافية للحياة اليومية. وكذلك، إلى أي حد لم تكن الحياة اليومية مقاسة حسب المعايير التي أقرتها الطهرية. فوق ذلك، تجابه بعض الممارسات الكنسية، لا سيما الغفرانية منها، مواجهة حتمية، التطلعات إلى نسكية منهجية داخل العالم العلماني. لهذا السبب، لم يكن يعتبر استخدام الغفران، في عصر الإصلاح الديني، كهفوة بسيطة، بل نظر إليه كأنه شر الكنيسة الأساسي.

مع ذلك، بقيت الحقيقة المهمة كامنة في أن الراهب هو، بامتياز، الإنسان الوحيد الذي كان يعيش حياة متودية بالمعنى الديني للعبارة. ينجم عن ذلك أنه بمقدار ما تسيطر النسكية على الفرد بمقدار ما تطرده من الحياة العملية، ذلك أن الحياة المقدسة خصوصاً تكمن في تخطي الأخلاق الدنيوية<sup>(87)</sup>. إن لوثر الذي لم يكن أداة تنفيذية لأي قانون من «قوانين التطور»، إنما الذي انطلق من تجارب شخصية جداً، غير متأكد في البداية من نتائجها العملية، ثم مدفوعاً، فيما بعد، بالظروف

السياسة، ويردّد مسجّد السكّية في بدايه ٤٠٠٠ هـ حدث الكاثوليكية حدوده فيه<sup>١٤١</sup> عندما كتب سيباستيان فريدلر ان الإصلاح المبني على عسار كل مسيحي اهل بيته حياته اُصّاب في الحقيقة، عند المنظر من التدين في التصحيح فقد اُقيم عائلو في مواجهة هروب السكّية خارج الحياة الاقتصادية اليومية إن السدادج السديده التعفف والمفرصة في وحياتها التي مكثت على لا احصل مسيحي كنهه كانت مرغبه على أن يناع ويسكنو مثلها الملب السكّية داخل حياتهم اليومية

يحقّ تكاليفيه ان يصيب هـ بيت ريجان فكره عيار الإيمان في بحياة بمهيه المديسه هي أمر ضروري<sup>١٤٢</sup>، وهي منح نديت بعدد من الأسماح المدعوين نحو الدين بوجهه بتجانب نحو سكه سيدن تكاليفيه وهي سبي خلافها على مداه خبره ستم طيه الرهبان الروحيه، الذين يضعون أنفسهم فوق هـ عالم دراسه رحيه - هي هـ انعام هـ تديسين جميع الله من لا<sup>١٤٣</sup>، مع رايه حديده كانت مقصوده بحكم طبيعتها الشافه هـ فيه البشره المنعوه من لا ب عمر هوه أكثر عمقا ورعا كثير بمثل حثاليها بالدار<sup>١٤٤</sup>، من بهوه التي كانت نقص في نقص الويه الرهبان عما يعني هـ السهم بعد أوديس اليه كن المساع لا حثاها بعدوه فقه يسبحم وعي السهم لإلهيه بالله إلى المحققين الصديسين عشتار<sup>١٤٥</sup>، من غير ان يصيب هـ حصصه لأخرين موفقه بخدود ومسماحه فانه على معرفه صمعه هـ مع موقف حقد و حصار خدي يعمره عدو نه، محكوما بانفعه الأديه<sup>١٤٦</sup> يمكن بعد السمو. أن يكون من القوة بحيث يودي حيان إلى سوء الظن والهدى بنت هي، على سبيل انمال حال الحركات والمسميه التي ظهرت في القرن السابع عشر ادلا برجح كفه الاعتقاد الرابع، ان دنت هـ رايه نرب على الإفر. بشخص لا مبدد دجا والمطيع، وعلى تركه ب راء في الاسرار المقدسه بل على تركه، بصفته رعي يدي مدرو انطاعه<sup>١٤٧</sup> الأمر الذي يوافق مع مذهب الكاليفيه لأصلي الذي بموجهه يقرب محمد اليه من الكبريه ب بصح المنعويين لمعاين ب حصار، ظهر انشجار بدوي إلى الأمام دون بديسه كسجه بمذهب جبريه وحاله انكالفيس المعمدين هـ ب المطالب كيهه ديميه ب طائفه مكبره ندين هم في وضع السهم ب بكر دوما مدفوعه حتى ياتنها المطيع، أي حتى تكون المد هـ غير ان بديلاب صوعه في سكر الكنيسه بحمب هـ محاوله فصل المسيحيين المجددين على غير المجددين، و مسيحيين المعمدين في القرية. لمقدم هـ الدين ب بصفه مداحه البضج، كما بحمب أيه هـ محاوله الاحتفاظ بإداره الكنيسه لأونلك، أو على الأقل تحريضهم بوصح ميم، وعدم اعتماد صير المبشرين المتجددين<sup>١٤٨</sup>

وحدث هذه السكّية في ثورة المعيار الهلث الذي كانت بحاجة أكيدة به مر جهه ملاحظه ان المرجعيات الكاليفيه بصرفه صبح ابرصا لا خلافه الموجوده في العهد عديم على مستوى واحد من التقدير مع نفا سبي بصمها العهد الجديد يكونها ب اذا فيها أصالة مع تحفظ، في لغات عم كونها لا يجب بحسب على حروف نيم بيه الترخيه أو على أنها هـ

تلغ عمداً من جانب المسيح. كان القانون، بالنسبة للمؤمنين، معياراً مثالياً، يستحيل بلوغه كلياً، ولكنه صالح<sup>(95)</sup>، في حين أن لوثر، على النقيض من ذلك، كان قد مجّد حرية الانقياد للقانون باعتبار ذلك امتيازاً إلهياً<sup>(96)</sup>. يظهر تأثير الحكمة العبرية وحميميتها الخالية من العاطفة مع الله في كل موقف المؤمنين إزاء الوجود، وهو تأثير يتجلى في الكتب الأكثر تداولاً بين الطهريين: الأمثال والمزامير. فالصفة العقلانية، وإلغاء الجانب الصوفي، وبشكل أعم الجانب الانفعالي من الدين، هي كلها أمور يعزوها سانفورد Sanford إلى تأثير العهد القديم<sup>(97)</sup>، ومهما يكن من أمر، فقد كانت هذه العقلانية في العهد القديم تقليدية بشكل أساسي وذات طبيعة برجوازية صغيرة، ولم تكن متصلة فحسب بالعاطفة المؤثرة لدى الأنبياء وفي كثير من المزامير، بل متصلة أيضاً بعناصر<sup>(98)</sup> كانت قد استخدمت، في العصر الوسيط، كسند لتطور العواطف الدينية خصوصاً. إن الطبيعة الخاصة بالكالفينية، لا سيما الطبيعة النسكية، هي التي دفعت بها، في التحليل الأخير، إلى أن تختار وتستوعب عناصر التقوى الموجودة في العهد القديم، والتي تعتبر الأكثر تلاؤماً معها.

إن تنظيم السلوك الأخلاقي، وهو ما تشترك به النسكية البروتستانتية الكالفينية وحياة الرهبنة الكاثوليكية ذات الأشكال العقلانية، يتجلى، بطريقة سطحية جداً، في تمسك الطهري «الحي الضمير» بالرقابة الدائمة التي يمارسها على خلاصه<sup>(99)</sup>. كما أن التداول بالكتب الدينية، التي تتضمن قائمة منظمة بالخطايا والإغواءات وأشكال التقرب من الغفران، هو أمر مشترك بين الحلقات اللوثرية الأكثر حماساً<sup>(100)</sup> وبين الكاثوليكية الحديثة، وذلك تحت تأثير اليسوعية خصوصاً (لا سيما في فرنسا). ولكن، في حين أن هذا التداول يستهدف القيام باعتراف كامل وتأمين سلطة كاملة للكهنة على المسيحي أو (لا سيما) على المرأة المسيحية، فإن اللوثرية يستخدمه «لجس النبض». لقد جرى التنويه بذلك من قبل جميع اللاهوتيين والأخلاقين، وهنا أيضاً، يقدم بنجامين فرانكلين مثلاً كلاسيكياً على ذلك، مع حساب كل تقدم يحرزه في مختلف الفضائل التي يتمتع بها، وذلك بواسطة جداول إحصائية<sup>(101)</sup>. من ناحية أخرى، تنحدر الصورة القروسطية (بل القديمة) عن الحساب الرباني، عند بانيان Bunyan، بفعل حسّ مميز غير سليم، حين يقارن هذا علاقة مرتكب الخطيئة بالله مع علاقة الزبون بالحنوتي: فالذي يزرع تحت عبء الدين بإمكانه أن يسدّد قيمة الفوائد المتراكمة إلا أنه لا يتوصل أبداً إلى التحرر من الدين الأساسي<sup>(102)</sup>.

وكما يراقب الطهري من الأجيال اللاحقة سلوكه الخاص، فهو يراقب سلوك الله، الذي توجد بصماته واضحة في كل تفاصيل حياته. وخلافاً لمذهب كالفن الأصلي، فهو يعرف دوماً لماذا كان الرب يأخذ هذه الوضعية أو تلك. وهكذا فإن تقديس الحياة يصل في ذلك إلى أن يتخذ صفة استثمار تجاري<sup>(103)</sup>. والطريقة التي راح كالفن، على العكس من لوثر، يرغب المؤمنين على اتباعها، هي عبارة عن تنصير الوجود بأكمله. ومن أجل فهم تأثير الكالفينية جيداً، ينبغي ألا يغيب عن النظر كم كانت هذه الطريقة حاسمة في تأثيرها على الحياة العملية. من جهة، نستنتج تحديداً أن هذا العنصر وحده كان قادراً على ممارسة مثل هذا التأثير، ومن جهة أخرى، يمكن لمعتقدات متنوعة أن تؤثر في الاتجاه ذاته، شريطة أن تكون دوافعها الأخلاقية متشابهة حول هذه النقطة



## المحاضرة حول مذهب الإحبار

لم نأخذ حتى الآن نعيم الأعداء سوى الكاثوليك وقد حرص في ذلك مذهب الجرمه  
 بشكل الحنفية أنعميه في الأخلاق أنصهره على: تسود الأخلاقي المعنى منحي ذلك أن  
 كثير من المعتد قد يخطر في واقع، وبشكل واضح رائد هذه المجموعات الدينية التي  
 يمكن غير كل لأصمده، هناك ديفد بالماتيه الكاثوليك في ذروة الكاثوليك وبشكل هذه  
 الشئ موجود في إعلان ساغوي المستقل عام 658 وفي الإلهام المعقد في هاسرد كونيوم  
 عام 1689 فكل من كان موجود بهذا داهل اليهودية وبالرغم من أن هؤلاء ليسوا مسلمة هذه  
 اليهودية كنيه كان يومر شموليه المعرو، فذلك هذه مذهب في جعل لأر من اليهودية،  
 ويعبره الأيه هاسك مطفي وبتفيد Whitefield، قد أعيد هذا المذهب، وكذلك حقه  
 فومين ومحصيه خلاصه فمسمي حور الميدي هاليعود (Whitefield) التي يجب في  
 فيه معينه دور دار. به مذهب سجد الماسد دعم دي أنصا والحياة النفاضة المكافحين  
 في ذلك فقه من القرن السابع عشر، يذهب منهم هذه المذاهب الشيعي عند حلالة<sup>(1)</sup> إن  
 هذا المذهب هو نصف الذي حال دون ظهور ماثو. ذو به في بحث معي حالي عن أنصهر الأعمان  
 في هذه الحياة الدنيا وهو بحث لم يكن في وسعه أن يبرر نصحيات هائلة في سبيل أهداف مثاليه  
 لأعقلابه

هذا المذهب بين الإيمان بعباده ذات قيمة منطقية وبين المذهب لأكثر كنيه والنسبي برياني  
 لهم، كان يمكن على صرقة به مع خلاص وقد كان في الزحف منه في أسامة أكثر وحدته  
 كثير من المذهب لأقل مساو، الذي يوجه كثر إلى متشاعر الذي يحضر انه يتلون  
 الأخلاقي غير أن فكرة الإحبار هذه عادية في الطهور. هناك ذات وقد فرض معبد العيني  
 كعادته سيكولوجيه بالأخلاقية مذهبيه، أو يهر إليه «صاف» داهل مذهب الحرية يعني ذلك  
 الأخلاق من سكنه، لأكثر هاسك مطفي. ذلك مسجد بشكل دائم هذه العكس لدى كم المذاهب  
 والطوائف التي سندسها، داهل في لبحرة، مسميه تربط بين لإيمان والسياسة والتأثير  
 الذي راح يركه. حل البروسنتانية، على السنوات سكي تدو المومين لأوائل، قد سكل  
 حرقه المديرة الأكثر عمداً معهم لأخلاق (سكي عند النورية من الخلاص الذي يمكن  
 سعادته نوما ثانويه والده فلا يهوي، في ذلك على في حريقه على ما هو، في نظره، أهم  
 بعد بر بستانيه السكيه الشككي المسيحي والمعلاقي حياه الأخلاقية برمنها<sup>(2)</sup>

قد برز لإيمان النوري الداخلي حرية الفعل الحري في «عباده» والسمو «الروح» في مناي  
 عو أي تأثير في حيه ذات عيان بما فيه الرونة الدنيه إبانته، وصبغ الحياة الشخصية المسيحي  
 الذي يتطهه المذهب الكاثوليكي المعاصر. إذ في وضع مذهب دينيه، على غرار روم. نعيم من  
 غير الروحاني، في حو الحرية والأصاح جد على العالم. صانه تتيح لها فوه بداهتها دنيا، من غير أن  
 يخطر في فوه مره جديده في الكيان الطبيعي. هذا السكل من النموذج «الحبسه» البسيطه  
 والانعزاليه، التي سكل هذه الكاهن، لدى العديد من كبار علماء. وكذلك أخلاقهم الحرة

والعقوبة - يجد ما يوازيه في الطهرية الأصلية، ويجده خصوصاً في الأنكليكانية المجاملة، لدى أناس من أمثال هوكر Hooker، شيللنغورث Chillingsworth... إلخ. لكن الأكيد، بالنسبة للوثرية في كل وقت، حتى للمتحمس، أن الارتفاع فوق الكيان الطبيعي ليس سوى أمر مؤقت، يستمر استمرار تأثير معتقد معين أو عظة ما.

أما المعاصرون، فهناك في نظرهم اختلاف شديد، في ظل السلوك الأخلاقي، بين الدروس الإصلاحية وتلك التي كان يلقيها الأمراء اللوثيريون المنغمسون غالباً في السكر والعادات الفظة<sup>(106)</sup>. ومن المعروف، من جهة أخرى، كم كان الكاهن اللوثيري مضطرباً، مع توكيده الإيمان وحده، إزاء الحركة النسكية المعمدانية، ذلك أن المزاياء النموذجية التي ينعت بها الألمان: بوهيمياً، طبيعياً، تتناقض بحدة - في أيامنا أيضاً وحتى في مظاهر الأشخاص الخارجية، مع هذا التدمير الجذري الذي يلحق بعقوبة الكيان الطبيعي الخاص بالمناخ الأنكلو - أميركي. الألمان مشوش لأنه يحكم على ذلك بضيق الأفق وغياب الحرية والضغط الداخلي. مصدر هذا التعارض في السلوكات يكمن أساساً في كون النسكية اللوثرية تؤثر في الحياة بدرجة أقل من تأثير النسكية الكالفينية فيها. ينقص اللوثرية تحديداً، بفعل مذهبها الخاص المتعلق بالخلاص، التحريك البسيكولوجي الذي لا يستغنى عنه في منهجة السلوك والذي يرغب على عقلنة منهجية للوجود.

هذا التحريك، وهو شرط الطبيعة النسكية في الدين، يمكن، من دون أي شك، أن ينجم عن دوافع دينية متعددة، كما سنرى فيما بعد. وليس المذهب الكالفيني سوى أحد هذه الاحتمالات. لقد تيقننا أن هذا المذهب قد أثبت، ليس فقط تماسكاً مميزاً، بل فاعلية بسيكولوجية مميزة أيضاً<sup>(107)</sup>. وبالمقارنة، ظهرت الحركات النسكية غير الكالفينية، من زاوية الحوافز الدينية الصرف، بمثابة إضعاف لتماسك الكالفينية الداخلي.

خلال مجرى التطور التاريخي الحقيقي بالذات، لم تعرض الأشياء بمجملها على هذه الصورة: كان الشكل الكالفيني من النسكية إما مقلداً من قبل الحركات الأخرى المشابهة، وإما مستخدماً من جانبها، كمصدر إلهام، أو نقطة مقارنة في تطور مبادئها الخاصة التي تتجاوز الكالفينية، أو تبتعد عنها. وهنا، حيث ظهرت، بفضل قواعد عقديّة مختلفة، نتائج نسكية متماثلة، إنما كان ذلك بفعل تنظيم الكنيسة. علينا أن نتحدث عن ذلك من زوايا أخرى<sup>(108)</sup>.

## [ب. التقوية]

إن مذهب الجبرية هو، تاريخياً، على أي حال، نقطة انطلاق الحركة النسكية المسماة عادة «تقوية». طالما أن هذه الأخيرة استمرت داخل الكنيسة اللوثرية، فإنه يكاد يكون مستحيلاً وضع حد دقيق بين الكالفينيين التقويين وغير التقويين<sup>(109)</sup>. ويكاد كل ممثلي الطهرية المهمين يُعتبرون. بالمناسبة، في عداد التقويين. ومن المشروع أيضاً اعتبار مجمل العلاقات بين فكرة الجبرية وفكرة الاختبار قائماً على البحث عن طريقة للحصول على الخلاص الذاتي الأكيد كما جرى وصفه آنفاً، كاستكمال تقوي لمذهب الكالفينية الحقيقي. وقد ترافق ظهور التجديدات النسكية داخل الطوائف

النوثرية (أي حريه - حديد) مع انحراف مذهب التجريبه الذي هو من سقوط النمو في السبيل  
او ضعفه وبعد سبب جـ تستخدم خبره التقويه علاه فيد بعض بانكم<sup>(1)</sup>

غير ان التقويه النوثرية هي (هوسه) وسطه الرئيس المعنى ثابت مثل فل كل شيء معوم سوز  
و صفره غسكيه النوثرية كما كتاب الحان على سبيل المثال، عند عيسى بايني Barley  
والجمله: التقويه النظميه هي عموم الإلتحاق الحاسه اندي ذهبه لا جودكيه لاعتقاده إلى  
المعوم الثاني وقد صادف أيضا ان عيوب هذه المعامه العمليه Praxis محابده وبنامسه  
يمكن ان نعد لأشياء المصدرة من الالام حوصه بالأخطاء لاعتقديه، وعرضه فيها لمحتوياتها  
الأخرى وبعد التجربه أنه لا شيء يعوم دود أن يوضح مسار الإله الأكثر حلاه عند المسيحيين  
الحاضيين جهلا مصداق لأهوب جندرس في غير « المنعوه اللاهوتيه بصافيه البسيطه لا تشكل  
أبدا صفاته لأخبار الإيمان من خلال السوط<sup>(2)</sup>

لا يمكن بالاضافه في ايه حان بانكم من المنعوه بالأهوب<sup>(3)</sup> وهذا السبب يزد  
التقويه في بشككه الكبيه بكليه اللاهوتيين<sup>(4)</sup> التي سترت بسبي إنيها رسميا وتبقى الأمر  
بوحدي خصائصها كتاب قد نداب سجميه المؤمنين بالتقويه النظميه في «جميعات سريه» بعيد  
عن عالم<sup>(5)</sup> كانه التقويه يزيد ان يحل الكنيسه غير المرتبه من قبل المعظمير عربيه في الحياه  
الدب زمن دون النوصوب أو شكيل طائفه أو فرقه مستقله ج حصه التقويه يحاوجون د حل  
هذه الطائفه ان يعيشو حياه بعيدة عن الإلغواء لندبويه بموجهة لكل تقاضيتها بزيادة  
و حو يفرحون المحصول بهذه الطريقه على بهير سجندهم انحام فصل المؤسرات  
الحاضيه التي سجنس هي سنوكهم اليومي وهكذا رعب كهاده سوسيين الحقيقير في أن سدوق  
في الحياه الدنيا أولا، ومع حريه بسكيه اعينه التوحد من الله بكل عيجه وهو شعو يمكن ان  
يوجد في كل تقويه حقيقيه

كما بعد التصم لاخير مر به صبحه مع التوحد القصوي سوزي وكان بوسيله عاده اني  
بكثيف حداثه المعظمير من الدين أكثر من كتاب العاده في سببجيه النوثرية المتوسطه يمكن  
القول في بواقع ومن وجهه نظريا ان هذه هم المعيار الأساسي للتقويه التي نظرت د حل  
الكنيسه النوثرية ذلك ان هذا العصر العاطفي العرب في الأصل عن السبويه عياد كيه، بسا  
المرب، في المفضل، من بعض أشكال النديم العروستقي - كان يعود عمليا إلى الرعبه في انصح  
بالعزم لا يذني بداء من الحياه سديه يد حوص كدح بسكي يهدف المحصول عيه في عبه  
لاخره وكان يمكن بمعاطفه ان يصير من انقوه معيشت جعل اندي د طيحه هسبويه راصحه -  
يعرف طب الأعصاب من تداء حالات عديده وذلك من خلال هذا السبب في هذه الحاله  
نصف الوعيه من الشوه الدينيه المبعوه بحالار من الخلق العنصري الذي يوي وكأنه تنحل عن  
ننه (أ) هذا هو نتيجة جديده متافضه حضم البسط والصداه الذي نعرضه على المؤمنين حياه  
القدسه المبهجه في الطهره بجم عم ذلك وصداه والكوايه بني حملي الألباقليه في  
الكالمينه صدها (أ)ها عاطفيه<sup>(6)</sup> وكذلك فإن سبي الكالميني حقيقه مطو انه في مصوره



العاطفي الانفعالي - الشعور مثلاً بكون الإنسان دودة أرضية - يمكن أن يؤدي إلى شلل الطاقة في الحياة المهنية<sup>(116)</sup>. بالتعارض مع الميول الحقيقية للكالفيينية العقلانية، يخشى أن يتحول مذهب الجبرية بالذات إلى حتمية حين يصبح موضوعاً لتملك عاطفي<sup>(117)</sup>. وأخيراً، فإن الرغبة في فصل المصطفين عن العالم يمكن أن تؤدي، من خلال تركيز عاطفي مدعوم، إلى نوع من الحياة الجماعية الرهبانية ذات الطبيعة نصف الشيوعية، بالطريقة التي لم تكف التقوية عن إيجادها في الكنيسة اللوثرية<sup>(118)</sup>.

غير أنه بمقدار ما بقي هذا التأثير الأقصى، المشروط تحديداً بهذا التكثيف العاطفي، غير معروف، بمقدار ما ظلت التقوية اللوثرية تجهد نفسها إذن لكي تحقق الخلاص في الحياة الزمنية، وانحصر التأثير العملي للمبادئ التقوية في رقابة نسكية أكثر دقة وصرامة على السلوك المهني، وفي تعزيز الأخلاق المهنية؛ بحيث إن «المحترمية» الزمنية التي ينشدها اللوثرى، الذي ينتمي إلى النمط الشائع، اعتبرت، من قبل التقويين «الرفيعين»، بمثابة مسيحية من الدرجة الثانية. كانت أرستقراطية المصطفين الدينية، المتجلية في التقويات الكالفيينية تنتظم طوعاً في جمعيات سرية داخل الكنيسة، بمقدار ما كان ينظر إليها بجدية. هذا ما حصل في هولندا. في المقابل أدى ذلك، في الطهرية الانكليزية، من جهة، إلى تمايز شكلي في التنظيم الكنسي بين مسيحيين فاعلين ومسيحيين سلبين، وأدى من جهة أخرى، وهذا ما بيناه آنفاً، إلى تكوين الطوائف والمذاهب.

إن تطور التقوية الألمانية التي نمت انطلاقاً من الأرضية اللوثرية والتي ارتبطت بها أسماء سبينر Spener، فرانك Francke وزينزندورف Zinzendorf، وإن أبعدنا عن مذهب الجبرية، فهو لا يضعنا خارج دائرة تأثير الأفكار، التي كان هذا المعتقد تتويجاً منطقياً لها. يشهد سبينر نفسه على أنه تأثر بتقوية انكلترا - البلاد المنخفضة، الأمر الذي يفسر، على سبيل المثال، أن بايلي Bailey، كان مقروءاً في جمعياته السرية الأولى<sup>(119)</sup>.

ليست هذه التقوية على كل حال، من وجهة نظرنا، سوى دليل تأثير مارسه أسلوب حياة مثقف ومراقب منهجياً أي أسلوب نسكي، في حقل التدين غير الكالفييني<sup>(120)</sup>. غير أنه كان على اللوثرية بالضرورة أن تحس بهذه النسكية العقلانية كجسم غريب، وكان النقص في تماسك المذهب التقوي الألماني وليد الصعوبات المتزايدة التي نجمت عن ذلك. ولكي يؤسس لسلوك ديني منهجي، راح سبينر يمزج الأفكار اللوثرية مع المذهب الكالفييني المتعلق بالأعمال الصالحة في ذاتها، المنفذة «لأجل مجد الرب»<sup>(121)</sup>. وقد اعتقد أيضاً، وهذا ما كان له تأثير كالفييني، بإمكانية توصل المصطفين إلى درجة نسبية من الكمال المسيحي<sup>(122)</sup>. إلا أنه كان لا يفتقر، تحديداً لغير التماسك النظري. ولقد حاول سبينر المتأثر بالصوفييين<sup>(123)</sup> محاولة مشوشة، إنما لوثرية، أن يصف، لا أن يبني، النمط المنهجي من السلوك المسيحي، السلوك الأساسي لشكل تقويته. إنه لم يستنتج الخلاص الأكيد من التطهر، بل اختار، بديلاً عن فكرة الاختبار، الارتباط الضعيف بالايمان الذي تحدثنا عنه آنفاً<sup>(124)</sup>.

من ناحية أخرى ، مقدار ما حافظ عنصر العقلاني النسكي في الشوية على تفرده على الجانب الداخلي حافظ على موقعها الأثيري التي تعتبر أساسية من وجهة نظرياً ، وهي أن حمل الظاهرة الشخصية إلى درجة من اليقين والكمال ، نداء ، هي ظل فاته العنصرية هو مؤشراً على الخلاص .

2- كما أنه القبة الأخيرة لبعثها من خلال ذلك الدين يستعمل جانباً مهماً من الكمال ذلك أن الله يشير عليهم عندئذ "دور نصير" ونفكرها بصهيبة<sup>11</sup> ، والتمتع بمهبة ما هو أيضاً في نظر هـ فريد النوسية النسكية صيار<sup>12</sup> ، ومن النسيب به في نظره وفي نظر انطونين . الله ذاته أراد عبده من خلال الصالح في عملهم

صاحب التوبة فكر صانته في الأساسي منها بالأفك الكالفينية ردت بهدف مبدئياً الأمر المزدوج ، مع أنها أفكار متعمقة كتلت التي تأسس منفرطيه المصطفين<sup>13</sup> ، بالعبه إليه الخاصة مع كل النتائج السيكولوجية العربية التي أشرك إليها علاء<sup>14</sup> ، والتي هذه النتائج سمى باللغة صاميه<sup>15</sup> "Mysticism" التي سبقت حضورها خطاً إلى التوبة إذ اقترنص التوبة الله قد تم بعبته على الجميع فإن ذلك يحصل بمرور زمانه ، في لحظة مبهمة من حياته وربما مرة خيرة في لحظة غير محددة<sup>16</sup> . ثم يمكن بعينه الخلاص ابتداءً من قبل المساعدة لمدى بقوه هذه الفرص فهو في وضع أثيري لم يكن له جانب حسب المذهب الكاثوليكي . وفريد من هذه المعية هناك العكبة النوسية لأشرك ، يمكن القول أيضاً المسيطره ، هي التوبة ، التي استشهد فريد على مبدأ أنه من تجربته شخصيه ، والتي بموجبها لا يمكن تبينه . ومحدث مفاجأة الأفي صراف خاصة حد التي بعد تجرته أوبه في الخطيئة والدماة<sup>17</sup> . بما أن كل فرد لا يمنع بالضرورة ، حسب آراء التوبيين ، بالوصاح المناسبة بخصوص مثل هذه الشكبه ، فإن حين لا يوصفون إلى ذلك يظهر في نظم المسحدين عم يتنوه إلى الصالح السجية المعنوية فيحيير حسيير<sup>18</sup> ، بحية حزن مع الأح بالعباء يتجاد معج<sup>19</sup> ، طريقه في الدماة ، غير انهم على العبة الإلهية يصبح يث<sup>20</sup> ، في بـ فـ ، عرصه نشاط إنساني عقلاني

بقه . ربح سكوتة حول الاعراف المتاحر . بـ مـ يكر من قبل جميع التوبيير افراند من جانب ، كان مشكلى من ذلك ، عمل لأف من قبل عدد منهم . هذا ما وكده المسائل التي يتنوهها معانوسه حضورها والتي يعود دوماً إلى حسيير . إنها سكوتة ، بـ فـ مـ رستراصة اشعة وهي سبهم في تبينه الاعراف الشخصيه في التوبية ذاتها . ما يظهر في السكوتة من اثر المعية صاحبه عن الدماة بشكل المتعار بهم ديني لإفرا بالعبور . ومن هـ استجانه لاكتفاء بمجرد التقدمة بالحقون عده

مع أن . مـ بدورف Zinze idorf في مبدئ<sup>21</sup> . هـ هجيات لارودكية . فمدي الحكم الذي انقلبه حول موقفه الديني يجعل دأنا نحو فكرة لا اصطفاة . اصطلاح ذلك ، مـ الصحيح أن وصي

النظر الايديولوجية ، التي يحملها هذا «المتدين الهاوي» المعروف ، حول النقاط المهمة في نظرنا ، تبدو لنا صعبة على الصياغة صياغة واضحة<sup>(133)</sup> . وقد قدم نفسه في أكثر من مرة كممثل «الاتجاه بولس - لوثر» ، متعارضاً في ذلك مع «الاتجاه التقوي اليعقوبي» مع تمسكه بالقانون . غير أن الجمعية السرية التي شكلها الأخوة [المورافيون] والتي وجهها وشجعها زنزدورف ، رغم تأكيد لوثريته المتكرر<sup>(134)</sup> ، تبنت عملياً ، مند بروتوكول 1729/ 8/ 12 ، وجهة نظر تتطابق ، على أكثر من صعيد ، مع وجهة نظر أرستقراطية المصطفين الكالفينية<sup>(135)</sup> . كان الموقف الشهير المتعلق باسناد العهد الجديد إلى المسيح ، وهو ما حصل في 1741/ 11/ 12 ، هو التعبير الشكلي عن موقف مماثل . بالإضافة إلى ذلك ، تبنت المورافية والكالفينية منذ البداية ، وبشكل أساسي ، أخلاقاً للوظائف . وقد عبر زنزدورف ، بطريقة طهرية خالصة ، أمام جون وسلي J. Wesley ، عن الفكرة التالية :

هل يمكن أن يكون المؤمن المستقيم عاجزاً دوماً عن أن يعرف ، من تلقاء نفسه ، خلاصه ؟ الآخرون لا ينقصهم أن يتبينوا ذلك من سلوكه<sup>(136)</sup> .

من ناحية أخرى ، يحتل العنصر العاطفي موقعاً أساسياً في تقوية هرنهوت Hernhut الخصوصية . كان زنزدورف ذاته ، بشكل خاص ، يعمل بشكل دائم على مواجهة الميل إلى التطهر النسكي على طريقة الطهرين<sup>(137)</sup> ، وعلى تعديل التطهر بالعمل ، وتحويله في الاتجاه اللوثري<sup>(138)</sup> . وهكذا تطورت ، كنتيجة لرفض الجمعيات السرية ورفض المحافظة على ممارسة الاعتراف ، نزعة استقلالية ذات طبيعة لوثرية بشكل أساسي ازاء تناول القربان . إضافة إلى ذلك ، يتعارض المبدأ الخاص بزنزدورف ، الذي يرى في سذاجة الشعور الديني مؤشراً على أصالته ( رمي القرعة ، على سبيل المثال ، كوسيلة لتبيان إرادة الله ) ، تعارضاً عميقاً مع عقلانية السلوك . داخل الحقل الذي يمارس فيه زنزدورف تأثيره<sup>(139)</sup> ، كانت تهيمن على العموم العناصر العاطفية والمضادة للعقلانية في ديانة الأخوة المورافيين ، أكثر من هيمنتها في سائر فروع التقوية<sup>(140)</sup> . فالعلاقة بين الخلقية ومغفرة الخطايا هي على نفس المستوى من الضعف في فكرة الأخوية عند سبانجنبرغ Spangenberg<sup>(141)</sup> وفي اللوثرية عموماً . والرفض ، الذي به يواجه زنزدورف البحث المنهجي عن الكمال ، يتطابق - هنا كما في أي موقع آخر - مع مثاله الأعلى السعادي الذي يريد أن يثبت للناس عاطفياً سعادة الحياة الدنيا<sup>(142)</sup> ( ويسميها الغبطة ) بدل أن يمضي بهم ، عن طريق عمل عقلائي ، إلى التأكد من ذلك في سبيل الحياة الآخرة<sup>(143)</sup> .

من ناحية أخرى ، بقيت حية عند المورافيين الفكرة القائلة بأن أهمية الأخوية تكمن ، على عكس كنائس أخرى ، في حياة مسيحية نشطة ، في مثال أعلى تبشيري ، وكذلك - وهذا ما له علاقة بذاك - في العمل الوظيفي المهني<sup>(144)</sup> . نضيف أن العقلنة العملية للحياة ، ارتباطاً بالمنفعة ، هي أيضاً عنصر أساسي في فلسفة زنزدورف<sup>(145)</sup> . وتنجم هذه العقلنة ، في نظره وفي نظر غيره من التقويين ، من جهة ، عن الكره الشديد للتأملات الفلسفية المعتبرة خطيرة على الإيمان ، وعما يقابل ذلك من تفضيل للمعرفة التجريبية<sup>(146)</sup> ، ومن جهة ثانية ، عن حس سليم



فقط من جانب مبسر محرف. هذا كتاب الأخيرة في الوجود، كذا في تفسير ومضوعا محرفا  
وكتاب حديث، بدون عشاءه على صريق، نسكية الرعية فتسليم نديه عن والجهاد، انو حب  
صديقه صديق، لانحاده بهوده ومهجة غير ان عقبه غرق جبر، وهي نصيحة نعمة الفقر  
الرسولية عبد الحوا، يسد بدين خنا، هم الله خينا، جبره<sup>١١</sup> وهو صديق يجمع عن سخط انجيه  
الشيرية بدى ترسل، حلال هذه العفة، في الواقع، عوده حديه إلى بمصالحه الانجيه<sup>١٢</sup>  
صياغة حلاله مهية عملايه، على الصريفة انكالفية، كانت ولا شئت، امر مآجر، غير ان  
لم يكن اند امر مسحولا، وهذا ما يبيّن تصور الحركة المجددية، فوق ذلك، كتاب من  
لأخلاق، على الصعيد الداعي، مهية نشاطه بوسطه فكمه العمل المسجل، وببساطة وس  
بالهبة.

إن نظره إلى انفسه ذاتية من وجهة النظر التي يعيها، يكون مفر من مسحين بغيره<sup>١٣</sup>  
وبعض الشكوك في سام، مسكونها عيني، معاربه مع حاسن الكالفية الحديدية، مع حب  
سبب انصاف الموقوف، الحزم، من جهة من انشأه ابن النورية، وهي جهة ثانية، على صيغة  
التدبير العاطفية، الحليفة ب انظره لأجله هي التي ترى في هذا الخدع الماضي الصحة  
المعيرة بتدبيره في مع جهة النورية<sup>١٤</sup>، عيم ان عقبه الوجود يعني ان يكون بالهبة، ان  
هو كثر ما هي عليه في الكالفية، لأن هذا الصعق الداخلي الحزم من الاشغال بمحاصر  
الذي يعني معبره يوما بوقت، والذي يعتبر صمدته المستحسن الابدي، هذا الصعق يحير  
محاصر إلى البصر الشخصي، الذي يسمى 'المومي' بالجبرية بتجسود عليه وتحديده، من غير  
بها، من خلال عمل مهية صرح بالحاج، يعني حقا بهضوع، التواضع، وكبر، ان<sup>١٥</sup>  
هذه الهم هي، في حرمها، نيفه لأدبه العطفية الموحية حصر، نحو النورية، وفي  
حرم، انم نيفه البناء النوري بلاحر، ف الذي عالم ما كان ينظر إليه من جانب النورية، وهذا  
صحيح، كثر من نورية والحذر، والذي ظل معولا في حرم المظف<sup>١٦</sup>، يعني في كل دنيا هذا  
البحث المؤثر في خصوص من انخلاص، المهية بالنسبة إلى هذا البحث هو 'عقرا ان انعطاف'  
ويسمى 'النظرة' عيني، عيلا عن انصاع العقلاني إلى يقير المحصور، 'المحافظة' عن السعادة  
لاحق في الحياة لآخره، بعد هذا حاجة إلى احساس الرهق في الحياة الدائم، بمصالحه  
وبالنزوح مع الله، ويكر ما يحصر معنى من في مجال الحياة الدنية، وعبر صديق الحياة  
الاقتصادية، من انزوع إلى التمتع بالخاص بدمار من مع تنظيم عملايه وبالاقتصاد، ارباح  
تقدير ان مسكليه مبنية.

من الجانب، ان نوحه الخادب الدنية نحو لاكتفاء الداخلي العاطفي، من هو  
سنة سنة كل جميل من نية، بوذي إلى عفته لفعلي في الحياة الدنيا، في حين  
انكالفية، في طبيعتهم شوكية، انخلاص، واهتمامهم انحصري بالحياة 'الآخرة'، يومسونه  
نعمه يحاط به هذه المودة الدنية هو كم علاقه يكسب مع كثر السوء، نادر مهجة يؤمن  
'النورين' لا بؤدكسين التقديري، وهم المنعقولون بعلما عربيا بالاسرار الإلهية، نظرون

التقوية ، على العموم ، عند فرانك وسبينر ، في اتجاه التشديد الدائم والمتزايد على طبيعتها العاطفية . غير أن ذلك لم يكن أبداً تعبيراً عن قانون ملازم لتطورها . كان ذلك ينجم عن الاختلاف بين وسط ديني ( واجتماعي ) وآخر حيث نشأ القادة الأساسيون . ليس في وسعنا هنا أن ندخل في هذه الاعتبارات ، ولا أن نناقش كيف أثرت خصوصيات التقوية الألمانية على وجودها الاجتماعي والجغرافي<sup>(151)</sup> . من المهم أن نتذكر ، مرة أخرى أيضاً ، أن هذه التقوية تتميز بتحويلات طفيفة جداً ، قياساً على السلوك الديني لدى الطهرين « القديسين » . إذا أردنا أن نستخلص ، بشكل مؤقت على الأقل ، نتيجة عملية من الاختلاف المثبت ، فإن بإمكاننا القول إن الفضائل التي طورتها التقوية هي بالأحرى فضائل الموظف والمستخدم والشغل والعامل المنزلي « الأوفياء » جميعاً لشغلهم<sup>(152)</sup> ، وهي أيضاً فضائل رب العمل ذي المشاعر الأبوية والتسامح الورع الرضي (على طريقة زنزendorف) . ومن خلال المقارنة ، تظهر لدى الكالفينية الحاجة إلى الشرعية القاسية لدى المقاول الرأسمالي البرجوازي<sup>(153)</sup> . وأخيراً فإن التقوية العاطفية الصرف ، كما أشار إلى ذلك ريتشل Ritschl<sup>(154)</sup> ، هي سلوك صبياني ورع « للطبقات العاطلة عن العمل » . مهما يكن هذا الوصف شاملاً ، فهو يذكر ، مع ذلك حتى في أيامنا أيضاً ، ببعض خصوصيات (بما في ذلك الوجه الاقتصادي) الشعوب التي خضعت لتأثير هذين التيارين من تيارات النسكية .

### [ج . الميتودية Le méthodisme]

إن الميتودية ، هذه الحركة الأنكلو- أميركية التي تقابل التقوية الأوروبية ، تتميز ، هي أيضاً ، بالترباط بين تدين عاطفي - ذي نمط نسكي أيضاً - وبين لا مبالاة متزايدة من قبلها حيال الأسس المعقدية للكالفينية ، بل رفضها هذه الأسس<sup>(155)</sup> . يشير إسمها إلى الميزة التي يتمتع بها معتقوها ، والتي تدهش المعاصرين ، ونعني بها الطبيعة المنهجية « الميتودية » للسلوك في سبيل الخلاص الأكيد . ذلك أن الخلاص موجود ، هنا أيضاً ، ومن البداية ، في صميم التطلعات الدينية ، وهو مستمر فيها . ورغم الاختلافات ، فإن قرابة أكيدة مع بعض اتجاهات التقوية الألمانية<sup>(156)</sup> ظهرت ، بشكل خاص ، في كون المنهج كان قد استخدم بالدرجة الأولى من أجل إحداث التأثير العاطفي في عملية « الهداية » . هذه الأهمية التي تعزى إلى الشعور ، والتي أيقظتها ، لدى جون ويسلي ، التأثيرات اللوثرية والمورافية ، دفعت الميتودية ، التي وضعت مهمتها ورسالتها منذ البداية بين الجماهير ، إلى تبني صفة عاطفية جداً ، لا سيما في أميركا . فكانت التوبة تؤدي ، في بعض الظروف ، إلى أكثر أشكال النشوة ذهولاً ، وفي أميركا ، مع إثارة خاص لأن يتحقق ذلك علانية ، إلى « رصيف الألم » . وهذا ما يقود إلى الاعتقاد بأن الحصول على الخلاص هو أمر في غير محله ، وإلى الوعي وعياً مباشراً ، انطلاقاً من ذلك ، بالنعمة الإلهية وبالعفوان .

انطلاقاً من ذلك دخل هذا التدين العاطفي في ارتباط خاص - لا يخلو من كثير من الصعوبات الداخلية الكبيرة - مع الأخلاق النسكية التي وصمتها الطهرية بشكل حاسم بالعقلنة . على النقيض من الكالفينية ، وبميلها إلى أن تعتبر خادعاً كل ما ليس سوى أمر نابع من الاحساس ، فإن الأساس

بوحيد الذي لا يمكن ذكره غير سعيد الخلاص الأكيد كان معصداً له، من حيث النبدأ بالسوء. الخلاص يقيمه الغفران المظننه، القبيح في مصدره عن الشهادة المباشرة من الروح، والتي توحى اليه، إلى ساعه يمكن تحديد هذا كما هو مقرر في بعض مذهب يسوعي حول كنهه غراف وصحة عن التصور لا ثور كسي مع أنه بطيء ولكنه بطيء. صفتي به إلى منجدة من هذا النوع بإمكانه نفس المعنى لآلهية المور فيه، يتوصل بدء من حيث الدينية إلى التظاهر وهي سوء. التكمال - خمس جدير قوى سر وفنن بواسطة ميرورة شبيهة ثانية منقده عموم ومفاجئة. مهد يكن نوع هذا الهدى صعد، لأنه النوصر إليه عنده لا في بهانه انجده يسعي الخطي إليه من دون مخطط، لأنه يحقق سكن هائي الخلاص الأكيد، ويستند في الكاليفيه الخيب إحساس صاف. يجد المهددي المعلمي معه في كل انحلال - مير امره، وحتى امام العير دنت أن الخطيئة لا يعود به في تير عليه

رغم لأهليه الحاسمة التي سمع بها الشمو الشخصي، فلا يحو. لا أن يخط فيه منوك فاضل حتى كان ويسلي بجانته خصوصاً على البعده بالأعمال فكما كان يفهم في عصره، فله يكن يفهم سوى حواء النصو. صهريري القديم الذي يفسد الأعمال بموجب السب الرئيسي بالخلاص، من مجرد وسيله معروف عليه، وهي الحدود التي يكون فيها لأغلب: المرغوبه مجرة في سبيل مجد في السنوات خاصاً لا يلزمي سبها على ذلك بحرية الحانصه يسعي ب يصاد إليه اسغو بالحكمة كان ويسلي حيا. يعرف الأعمال فيعبره دسرس معمه، وقد مضى في علاج 89 77 111 أنى حد التأكيه أن من لا يقوم بأعمال صالحه ليس بنوعين حملي بعد بني الميوديون في الارتفاع. فكره عدم حرهم عن الكنيسه بمائمه من خلال العقيدة، من من خلال المعنى الدينية وحدها هذه الأهمية، التي يعنى وهي وثقاره لا يصار قائمه في جره أساسي بها على 1. 9. وقد اعتبر المنوك مؤشراً واضحاً على النجدة

عن كل ذلك سررت صعوبات عده. فيما يقيمه الخلاص بربط إذن بآر ده النوبه مستحقة منه وحده وحره فإن يقيمه الخلاص لا يكس أند في يسوع. بالخلاص السجده عن حيدر السنون السكي حب مسجده بوما من في السجو. مير التباشير بالخلاص<sup>111</sup> وبالكما والحقيقه - هذا النجوت في يقيمه خلاص لا يمكن في نظر الدين يعتمد، بالمند اجريه من بين خيودين - يعني لا وحده من إثيو. بها أن يكون ذلك في نظر القوس انصعيه. ناولا ناعاصيون دمنجوه المسيحيه. وبالتالي فويش دسبون الميودوي. وإنما إناها مسجده في الانسباح، بعد الإل - تفاصيل بده<sup>112</sup> بعد سنة حدود مدهقه [مجدده] تكيف عاطفي نموذج يظهر في وجوهه بخصيص، حرب محابه هذه الاستجابات. وقد سم دند. من جهة، بالتشديد على التأثير بواني ويعوده المعيارتي وعلى دور. لا عنى عه يلمه الاختيار<sup>113</sup> وفي جهة أخرى، بفقره التبار المصادع بالخلفيه الذي - حقه ويسلي صدها من داخل المعركة، والذي يكون بإمكانه هدم المعنى لآلهيه. ان تبار است النوربه الكبيره التي



تعرض لها ويسلي<sup>(163)</sup> بواسطة الأخوة المورافيين ؛ عززت هذا التطور وزادت التشكيك الذي تناول التوجه الديني في الأخلاق الميتودية<sup>(164)</sup> . وأخيراً فإن مفهوم «التجدد» أي يقينية الخلاص ، الذي ظهر كنتيجة مباشرة للايمان ، هو وحده الذي اعتمد بشكل نهائي بصفته أساساً في الخلاص لا يستغنى عنه ، واعتمد معه الدليل المنطقي على الخلاص : التطهر الناجم (توهماً على الأقل) عن التحرر من قوى الشر . إن أهمية وسائل الخلاص الشكلية قد تقلصت فيه كثيراً ، ولا سيما منها أهمية القرايين المقدسة . وغدت الصفحة العامة التي رافقت الميتودية ، حتى في انكلترا الجديدة ، تشكل المؤشر على نفوذ متنام لمذهب الخلاص والاصطفاء<sup>(165)</sup> .

وهكذا يبدو ، بالنسبة لنا ، أن الأخلاق الميتودية تقوم على قاعدة تشبه قاعدة التقوية ، من حيث ضعفها وعدم يقينيتها . غير أن نشدان حياة أسمى في «الجنة الثانية» كان بمثابة معادل لمذهب الجبرية . يضاف إلى ذلك أن الأخلاق العملية لدى الميتودية ، مع أخذ أصولها بالاعتبار تتناسق بقوة مع أخلاق الطهرية الانكليزية التي تطمح الميتودية أن تكون تجديداً لها .

لقد جرى إحداث فعل التحول العاطفي بطريقة منهجية . إذ لا تنجم متعة ورعة عن توحيد التقوية العاطفية لدى ززندورف مع الله ، ولكن ما إن يتنشط هذا الفعل حتى يتوجه الشعور نحو تعقب الكمال تعقياً عقلانياً . فالطبيعة العقلانية لتدينه لا تؤدي إذن إلى دين مستبطن ، عاطفي ، على غرار التقوية الألمانية . وقد سبق لشنيكنبرغر Schneckenburger أن بين أن الواقع على صلة بأدنى تطور في الشعور بالخطيئة (جزئياً ، بالتحديد ، في أعقاب التأثير العاطفي للاهتداء) ، وهذا ما يبقى نقطة مكتسبة من نقد الميتودية . بقي الشعور الديني يتميز بشكل أساسي بكونه كالفينياً وهذا أمر حاسم ، حيث تأخذ الاثارة العاطفية شكل حماس كهنوتي ، ولكنه ظرفي ، ولا يلحق ، فضلاً عن ذلك ، أي ضرر بطبيعة السلوك العقلانية<sup>(166)</sup> . وهكذا فقد أضاف «تجديد» الميتودية فحسب عنصراً على مذهب التبرير بالأعمال - أساساً دينياً للسلوك النسلي ، بعد أن تم التخلي عن مذهب الجبرية . المؤشرات التي وفرها السلوك ، وهي الوسيلة الضرورية للرقابة على الهداية الحقيقية ، إن لم تكن شرطها بالذات ، وهذا ما كان ويسلي يلاحظه أحياناً ، فهي المؤشرات ذاتها المعروفة في الكالفينية . بإمكاننا ، في النقاش التالي ، إهمال الميتودية ، لأنها كنتاج متأخر<sup>(167)</sup> ، لم تضيف شيئاً جديداً على تطور فكرة الشغل<sup>(168)</sup> .

### [د. الطوائف المعمدانية]

إن تقوية أوروبا القارية وميتودية الشعوب الانكلوساكسونية هما ، في محتوى مذهبهما كما في تطورهما التاريخي ، ظاهرتان ثانويتان<sup>(169)</sup> . وفي المقابل ، تكون العامل الثاني المستقل من عوامل النسكية البروتستانتية ، باستثناء الكالفينية ، على يد الحركة المعمدانية والطوائف<sup>(170)</sup> التي تحدت منها ، أو التي تبنت أشكال فكرها الديني ، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ونعني بذلك المعمدانين والمعمدانيين الجدد المنونيت (نسبة إلى Menno Simonis) ولا سيما الصاحبين<sup>(171)</sup> . مع هؤلاء ندخل في علاقة مباشرة مع جماعات دينية تقوم

الأخلاقي عنها على من منصفه من حيث مبدأ عم لا ميس التي تقوم عليها الأخلاق  
الكاثوليكية ، العرض المظهر الثاني الذي يركز فحسب على ما سبق ، جس في وسعه حفظه  
مكره بعضه عن نوع أشكال الحركة مرة أخرى ترك على نحو هذه الحركة في انفسه التي يعود  
لأرجح صوم الراسمالية إليها إلى فترة ماضيه

سواء ؛ بمرحبا بعض مقدمات سواء المعتقد الكسبي وهو انفكره المسيطره دحر  
هذه المطاوعة ، و سي لا يمكن ان تكون مستهدفة في نظري المقصوده ، صحة ولا ضمن سياق  
حر ، ولم تكن جماعة الديبته او الكنيسة المربيه حسب تغير نكتات النورية ، معبره  
أمدأ موصفة وفهيه في سبيل أهداف دينيه ، موصفه تنقسم بالهمزة الثقلون والبلاغات ، ب في  
سبيل ياديه محمد الله (الكاثوليكية) م في سبيل بويري الوصيه التي يستلزمها الأمر بالحقوب على  
حزبهم (الكاثوليكية والنورية) بل عترب بمتانه عديده من المؤمنين لأصبيس ومن  
المجتهدين ، ولا سيء عن ذلك بعبارة أخرى ، و بظن إليه كنيسة ، بل كـ «مئة»<sup>61</sup> قد هو  
عد سبكي في ذبه الذي يرميه واقع كـ العقوبين في محموديه هم صمعو  
فحسب يدس بكمو بشكلا محض من ان سـ عبو ليمانهم ينصرف على معتقده بالمتبه  
بـ لعند بـ وهذا هو الأمر الذي كرره بعد جلال كل الاستحالات النيبه التي حاصره ، يعتبر  
المقصود على صحة الإلهيه عن طريق مثل هذا الانهاس من مختلفه حذر عن فكرة الاحساس على  
فصل المسيح وهي الفكره التي هيئت على المعتمد لأ بـ كسي في البر وستانيه القديمه<sup>62</sup>  
يقضي خوف الممعدسي الأخرى بالمقصود على انخلاص وملكه بملك روحيا ، وقد ما بـ  
عن طريق الانهاس المرددي عمل روح لالهيه في نهر ، وعم هذا امرين عجيب وقد ذهب  
اللاهوت جميع ، حب يكفي الفرد ان يتقصر و بـ ينامل حيز من الروح الانهيه ، وألا يداوم صوبه  
، ركبت المعاصي في هذا العالم وبالتالي فإن مصبون الإيمان ، بمنى معرفه مذهب الكنيسة

إلى أيها بمعنى حصول حل العمد لإلهيه عم طريق النوبه ، يرون بيجز محده ، وكى مع  
مستلزمات ماضيه ، التعاطف المذهب الروحانيه من مذهب المسيحيه الاصيه فعنى سبيل  
الجمال الطائفة التي كـ Menao Simonis و بـ من بـ فيها عقيده مباسكه ، بـ هذا الحد ،  
داره في كـه 534 Fondamentbook ، عرب ، عم عوار بغيه نظريه الممعدسيه ، بـ  
كنيسة المسيح الحقيقيه التي لا عيب فيها ، والتي سبها أونتك يدع بعثه انه وسماهه ووعاهم  
شعبي عن مثال الرسو والمدين وندو مره بابه هم وجدهم حو المسيح فهم فيه ختمهم  
الده ، و بـ بطريقه مـ سـه ، وهذا يعني في نظر نظمائف محمد بـ لأوس ، حياة خارج  
العالم أي حياة سعيد بـ علاقه غير هم و بـ معه مـ سـه حـ سـه الكتاب الديني مـ بـ ودي  
بـ بـ سـه الجوه الذي تبعته لأجيد مسيحيه لأوس ، دعتة بـ و بـ من حياة الدنيا  
بحسب اعتماد كـ طينه الفرد التي استمرت فيها الروح القديمه حيه<sup>63</sup>

م بـ سائر الأفكار التي سادت في بدايه سائنه ، حافظت الطوائف الممعدسيه دومه عن  
هذا المذهب الذي مبسب ذكره ، والموسم بطريقه ماضيه قبلا في الكاثوليكية الذي لا كـ

أهميته الحاسمة عن الظهور ؛ وهو مبدأ رفض أية «عبادة للمخلوق» واعتبارها أساساً بالاجلال الواجب تقديمه لله وحده<sup>(179)</sup>. لم يفهم الجيل الأول من معمدانيي سويسرا وجنوب ألمانيا النظام التوراتي فهماً أقل جذرية من فهم القديس فرنسيس له وهو شاب. فالمسألة بالنسبة لهم هي مسألة قطيعة حادة مع كل ملذات الحياة، واختيار حياة تشبه تماماً نمط حياة الرسل. في الحقيقة ليس وجود عدد من أوائل المعمدانيين بعيداً عن وجود القديس جيل S. Gilles. غير أن هذا التقيد الدقيق بالمفاهيم التوراتية<sup>(180)</sup> لم يكن قائماً على أساس صلب ، وذلك بفعل طبيعة الايمان الروحانية ؛ وما كان الله قد أوحى به إلى الرسل لا يمثل كل مادة الوحي ؛ بل على العكس من ذلك ، فقد كان كلام الرب ، لا كوثيقة مكتوبة ، بل كقوة للروح القدس تؤثر على حياة المؤمن اليومية ، موجهاً إلى كل فرد رضي بالأصغاء إليه، وشكل هذا الكلام الإلهي ، حسب شهادة الطوائف المسيحية الأولى، العلامة الفارقة الوحيدة في الكنيسة الأصلية . هذه هي المقولة التي دافع عنها شوينكفيلد Schwenckfeld في مواجهة لوثر ، والتي تبناها فوكس Fox ، فيما بعد في مواجهة الكالفينيين . انطلاقاً من فكرة الوحي الدائم هذا، تطورت العقيدة المعروفة، التي منحها الصاحبون البروتستانتيون فيما بعد تماسكها، والتي تولي (في التحليل الأخير الحاسم) أهمية لحكم الروح الداخلي على العقل والضمير. وهكذا جرى التسليم بتأثير التوراة، واستبعدت سيادته المطلقة، وبدأت عملية تطوّر انتهت بإزالة كل ما كان قد بقي من عقيدة الخلاص في الكنيسة وعند الصاحبين، بما في ذلك المعمدان والقربان<sup>(181)</sup>.

أجرت الطوائف المعمدانية إضافة إلى الجبريين ولا سيما الكالفينيين المتشددين ، أكثر العمليات جذرية في إطار التقليل من قيمة الأسرار والشعائر الدينية كوسائل للخلاص ؛ وانطلاقاً من ذلك راحوا يتعقبون ، حتى النهاية ، فك سحر العالم دينياً . إن «النور الداخلي» للوحي الدائم هو وحده الذي يتيح للفرد فهماً حقيقياً لأشكال الوحي الرباني من خلال التوراة<sup>(182)</sup> . من جهة أخرى ، وعلى الأقل حسب مذهب الصاحبين الذين يستخرجون هنا النتائج المنطقية من المبادئ ، يمكن لتأثيرات هذا الوحي الدائم أن تشمل أفراداً لم يسبق لهم أبداً أن عرفوا الوحي في صورته التوراتية . لم يكن للحكم الكهنوتي بانعدام الخلاص قيمة إلا مطبقاً على الكنيسة اللامرئية لدى أولئك الذين انارت قلوبهم الروح الالهية . ومن دون هذا النور الداخلي يبقى الإنسان الطبيعي ، الذي يوجهه العقل الطبيعي<sup>(183)</sup> ، مجرد مخلوق يحكم المعمدانيون ، والصاحبون من ضمنهم ، على إلحاده ، حكماً يكون أكثر شدة ، إذا صح القول ، من حكم الكالفينيين . من ناحية أخرى ، يمكن لهذه الولادة الثانية ، المنتظرة بقلب مفتوح والتي تتم بأمر من الروح الالهية ، لأن الله هو الذي يريد ذلك ، أن تؤدي إلى انتصار تام على قوى الشر<sup>(184)</sup> ، ومعها يصبح السقوط مجدداً في الخطيئة ، أو حتى خسارة النعمة الالهية والغفران أمراً مستحيلاً عملياً . غير أن بلوغ هذه الحالة ، كما هو الأمر عند الميتودية لاحقاً ، ليس هو القاعدة ؛ إنه بالأحرى درجة كمال الفرد الذي يكون كأنه خضع لعملية تطور .

كل طائفة معمدانية كانت تريد لنفسها كنيسة «نقية» ، أي أنها كانت تتطلب من أعضائها





غير أن طائفة أو فرقة معمدانية هي التانكر Tunker ، ما تزال حتى أيامنا (وهو تجريد توصلت إليه طوائف شبه شيوعية من المرحلة الأولى) تدين التربية ، وتدين كل تملك لا يكون ضرورياً ضرورة مطلقة للحياة . ويعتبر باركلي نفسه أن واجب الإخلاص للمهنة ، لا على الطريقة الكالفينية أو بالأحرى اللوثرية ، بل بروحية توما الاكويني ، بصفتها عقلاً طبيعياً ، هو نتيجة لا مفر منها لانخراط المؤمن في الحياة<sup>(187)</sup> .

يتضمن هذا التصور في الواقع ، كما يبدو في تصريحات سبنر Spener والتقويين الألمان ، إضعافاً للتصور الكالفيني بصدد المهنة . من ناحية أخرى كان الاهتمام بالمشاغل الاقتصادية يتزايد ، بشكل جدي ، في صفوف الطوائف المعمدانية ، تحت أشكال مختلفة : بالدرجة الأولى ، رفض متوالٍ للواجب الديني القاضي بالتخلي عن أشياء هذه الحياة . غير أن هذا المبدأ قد احتفظ ، حتى بعد التخلي عنه ، بتأثيرات عملية - على الأقل عند المينويين (اتباع Menno) والصاحبين - لأن رفض حمل السلاح وتأدية اليمين أمران يحرمان المرء من أهلية تولي الوظائف العامة . فوق ذلك ، كانت الطوائف المعمدانية تطلق وترعى عداء حاداً ازاء نمط الحياة الارستقراطي ؛ وكان ذلك ، في نظر بعضها كما في نظر الكالفينيين ، نتيجة تحريم عبادة المخلوق ، وفي نظر بعضها الآخر ، نتيجة المبادئ اللاسياسية أو المعادية للسياسة التي أشرنا إليها . إن المنهج الواعي والهادي في السلوك المعمداني يتلخص إذن بالتشديد قدر الممكن على اختيار المهن غير السياسية .

وفي الوقت ذاته ، كانت الأهمية الهائلة ، التي يوليها المذهب المعمداني في الخلاص ، إلى رقابة الضمير كإلهام رباني للفرد ، تطبع سلوكهم المهني بميل حاسم إلى تطوير بعض الوجوه التي تمس روح الرأسمالية . لنحتفظ بملاحظاتنا لما بعد ، حيث سندرس هذه المسألة عن قرب أكثر ، ولكن في حدود ما يكون ذلك ممكناً ، من غير مناقشة مجمل الأخلاق السياسية والاجتماعية عند النسكية البروتستانتية . استباقاً للأمور حول هذه النقطة ، سنرى أن الشكل الخصوصي الذي كانت تتخذه هذه النسكية الدنيوية لدى المعمدانيين ، ولا سيما الصاحبين<sup>(188)</sup> ، يتجلى - في البداية حسب حكم شائع في القرن السابع عشر - في التأكيد العملي على هذا المبدأ في «الأخلاق» الرأسمالية ، الذي يصاغ عادة كما يلي: الاستقامة هي أفضل طريقة في التعامل<sup>(189)</sup> . إنه المبدأ الذي وجد التعبير الكلاسيكي عنه في كتيب فرانكلين الأنف الذكر . بإمكاننا من الآن فصاعداً أن نفترض ، في المقابل ، أن تأثير الكالفينية كان يمارس كثيراً في اتجاه تحرير الطاقة ، بغرض الكسب الخاص . لأنه رغم الشرعية الشكلية في وضع المصطفى الشخصي ، فإنه يمكن على الأغلب تطبيق كلمة غوته ، في الواقع ، بكثير من الصحة على الكالفينيين : «من يتصرف فعلاً هو دوماً عديم الذمة ، أما الذي يتأمل وحيداً فهو ذو ضمير»<sup>(190)</sup> .

عنصر إضافي آخر ، غنصر مهم ساعد في تعزيز النسكية الدنيوية لدى الطوائف المعمدانية ، ولا يمكننا مناقشته بكل مدلولاته إلا في سياق آخر . نستبق مع ذلك ببعض الملاحظات ، بهدف ، تعليل نسق التقديم الذي اخترناه . ذلك أننا ، عمداً ، لم نتخذ نقطة انطلاق لنا المؤسسات

الاجتماعية لدى الكنائس البروتستانتية القديمة ولا مانع من الأخلاقي وبسبب خاص النظام ر  
الأهمية الكبيرة بعد فقد الاضلاع من تأثير المسيحية تدعى سكي على منسوب  
الأفراد لا لأن هذا الوجه من المسألة كان حتى ذلك الوقت الأخير خاصة بالخدمة ، وان من  
بعيد ، فحسب ، بل لأن نظام الكنيسة أيضا لا يؤثر دوما في نفس الانحاء ، فالقوة البوذية  
المنسجمة على حياة لا تتعارض مع هي العكس مماثلة "كمنعبد عبد الكنائس الكاثوليكية  
نمائه ويصل ذلك بحسب ان يتعارض بحرية فرد الفرد مع وحدة الجماعة من حيث سكي  
منهج وهذا ما حصل فعلا في بعض الحالات

يمكن بتظيم المكييني مدونه ان يرمز لظهور الصداقات وليس ظهور روح الامسالية  
ر على الأقل لا يستطيع وحيد القيام بدور وحيث كان يعمل بطريقة شخصية ، بل كان  
يحدث شيئا في عملية انتموه هذه : تأثير مماثل حجم في تنظيم كهنوتي يسكي ، حين يكون  
هذا التنظيم الى ذاته بوسيطه متسدة وهو بكل نوع من الاكراه في بعض اوجه السموات  
الخارجية ، لكن ذلك لا يتم دون أن يفسد ، "السياسة ، تدافع ذاتية في السبوك المنهج  
في نفس جوار هذه العقدة ، ينبغي ان يدعى في حياض الاختلاف ، تكبير ليس اديارات الرتبة  
الاخلاقية الشخصية في مدارس الكنائس "النامية" وتأثيرات الرتبة الاخلاقية لدى الطوائف ،  
فهذه الرتبة الثانية تقوم على الخصوع الصوري ان يكون الحركة المعمدية في انفس سكي  
منهجية وطوبى ، لكن هذا "فقد كائن" عهد ما يمكن اقل من ان في تحرير السكي مما كان  
عليه بدوريات مختلفه صعد الامر الهام الذي ادلى إلى شيء بجمعيات طوعية<sup>19</sup> عند  
الاجتماعات الكاثوليكية والبروتستانتية

لقد حذر العرصر المؤرخ السابق أن يبيى القوعد الدينية التي تقوم على انهكده نظريه عن  
نفسه ، وعلى بعد ان ان بحث عن تحيات ذلك في الحياه لاقتصاده ورغم كم  
الاجتماعات التمهيدية والنوع الذي يميز هذه الحركة السكيه اسكا! سى امامنا وان مختلف  
هذه الوحدة هي ذات حضور ذاتي فيها<sup>20</sup> ، تدعى بحلاصه فكون يعون بها مركز هي مفهوم  
"حلاصه" او العمة الابديه وهو مفهوم مشترك بين كل هذه الطوائف وهو ما يمكن اعتباره عاملا  
يعبر الإسهام عن الناحية الحقيقية وعن الحياة الدنيا مع<sup>21</sup> مع ان وسائل حوز هذا الهدف  
تختلف بين مذاهب ، حتى ان هذه سعيه لا يمكن صمدية وانفسها بأي فلسف محي ولا الإعراف  
انفسى الذي يوفره الاعتراف ولا بالأعمال الصالحة ، بل من خلال ساد حفظ خصوصية من  
السكون فحسب مختلف حلاصا وصفا عن طريقه حياه "الإسهام الطبيعي"

ان الفرد مدفوع إلى ان ياقب بشكل منهجي حلاصه الخاص في سبوكه العرصر الذي  
ينبغي اساعه بالنسكيه يعني مثل هذا "سبوكه السكيه" كما ياد عهده الوجود كنه سكا  
عقلايا يعبر إلى "انده انه وبسبب هذه السكيه بد من مسحا بكنه "لو حب المروء  
على من يريد انفس من خلاصه ان حياه القديس في حدود مبادئ عم الحياه "الطبيعيه" لا  
تتأثر أبدا ، وحتى التجمعات الرهبانية خارج العالم وهذا هو مفهوم بل دخل هذا العالم



ومؤسساته وأنظمتها. هذه العقلنة للسلوك في الحياة الدنيا، مع أخذ الحياة الآخرة بالاعتبار هي نتيجة التصور الذي وضعته البروتستانتية عن المهنة كاستجابة لنداء داخلي رباني.

سبق، بالتأكيد، أن رأينا النسكية المسيحية، بعد أن غادرت العالم نحو العزلة، وهي تحكم هذا العالم الذي تخلت عنه، إنطلاقاً من الأديرة، وبواسطة الكنيسة. غير أنها، على العموم، تركت الحياة اليومية الدنيوية طبيعية وعفوية. وبعد أن أوصدت وراءها باب الدير، ها هي الآن تنتشر على صعيد السوق وتعمل على إشباع روتين الوجود بطريقتها ومنهجها صانعة من ذلك حياة عقلانية، في هذا العالم الدنيوي وليس أبداً من أجل هذا العالم. ما هي النتيجة؟ هذا ما سنحاول تبيانه في العرض اللاحق.

## هوامش الفصل الثاني

### القسم الأول

(1) لن نتناول الزونغلية zwinglianisme تناولاً منفصلاً، لأن نجمها قد كبا بعد فترة قصيرة من النفوذ السياسي. أما الحركة الأرمينية، التي يتميز معتقدها برفض مذهب الجبرية في صيغته الصارمة، والذي يرفض «الزهد الزمني»، فلم تشكل في طائفة إلا في هولندا والولايات المتحدة. وهي لا تمثل بالنسبة لنا أية أهمية في هذا الفصل، هذا إذا لم نقل، بشكل سلبي، إنها كانت ديانة التجار النبلاء في هولندا (انظر لاحقاً). تذكر أصول عقيدتها بما يقابلها عند الكنيسة الانكليكانية وعند معظم الطوائف الميثودية. كان موقفها، الموالي لسيادة الدولة، حتى في الشؤون المتعلقة بالكنيسة، موقفاً مشتركاً بين كافة السلطات ذات المصلحة السياسية الصرف: برلمان انكلترا، اليزابيت، المجامع العامة الهولندية وسلطة Oldenbarnevelt.

(2) حول تطور فكرة الطهرية انظر خاصة: «دراسات وتأملات في الرفض الكبير» Sanford Studies and reflections of the great rebellion, pp. 65. نستخدم دائماً هذه العبارة بالمعنى المستخدم، في اللغة الشعبية، في القرن السابع عشر، حيث تعني الحركات الدينية في المانيا وانكلترا التي تحولت نحو النسكية - أيّاً كان تنظيم الكنيسة والمعتقد شاملاً - إذن «مستقلين»، معمدانيين وصاحبين ومينونيين وابرشانيين.

(3) لقد أنكر هذا الوجه بحق في نقاش هذه المسائل. وقد كان سومبارت تحديداً، وبرنتانو أيضاً، يذكران بشكل دائم كتابات منتحلي الأخلاقيات (التي عرفوها، في معظم الأحيان، عن طريقي) كما لو كان ذلك بمثابة قوانين سلوك، من دون التساؤل أبداً عن الأخلاق التي تتبناها، بطريقة بيسكولوجية فعالة، نعمة الخلاص.

(4) هل نحتاج إلى الإشارة إلى أن هذا العرض الموجز لا يطمح أبداً إلى «الأصالة» بفعل نشوئه على أرض المعتقد، ولأنه يستند بشكل ثابت إلى صياغات مؤرخي المعتقدات والكنائس؟ لقد سعيت بنفسي، ببساطة، لتعميق مصادر تاريخ الحركة الإصلاحية، ما أمكنني السعي إلى ذلك. غير أنه من قبيل الاعتداد تجاهل أعمال اللاهوتيين المتناسكة والمؤثرة والمتابعة على امتداد عقود عديدة، بديلاً عن

الإستعداد بها وهذا لا ينافي مع حر فهم المصادر. عني أن من إلا تذكر هذه المعجالة الصورية في هذا البحث قد السببي إلى وضع صيغيات غير دقيقة وأن يكون قد عرفت على الأقل كيف أنتمى خيطه خارجة فيما يخص الرتبة. قد الدين عند الفقيه اللاهوتية أم مأثورة لديهم فإن السبب والجدلية الوحيد بالنسبة إليهم يكس في هذه الإطلاق التي بسببها والتي يعنى عليها أهمية بعضها حرم في بعض كالتعليمة العقلية في السكينة والحدود الذي يتجلى في الحياة المعيشية غير هي بالقياس لا أنهم المرفقين اللاهوتيين بنفس المستوى

ميد أن طهات هذه الدراسة جرى دور. قد حوجه والوجه السوسيولوجي عموما بطريقه مهيبة في الكتب التي سبق ذكره جولة E. Troeltsch وهو الذي عصب بتأثير الموضوعه عده إضافة على ما تضمنه جده أنساعه Gerhard und Mehlachthon ، قد ساعد حيدية عديده بطريقه كبير ربابت عمو حيدية لم يذكر كافة الكتب التي يستعملها بل أنني صحتها جبره الصيغ التي ترمز ليه خلاصات أو التي شغلت فيها بطريقه غير مباشرة حيا به معنى الأم بوليفر فداني جبر بيرو وعده انظر المعروضه هنا فريه مهم أن الاعتمادات غير الكافية حيدية بتكثبات والعبية حيدية كسانو صحتها إلى ه بوتر في برين مر مر جميع أسسها وقد ساعد على ه الاستدرة لأجلا قصوره حيد ما يطبق على Baxter , Voel , Wernley , Tychemans كافة سويين حيويين ، المعقدات والتعقيدات ركنين غيرهم مر الدين ينتمى إلى المرحلة الأولى عمو المزدوج د يوجد تماز هم في لائحة المرجع إلى النظم إلى تكثبات أو كثرية و الأمية كيه بيده ه هي كثير من الجدلات أم لا يتسنى عه دراسة صحتها بتمكنا ه سعي حيد ه بعض مراجعتي في العرض حوج الثاني على ه هو متوافر في العاد وهو ديد حيد ديم كيه حيد بعض البند ميل إلى التمثل من مصطلهم الخاصة والمعصية حيد أن عبت من المكتبات في الولايات المتحدة د برود إلى التمثل من تأسيه حيدية في هه المصاحف و حيد لا برود بسبب من ذلك وهذه هي ميره حيدية التمثل العام إلى والمرير أي حيدية هي حيدية ديرة الحيد ديم كيه التمثل الذي ه شأن أن بعيد عفا حيد الطليعة حيدية حيد الأمية وأن غير بهات وكذا بعض كثير من العفا حساب الأساسية في هه البلد ودياً اقتصرت فهم على القيام بزيارات إلى بعض المدارس الأيوذكسية لدى الطوائف في الأرياف حو كالفان الكالفينية وصاحبه إلى المرفق رئيسي يدي وصفه Kampschulte يجب بعد Erick Marks في كيه Coligny حيد بعضه المعلومات وير Campbell في كياه دني حيد الطهرير في حوند محضر واميركاه به صديق دانسا ولا ك كيه حيداه الأحكام انصبيه هه ذات تيمس على دراسة P. Tassin ، هواسبات هي حوب كالفن روح عصب انصبات حيدالفية حيد حيد حيد حيدالفية في حوند صباه في Moutley انكليات الصلاه فر بلاد حيد حيد حيد Ch. Pringle في ريج هونده وهونده وتأثير كالفن 1846 حو حوليتا الحيدية والحرب العائلي المحاذي لثورة في كيه البلاد المحففة 466 بالإضافه وبالإختص Franz هشر متوات مع جاك اللاهوت البروتستانتي 857 حصوصا به Huber كالفية الحرمة 884 حط حيد حيد 911 912 تاريخ الاجتماعي وانيسبي في جمهور. في استردام 1886 كتب Kohler الكنيسة اليهودية 1856

وعن فرنسا، إضافة إلى Polenz، انظر الآن Baird: «نشأة الهوغنوت». وعن انكلترا، إضافة إلى Carlyle، انظر Macouly، Masson، و Rauke، last but not least، وبشكل خاص، مختلف المؤلفات الحديثة التي وضعها Firth و Gardiner. وانظر أيضاً كتاب تايلور: «نظرة ماضوية للحياة الدينية في انكلترا» 1954 «الكنيسة الانكليزية الثورية»: Weingarten مقالة حول الأخلاقيات الانكليزية نشرها Troeltsch، وبحثاً رائعاً وضعه Berustein، ونشرة في «تاريخ الاشتراكيات» شتوتغارت، 1895، ص 50 وما يليها. أما قائمة المراجع المهمة (أكثر من 7000 كتاب) فهي موجودة في Dexter، «الأبرشانيات في القرون الثلاثة الماضية» (وفيه بحث من بين بحوث عديدة، عن تنظيم الكنائس). هذا الكتاب أفضل مما كتبه Price «تاريخ الرافضين»، ومما كتبه Skeats وآخرون. وعن اسكتلندا انظر: «الكنيسة الاسكتلندية» (1844) Sack والكتابة الأدبية حول Knox. أما المستعمرات الأميركية فاقراً حولها: «الانكليز في أميركا» لمؤلفه Doyle إضافة إلى «جمهورية الطهريين» لمؤلفه: Daniel Wait Howe. «الحجاج الأوائل في انكلترا الجديدة وأسلانهم الطهريون» لمؤلفه: J. Brown. إضافة إلى مراجع أخرى سنذكرها لاحقاً.

إن العرض التالي مدين بشكل خاص، وفيما يتعلق بالفوارق العقيدية، إلى سلسلة المحاضرات التي سبقت الإشارة إليها والتي وضعها Schnecken burger. إن كتاب Ritschl الأساسي: «التعاليم المسيحية حول التبرير والمصالحة» مذكور استناداً إلى الطبعة الثالثة، إضافة إلى ما ينطوي عليه من خليط من المنهج التاريخي والأحكام التقويمية، هذا الكتاب يوضح السمات المميزة لمؤلف لا يوصل دوماً إلى القارئ اليقين التام بموضوعيته، وذلك بالرغم من نفاذ فكره. وهكذا فإنني غالباً ما أشك بصحة وجهة نظره حول النقاط التي يختلف فيها مع Schnecken burger، ومع ذلك فإنني لا أتوصل إلى موقف جازم. وفي المقابل، إن ما ينعته باللوثري من بين العديد من الأفكار والمشاعر الدينية، حتى عند لوثر نفسه، يبدو مطابقاً لأحكام تقويمية: وهذا ما له، في نظر Ritschl، قيمة دائمة في اللوثرية. هذه هي اللوثرية كما ينبغي أن تكون (حسب Ritschl) لا اللوثرية التي كانت. ولا نعتقد أنه كان علينا أن نشير إلى كافة الحالات التي استعملنا فيها مؤلفات Karl Müller و Seeberg وآخرين. وإذا أثقلت على القارئ، في الأقسام التالية، بسيل من الملاحظات، فذلك لأنه يبدو ضرورياً في نظري إعطاء القارئ غير المتمرس في اللاهوت امكانية القيام بأول اختبار للأفكار المعروضة في هذه الدراسة، بمساعدة اشارات توفرها وجهات نظر متعلقة بها.

(6) في البحث التالي، لن نهتم اهتماماً خاصاً بالمصدر، بأسلاف الحركات النسكية وتاريخها. وذلك أننا، على العكس، نعتبر أن معتقدهم قد وصل إليهم في ذروة تفتحهم.

(7) نقول، في البداية، عمداً إن آراء كالفن الشخصية ليست هي التي ندرسها في هذا العرض المختصر، بل الكالفينية في شكلها الذي ظهرت فيه حوالى نهاية القرن السادس عشر وخلال القرن السابع عشر على امتداد الأراضي التي كانت سائدة فيها، والتي كانت مسرحاً لأكثر أشكال الثقافة الرأسمالية تطوراً. إننا نتجاوز الآن ألمانيا بصمت لأن الكالفينية لم تظهر فيها بمجالات كبيرة. ومن نافل القول إن «اللوثري» ليس أبداً مرادفاً للكالفيني.

(8) إن البيان المشترك الصادر عن جامعة كامبريدج، وعن اسقف كانتربري حول المادة 17 من الديانة الانكليكانية لم يصدق من جانب الملكة. وعلى خلاف النسخة الأصلية كانت هذه المادة، المسماة



مانه Ambeth عام ١٩٩٥ مدمر عود جريه في المو الأسر كان المصورين بحتون كز  
عبد المآله جريه البرد الأسدي الموصحه ولا يكتفوا على عر المحدث والمحدث باليسيم  
بالهلاك الأيسري

- ٩١ و ١٠٠ صراف Wessminger يد ٢٧ هذه النصوص الكاثوليكية دكر سنند الى Karl  
Müller Die Bekenntnisschriften der reformierten kirche دار علا Savoy و١٠٠ صراف  
Hausen knolligs لأيسريه جوب المصانه عند الهعندم انظر Polenz ص ٩٤٥  
١٠١ جوب لاهور ميستور انظر بحث Eibach في ٨٧٩ Theologische Studien und Kritiken ان  
بحث Maubault الذي وصح بيساسه رجمه Sumner كتبه العقيدة مسيحية المنكف عدم  
١٨٢٣ وهو بحث سطحي وسريدي من تفصيل بالانكليزية انظر الأجره البس من كتاب Masson  
وهو مؤلف كثير التبسيط وبدا انكليزية بمره مياثون بدم Stern الذي بسند إلى ماسون  
Millon مويما عر مذهب جريه في مسيحية ذات الأمر الالهي المردوج يصل عد ذلك في رجمه  
المسيحية إلى مسيحية طره من المنكر صبح جوب جريه مدمر به Sebastian Frank فيما  
ينبغي استقلالينه الميوه العصر صر ان مياثون كان بسا انجذابا وعسبا في حقن قال مياثون  
بطبيعته دوح بدميه يسر ميستور «طهر» ويسمى قصاص من الإلهيا يتفق بالانظيم  
والعقلانية بحياة الديوية وذلك بسجاس مع الإلهيا هذ ما يسكن إرب الكنيستيه الحاليه  
في رجه مذهب ومن المنكر عود بصح على ما في ذلك كز مذهبيه وكلاهما بقي ح  
فراستا بصل ما يتغير اليه من مذهبه أطوار  
(١٢) حد هو بصل المنطق السهري من «De servo arbitrio»

lic es fidei summus gradus credere Deum esse elementem qui iam paucos salvat  
iustum qui sua Voluntate nos damnabiles facit

- ٣) في المسيحية كز كل من نور كاندل بعدد بده مردوج نظر ملا حظات Ratschl «تاريخ العقيدة»  
وقد ذلك كوستنر «تاريخ حركه البر والرحمة» م رجه الاب انظر باب المصالح الذي تكسب عيب  
بوسطه العهد الجديد والذي يهيم على الختب الأولى المنتميه بالموسسه المسيحية ومن رجه  
جرب وده مذهب لانه الذي يسهر قطاعيه بسمي والذي يظهر في نظر بوب هو إله العهد  
الجديد لأنه يعطي بدمه من التكميل جوب مسائل الما به المعبره كز عاكر غير مجديه وحظه  
في العقيد بملح كاندل بذكره البسطه الرمانيه التي تسمى عن الحيه وصر يقال لم يكن ممك  
لاحفاظ بده الفكره خلا مجرى نظر الكاثوليكي عود مسبق غير ان الأمر ان بامي كذا بصوره  
تعهد الجديد يسر هو الذي حل محله بولنه بهوه Jehovah من العهد القديم  
٤) البسب حاسيني فار مع Sche be وعقيدة الكنيسه لإصلاحيه البروتستانتية (١٨٩٧ Halle  
وجوب اللاهوت الكاثوليكي عدم البسب Heppه وعقيدة الكنيسه لانكليزية الإصلاحيه  
٥) موصوص عهد الإصلاح مجند ٧٦ ص ٨٦ وما بعدها  
٦) بدمر عود محدد على بحث علا عر المدمر الكاثوليكي بحث الجول بدمه مريدي في  
Hooimbeck «اللاهوت العملي» (Ltrecht 1663) livre II chap I De predestinatione  
ويحتل هذ جوب ممكنه بطريقه وصحه ح ح De Deo البسب جوب بدمه بدمه

الأسس المقدسة في الجبرية هي أول رسالة تقوية إلى الأفيزيين . لسنا أبداً بحاجة إلى أن نحلل هنا المحاولات المختلفة واللامنطقية الهادفة إلى دمج الجبرية والعناية الإلهية، من جهة، مع مسؤولية الفرد والحاده، ومن جهة أخرى، بهدف إنقاذ الفرد. إن بدايات هذه العقيدة موجودة أصلاً لدى القديس أوغسطينوس.

(17) «إن إيمان المجتمعات المحلية بالله لا يكون من خلال المؤسسات أو الكنائس أو التنظيمات، بل هو يوجد في القلب، في أسرار الخلوة»: هذا هو الشكل الذي يطرح فيه Dowden المسألة الأساسية في كتابه الجيد «الطهريون والانكليكانيون» (ص 234). هذه العزلة الروحية العميقة التي يغرق فيها الفرد تعاود الظهور عند الجانسينيين الذين يعتقدون أيضاً بالجبرية.

(18) أنظر : Olevian: De substantia foederis gratuiti inter deum et electos. (1585), p. 222.

(19) «يقال إن الله بعث ابنه ليخلص الجنس البشري، ولكن هدفه لم يكن كذلك: فهو لم يكن يريد أن ينقذ من السقوط غير عدد قليل من الناس [...] وأقول لكم إن الله لم يمت إلا في سبيل المصطفين» (عظة وجهها Broek). إن شرح تأمل المسيح هو أيضاً مشوش في اعترافات Hanserd Knollys. ومن المسلم به في كل مكان أن الله لم يكن بحاجة أبداً إلى استخدام هذه الوسيلة.

(20) [عبارة منسوبة إلى Schiller]. حول هذه العملية انظر دراساتي الأخرى: «الأخلاق الاقتصادية في أديان العالم». بالنسبة إلى أخلاقيات مصر وبابل التي نسبت إليه عن قرب، فإن الوضع الخاص بالأخلاق العبرية القديمة وتطوره منذ عصر الأنبياء، يستندان كلياً، وهذا ما أسعى إلى تفسيره في هذه الدراسات، إلى واقع أساسي يقوم على رفض السحر السري كوسيلة للخلاص.

(21) وكذلك، حسب المعتقد المنطقي، لم تكن العمادة الزامية إلا بمقتضى قوانين وضعية، غير أنها لم تكن ضرورية من أجل الخلاص. لهذا السبب يمكن للمستقلين الانكليز والاييرلنديين والطهريين المتشددين، أن يدافعوا عن المبدأ القائل بأن أطفال أولئك الذين لا شك بكونهم محكومين بالهلاك الأبدي (السكراري على سبيل المثال) لا يجوز أبداً أن يُعمّدوا. إن سينودس أيدم Edam المنعقد عام 1586 (مادة، 32، I) أمر بالآلاً تجري عمادة اليافع الراغب في العمادة، الذي لم ينضج بعد لهذه العملية إلا إذا كان سلوكه خالياً من أي عيب، وإذا ما حافظ على هذه الرغبة.

(22) هذا الموقف السلبي إزاء ثقافة الحواس هو بالضبط، وهو ما بيّنه دويدن (م. ن)، عنصر أساسي من الطهرية.

(23) إن عبارة «الفردانية» تشمل أكثر المعاني تباعداً مما يمكن تصوره. والاشارات التالية توضح، على ما نأمل، ما أعنيه بذلك. إذا أخذنا الكلمة بمعنى منقول إن اللوثرية كانت «فردانية» لأنها لم تكن تعرف تنظيمًا نسكيًا للحياة. الكلمة مستخدمة في معنى مختلف تماماً، مثلاً، عند Dietrich Schäfer، حين يسمي العصر الوسيط عصر «الفردانية المعلن»، لأن العوامل اللاعقلانية التي كانت تؤثر في الأحداث الهامة ترتدي، في نظر المؤرخ، مدلولاً لم تعد تمتلكه اليوم. لا شك أنه محق في ذلك، غير أن الذين يتعرض لهم ربما يقعون في نفس الحالة، لأنهم يعنون بكلمة «فردية» وبكلمة «فردانية» شيئاً مختلفاً تمام الاختلاف. إن صياغات Jacob Burckhardt العبقريّة هي صياغات تم تخطيطها جزئياً اليوم، كما أن تحليلاً جذرياً لهذه المفاهيم، من وجهة النظر التاريخية، يغدو اليوم، مرة أخرى، ثميناً جداً بالنسبة للعلم. وعلى النقيض من ذلك طبعاً، تقع «التعريفات» التي تستخدم





معمداً منضبطاً، فلم تكن تعنيه الفوارق القائمة بين الطوائف.

(31) فيما يتعلق بميزة الشراكة في المسيحية اللوثرية، يبدو من المؤكد الرجوع إلى الفكرة، التي لا شك بأهميتها، والقائلة بأن الشرط الضروري لخلاص النفس هو أن يكون المرء مقبولاً في طائفة، وذلك وفقاً للأوامر الإلهية، وهي الفكرة الناجمة عن الضرورة الكالفينية القائلة «بالاندماج في جسد المسيح» (Calvin. Institution christiana، III، II، 10). غير أن محور المسألة، من وجهة نظرنا الخاصة، قد أزيح من مكانه. إن من شأن هذا المبدأ الاعتقادي أن يتطور أيضاً في كنيسة ذات طبيعة مؤسسية تحديداً. وهذا ما حصل فعلاً كما هو معلوم. إلا أنه لم يجد، في ذاته، هذه القوة البسيكولوجية التي يمكن أن تدفع مثل هذه الطوائف إلى الظهور وأن تنفخ فيها هذا النشاط الذي تتمتع به الكالفينية. إن الميل إلى تشكيل طوائف يتجلى حتى خلال «الحياة الدنيا» خارج تنظيم الكنيسة الذي أمر به الله. وحقيقة كون المسيحي يعتقد باثبات نعمة خلاصه من خلال العمل هي أمر محدّد؛ إن الارتعاب بشدة من عبادة المخلوق، ومن الارتباط الشخصي بكائنات بشرية أخرى، ينبغي أن يوجه هذه الطاقة بشكل خفي نحو حقل النشاط الموضوعي (الاشخصي). فالمسيحي الذي يبقى يلاحقه امتحان نعمة الخلاص يتصرف تبعاً للأهداف الربانية التي لا يمكن أن تكون إلا غير شخصية. كل علاقة شخصية بين الإنسان والإنسان، على الصعيد العاطفي الصرف، أي خالية من العقلانية، يمكن بسهولة أن تحاط بشكوك عبادة الجسد، من جانب الأخلاق الطهرية، وكذلك من جانب كل أخلاق نسكية. فعلى سبيل المثال أليس الاحتراس التالي واضحاً بما فيه الكفاية؟ إنه أمر غريب وغير مناسب التصرف الذي يدفع بمخلوق عقلائي إلى أن يحب أحداً أكثر مما يسمح لنا العقل به. «تحقق عقول الرجال عادة من محبتهم لله» [Baxter، «الدليل المسيحي»، ص 253]. إننا نجد مثل هذه الحجج في أكثر من مكان. ثمة فكرة ما تحمّس الكالفيني. وهي الفكرة القائلة بأن الله، في خلقه العالم، بما في ذلك النظام الاجتماعي، كان عليه موضوعياً أن يتصور وسائل تمجيده، وإنه لم يكن يريد الخليفة لذاتها، بل أراد تناسق المخلوق خاضعاً لإرادته. لهذا السبب فإن طاقات المصطفى الحيوية، محررة بمذهب الجبرية، تتحول إلى جهود من أجل عقلنة العالم. إن الفكرة القائلة بأن الثروة العامة ينبغي أن تكون مفضّلة على كل ثروة شخصية أو خاصة، هي فكرة على قلة ما فيها من جدّة، متأتية، في نظر الطهري، من رفض عبادة المخلوق. وعزوف الأميركيين التقليدي عن المهن التي تؤدي خدمات خاصة ربما يرتبط بهذا التقليد، وإن بطريقة غير مباشرة، بعيداً عن أسباب أخرى مهمة قائمة على أساس المشاعر الديموقراطية. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المناعة النسبية، التي تتمتع بها شعوب ذات ماضٍ طهري، ضد الاستبداد، وبشكل عام موقف الانكليز الحر حيال كبار رجال الدولة عندهم، بالمقارنة مع ما كنا قد شهدناه، سلباً أم إيجاباً، في ألمانيا منذ عام 1878. إن عندهم، من جهة، إرادة طيبة رفيعة في أن يُعطى الإنسان العظيم ما يستحق؛ ومن جهة ثانية يرفضون أن يجعلوا منه مادة انفعال هستيري، ويرفضون الفكرة الساذجة القائلة بإمكانية الطاعة السياسية. «عرفاناً» لأي كان، انظر: Baxter, Christian, Directory، ط 2، 1678، I، ص 56. حول الطبيعة الجرمية للإيمان بالسلطة - المباحة في الكتاب بصفة غير شخصية فحسب - وحول التفاني المفرط في سبيل الناس الأكثر نبوغاً وقداًسة، وهو ما يخشى أن يشكل مجازفة بالطاعة الواجبة لله. إن النتائج السياسية التي تترتب على رفض عبادة المخلوق، والمبدأ القائل بأن الله وحده هو الذي يجب أن

محكم في كنيسته أولا ثم في الحياة بشكل عام إن هذه وسائل من اختصاص هذه العرصة  
32. حيث عالجنا ان يعود الى مسأله العلاقات بين نتائج المذهب والنتائج البيكونوميه العنفيه هذا من  
ضروري للقول إنه لا مسائل بين هذه وثلاثه

33. إن كلمه وضماعيه في هذه السياق لا تعني المعاصره عباره فهي طبقا لحسب على  
المسجل وحق الطوائف المعظمه الدينيه أو تسببه أو غيرها

34. إن لأعمال الصالحه التي يصفها فيه اخرى غير محدوده هي أعمال مذهبه داعية فان Kanseid  
Knollys الفصل XVI

35. إن سنود مثله شير الذي في الصير وبحثه الإتحاد العالمي بتميزه من سابه لا يستغنى عنه  
فهم المعنى الذي ياحته «علاصحيه» في حب العرب وهي مبحث بعلاقه الحب عصبيا مع انه  
رديت على الصمد الحاضر بحياه اعظمه الدينيه انظر بهذا الصدد Warneck «تاريخ البعثات  
التبشيرية اثير وستانيه» ص 99 «إن حيسا من تمسرين (حوالي الألف في الصين وحقها) هي  
جهر بكلمه مرفعه بعدو لمسأله وباعدها التيسرين جنابيس بالمعنى الغير نكحه الاحيل إلى  
«يسين» فكمسبح بعد اسمهم بذلك وبه يحل مسأله اسعائه أن يكون الوسيط إلى المسيحيه  
وتتوصلو بالنالي إلى الجلاهر إن يحكمو من فهم بعد التيسرين وإن على صعيد الموعود العقوبه  
فحسب بهذا من ثانوي بالمعظمه وانته نفسه بثلث ذلك سناد إلى Hudson Taylor «نظ  
Warneck» ب بعد الصين جميع ألف عائله عرب يتولى لهم بعض الاتصال كل واحد  
سهم بمسبح عائله يوفيه وهكذا يكون من الممكن «اقداء» لأجل في المديوه في حلالا «هل من  
ثلاثه صوم» إلى جميع القسيسين وعلى اسمهم هذه الترتيبه بالصدف قائم الكنيه نظام  
كيسه زعم يكن الهدد خلاص بعد المزمع بعد من عمل الله وحده (ومر عمر الموم  
بالدائ عيب وهو لا يمكن بأن آيه وسيله من ومالي القوه التي سحدها الكنيه  
الهادف معبد الله إن تلك القبيبه ككاثوليقيه ليست أحد مسؤوبه هي عائله البسبح  
حديثا فكل الطوائف مبادره فيها كذا في ذاته يعني أن يكون «تمسرين» إلى الوئيل ثم  
الزمو بعد كان الكنيه وبمعناه هو unus de opus بالبيع إن مصدر هذا المذائع ثم  
ببجي ابسبح عنه في الأذكار التي كانه سائده في محكم الاخلاق لظهوره والتي بموجبها يتبع الموم  
من حب القريب «إذ ما بعد» وام انه من أجل مسجوده وهكذا يلقى فريضا ما يعود إليه «تقدير الله  
دائه من بجي وهكذا فإن الإنسانيه فيها محض علاقات مع القريب هي «صالح القرب

بشايه محفوظه

وعليه يكن يعني اسمرام بسهم ومساوئهم لكونه عمودا بالآلوه والآخر أو الآخر والأخص  
نوع من رباب التماثيل الذين يأتون إلى الكنيه في موكب «يكنون» حسب فك المعاصي  
من غير مثله «مهد» من كرم لمتبعه غير وثقونه وهو يحل فيه ثم من اوصاف القوم  
العسرين على صعيد الاحسان البشري وهو يقه ثم بالمعنى انصحيح بتكلمه انه يخدم معبد الله  
في حدود ما يجر كالمسبحه الشخصيه والإنسانيه كذا الامر فيه يتبعو جميع عناصر الحياه  
الحاصه وجه ما سنده لاهيا ذلك لا طبقا «لا هي» من «وهذا» ان طبقه به حصص المحدود  
غير أنه من الصوري «تتبع» إلى على مثال «مثل» هذا الاهيه «نفس» هذه النهيه السكبه

(36) إن اخلاق الـ Port-Royal ، على هذا الصعيد ، هي أمر مختلف تمام الاختلاف ، مع أنها محددة بالجبرية ، وذلك بفعل ميلها الصوفي وانفصالها عن العالم ؛ بماذا يمكن أن يقال عنها كاثوليكية ، (أنظر Honigsheim ، م . ن .) .

(37) إن Hundeshagen في كتابه : «محاضرات في التاريخ الدستوري للكنيسة» (1864 ، ص 37) يمثل وجهة النظر التي استعادت مراراً منذ ذلك الحين ، والتي كانت الجبرية بموجبها معتقد اللاهوتيين لا مذهباً شعبياً . وهو ما ليس دقيقاً ، إلا إذا ماثلنا بين الشعب وبين جماهير الشرائع الدنيا الأمية ، ويبقى ، حتى مع ذلك ، ذا دلالة محدودة جداً . يقول لنا Köhler (م . ن) ، في الأربعينات من القرن التاسع عشر ، أن الجماهير (أي البرجوازية الصغيرة الهولندية) كانت متأثرة بعمق بهذا المذهب . مَنْ كان ينكر الجبرية المزدوجة كان يُعتبر هرطوقياً منبوذاً . حتى أن Köhler ذاته كان قد سئل عن تاريخ «انبعاثه» (بمعنى الجبرية) . وقد تأثر بذلك Da Costa وانفصال de kock تأثراً كبيراً . ليس كرومويل وحده الذي كان Zeller قد بين تأثير هذا المعتقد عليه بل جيشه أيضاً كان يعرف معه جيداً بماذا كانت المسألة تتعلق . وفي المقابل ، كانت القوانين الصادرة عن كل من سينودسي Dordrecht و West-minster المتعلقين بهذا الموضوع ظاهرة ذات أهمية قومية . إن أتباع كرومويل لم يعترفوا إلا بالذين يؤمنون بالجبرية ، أما باكستر ، الذي كان خصماً للوصي على العرش ، فقد قدر أن عمله كان ذا أهمية فيما يتعلق بطبيعة الأكليروس . ويغدو أمراً يستحيل تصوره ألا يكون التقويون اللوثريون وأعضاء الجمعيات السرية الانكليزية قادرين على فهم هذا المذهب . إنه هو بالتحديد الذي وحد فيما بينهم ، في عملية البحث عن تحقيق الخلاص .

ما تعنيه الجبرية ، أو ما لا تعنيه ، إذا ما ظلت مذهباً للاهوتيين ، هو ما تبينه لنا الكاثوليكية الأرثوذكسية ، التي لم تتنكر له كمذهب باطني ذي شكل غامض . المهم هو أن هذا الأخير قد رفض دوماً الفكرة القائلة أن الفرد مجبر على أن يتصرف كمصطفى وعلى أن يثبت ذلك . أنظر بالنسبة إلى المذهب الكاثوليكي A. Van Wyck : «تفسير الجبرية» (Köln 1708) . ليس لنا أن ندرس هنا ضمن أية حدود كانت تستند أفكار باسكال على الجبرية .

إن Hundeshagen الذي يكره هذا المذهب ، يبني انطباعاته استناداً إلى الظروف الألمانية ، ويستند نفوره على الرأي الاستنباطي الصرف القائل إن المذهب يؤدي بالضرورة إلى الحتمية وإلى التناقضات الداخلية . كان Zeller (م . ن) قد رفض هذا الرأي . من ناحية أخرى ليس من الممكن انكار حقيقة أن الأمور كان يمكن أن تمضي في هذا السبيل . كان كل من Wesley و Melanchthon قد تحدثا عن ذلك ، كل في زمنه . غير أن المسألة ، على كل حال ، تتعلق في المرتين بخليط من الايمان والتدين العاطفي الصرف . بالنسبة إلى المؤلفين الذين تغيب عنهم فكرة التوكيد العقلانية ، فإن نتيجة مماثلة تنجم عن جوهر المذهب .

لقد ظهرت النتائج الحتمية ذاتها في الإسلام ، ولكن لماذا؟ لأن هناك في الإسلام ما نسميه القضاء والقدر وليس الجبرية ، لأن المقصود هو المصير في الحياة الدنيا وليس الخلاص في الآخرة ، ولأن العنصر الأكثر أهمية من الناحية الأخلاقية «توكيد النفس» عند المؤمن في جبريته ، لا يلعب في النتيجة أي دور أبداً . يمكن أن ينجم عن ذلك غياب أي خوف لدى المحارب ، ولكن غياب أي استنتاج أيضاً عن عقلنة الحياة ، لأن ما ينقص هو «الثواب» الديني . أنظر : «الشرح اللاهوتي» لـ F. Ulrich ،





(43) على سبيل المثال Olevian : (1585), *Dé substantia fæderis gratuiti inter Deum et electos* , p. 257; Heidegger : *Corpus theologie* , XXIV , ص ص. 87 ، ومقاطع أخرى من Heppe . م . ن ، 425 .

(44) انظر ، حول هذا الموضوع : ملاحظات Schneckenburger ، م . ن . ص 48 .  
(45) مثلاً ، عند باكستر : يعاود الفارق بين الخطيئة المميتة والخطيئة غير المميتة الظهور ضمن معنى كاثوليكي بالمعنى الكامل . الأولى إشارة أو دليل على أن نعمة الخلاص غير موجودة أو على أنها غير حقيقية ؛ وحده اهتداء الإنسان من شأنه أن يقدم الدليل على وجود النعمة . أما الثانية فهي تتناقض مع الخلاص .

(46) وكذلك ، مع فروقات عديدة ، عند Baxter ، Bailey ، Sedgwick ، Hoornbeek . انظر في المقابل الأمثلة التي قدمها : Schneckenburger م . ن . ص 262 .

(47) إن تصور تحقيق الخلاص كصنف من الحالات الاجتماعية (التي يمكن مقارنتها مع وضع النسكيين في الكنيسة القديمة) كان تصوراً واسع الانتشار . انظر ، فيما تنظر ، في تاريخ سابق عن 1740 : Shortinghuis Het, innige christendom ، (ممنوع من جانب الجمعيات العامة) .

(48) هذا ما سنراه لاحقاً عبر مقاطع عديدة من كتاب باكستر : Christian Directory . هذا الأمر بالنشاط المهني كشيء يصرف عن القلق الناجم عن دونية المرء الأخلاقية يذكر بالتأويل البسيكولوجي الذي يعطيه باسكال لغريزة الكسب وللنشاط النسكي ، وهما وسيلتان تم ابتكارهما لخداع النفس بشأن الفراغ الأخلاقي . إن الإيمان بالجبرية عند باسكال والاعتقاد الراسخ بأن الخليقة تفقد قيمتها عقب الخطيئة الأصلية ، لا يؤديان إلا إلى رفض الحياة ، الدنيا وإلى طلب التأمل ، الوسيلة الوحيدة للتخلص من عبء الخطيئة ، ولبلوغ يقينية الخلاص . إننا ندين إلى الدكتور Paul Honigsheim في تفسيره المذكور (جزء من دراسة أكثر شمولاً نأمل أن تستكمل) بملاحظات ثاقبة حول التأويل الكاثوليكي الأرثوذكسي ، والتأويل الجانسيني ، المتعلقين بمفهوم الشغل . لا وجود عند الجانسينيين لأي أثر لعلاقة بين يقينية الخلاص والنشاط الديني . إن تصورهم عن الشغل يتطلب الموافقة المطلقة على الوضع الذي نكون فيه موجودين في الحياة ، والذي يعتبر مفروضاً ليس فقط من جانب النظام الاجتماعي ، كما هي الحال في الكاثوليكية ، ولكن أيضاً من قبل صوت ضميرنا . وهذا ما يعتبر أشد مما هو معروف عند اللوثريين والكاثوليك الأرثوذكس (Honigsheim م . ن . ، ص ص 139) .

(49) ينطلق Lobstein من وجهة النظر هذه في ملخصه الواضح عن Festgabe für H. Holtzmann ؛ للمقارنة مع ماسيلي . لقد أعيب عليه أنه أولى كثيراً من الأهمية ليقينية الخلاص . غير أنه ينبغي تمييز لاهوت كالفن من الكالفينية ، النظام اللاهوتي لحاجات الرعية . كل الحركات الدينية التي بلغت الجماهير متحدرة من السؤال : «كيف يمكن للمرء أن يتأكد من خلاصه؟» وقد لعب هذا السؤال كما قلنا دوراً كبيراً ليس فقط في الحالة الراهنة بل في تاريخ الديانات كله ، حتى في الهند . وفي المقابل ، هل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك؟

(50) لا يمكن من غير شك ، انكار واقع أن هذا التصور لم يبلغ كامل نموه إلا في اللوثرية المتأخرة : (Meisner ، Nicolai ، Praetorius) . حتى أنه كان موجوداً لدى Johannes Gerhard بالمعنى المحدد الذي ذكرناه . ولهذا السبب يدعي ريتشل Ritschl ، في الكتاب الخامس من «تاريخ التقوية»





الإعتراض القائل بأن الإرادة لم تكن حرة وأن الله وحده يحتفظ بسلطة منح الخلاص. (Works of the puritan Divines، IV، ص. 155) ينحصر بحث Fuller (مؤرخ الكنيسة) في السؤال الوحيد حول الدليل العملي والشاهد على الخلاص الذي يوفره السلوك. وكذلك بالنسبة إلى Howe في المقطع المذكور سابقاً. إن دراسة معمقة للكتاب المذكور من شأنها التذكير بعدد من المراجع.

ليس نادراً أن تكون كتابات ذات طابع كاثوليكي صرف قد اهتمت أو تحولت إلى الطهرية. لقد حصل ذلك، بالنسبة إلى Baxter، مع مخطوطة يسوعية. أما بالنسبة إلى مذهب كالفن، فإن هذه التصورات لم تكن جديدة كلياً. لكن يقينية الخلاص، في نظر كالفن، لا يمكن أن تتحقق بهذه الطريقة (ص 147)، وبشكل عام نرجع إلى Jean I، III، 5 وإلى مقاطع أخرى مشابهة. استباقاً نقول إن نشدان المؤمن الفعال لم يكن محصوراً بالكالفينيين. إن إعلان المبادئ الطهري، في المادة المتعلقة، بالجبرية، يتناول ثمار الإيمان بالطريقة ذاتها.

المادة 7 من الإعتراف المنشور في Baptist Church Manual : J.N. Brown، D.D. Bopt،

Philadelphie. Am. Bopt soc وكذلك، المخطوطة التقوية (ذات التأثير المعمداني) المعتمدة من قبل سينودس Haarlem عام 1649، فهي تبدأ (ص 1) بالسؤال الثاني: «بماذا يُعرف أبناء الله؟».

(54) قبل ذلك، كانت هذه الإشارات قد وضعت حول مدلول هذا التصور بالنسبة للمحتوى المادي المتعلق بالأخلاق الاجتماعية. هنا لن نهتم أبداً بالمحتوى، بل بتبرير أو تعليل الفعل الأخلاقي.

(55) إلى أي حد أمكن لهذه الفكرة أن تسهل اختراق الطهرية من قبل الروح اليهودية الموجودة في العهد القديم، المسألة بدهية.

(56) وهكذا فإن إعلان Savoy يقول عن أعضاء الأكليروس الطاهرين أنهم «قديسون بسبب رسالتهم وهم بارزون في مهنتهم وأعمالهم».

(57) انظر Charnock «مبدأ الطيبة» في كتابه: «أعمال الطهرين الربانية».

(58) إن التحول من دين لآخر، كما يقول Sedgwick، هو «النسخة المطابقة لقرار الجبرية». المصطفى مدعو أيضاً إلى الطاعة، وقد جعل قادراً على ذلك. هذا ما يعلمه Bailey. حسب الإيمان (المعمداني) لدى Hanserd knollys، فإن الذين يدعواهم الله إلى الإيمان (الإيمان الذي يتجلى في سلوكهم) هم مؤمنون أصليون وليسوا مجرد مؤمنين مؤقتين بحسب إعتراف المعمداني هنسرد كوبي.

(59) قارن، على سبيل المثال، مع إستنتاج Baxter في كتابه: «الدليل المسيحي».

(60) هكذا، مثلاً، يرفض Charnock «الفحص الذاتي» ص. 183، المذهب الكاثوليكي المتعلق بالـ Dubitatio.

(61) تتكرر هذه البرهنة باستمرار عند Hoornbeek، في «اللاهوت العملي»، مثلاً: I، ص 160: II ص 70، 72، 182.

(62) مثلاً يقول الـ Confessio Helvetica، رقم 16، بعدم صحة الخلاص الإعتباطي.

(63) قارن، بالنسبة إلى كل ما سبق مع: Schneckenburger ص 80.

(64) يفترض أن Augustin قد قال: Si non es prædestinatus fac ut prodestineris.

(65) لتذكر كلام غوته الذي يحمل المدلول ذاته من حيث الجوهر: «كيف يمكن للمرء أن يعرف نفسه؟»



الذي، إذا صح القول، يصادر التجربة الدينية المباشرة لحسابه، لكي يجرها وراءه. ذلك أنه إنطلاقاً من ذلك نمت داخل الكنيسة، يوم كان تأثير الكنيسة على الحياة كبيراً ويوم كانت المصالح الدوغمائية أكثر عمقاً، معظم الاختلافات التي كانت نتائجها الأخلاقية ذات أهمية عملية كبيرة جداً بين سائر الديانات على الأرض. فكم كانت مصلحة العلمانيين بالذات في الدوغمائية كبيرة، في زمن الصراعات الدينية الكبرى، وذلك إذا نظرنا إليها بمقاييس اليوم. والذين يعرفون المصادر التاريخية معرفة جيدة يعلمون ذلك. ليس ممكناً أن نجد اليوم لها مثيلاً سوى التمثيل، الخرافي هو أيضاً في الأساس، الذي تضعه البروليتاريا عن «العلم»، تمثل ما يمكن أن تفعله وتبرهنه.

(68) يجيب Baxter، في كتابه: «راحة القديسين الأبدية» (مجلد، 7. ص 6) على السؤال: هل سيكون الخلاص هدفنا وغايتنا بصورة شرعية وقانونية؟ بقوله: «يكون الخلاص غير قانوني إذا ما اعتبر ثواباً على عمل نقوم به، ويكون غير ذلك إذا ما اعتبر عملاً إرتزاقياً غير شرعي وتلبية لأوامر المسيح. عندئذ أرغب في أن أكون واحداً من المرتزقة».

إن عدداً من الكالفينيين المعتبرين أرثوذكسين يقعون في إفراط هائل من مذهب التطهر بالأعمال. حسب Bailey في كتابه «أعمال التقويين»، ص 262. تعتبر الحسنات وسيلة لتفادي العقوبة الزمنية. في حين أن لاهوتيين آخرين يطلبون من المنبذين القيام بأعمال صالحة، فربما أصبح هلاكهم الأبدى، بفضل ذلك، محمولاً أكثر؛ ومن المصطفين، لأن الله لا يعود يحبهم حينذاك من غير سبب، وهذا ما شكّل بمعنى ما ثواباً. وقد رضي الدفاع عن الدين، من جانبه [؟] ببعض التنازلات في موضوع تأثير الأعمال الصالحة بالنسبة لدرجة الخلاص. (Schneckenburger o p. cit. p. 101).

(69) من أجل إبراز الاختلافات المميزة، من الضروري الكلام هنا أيضاً بلغة مثالية، وهذا ما شكل تأويلاً تعسفياً إلى حد ما للحقيقة التاريخية. غير أنه من المستحيل بغير ذلك التوصل إلى صياغة واضحة، أخذاً بالاعتبار تعقد المواد المستخدمة. ينبغي أن يدرس على حدة إلى أي حد ليست الاختلافات التي نبرزها بوضوح قدر الممكن، سوى اختلافات نسبية. كان المذهب الرسمي الكاثوليكي يطرح، حتى في العصر الوسيط، المثال الأعلى للتطهر المنهجي للحياة التي ينظر إليها ككل. ومن البديهي أن الممارسة السائدة في الكنيسة تستهل، بوسيلتها الانتظامية الأكثر فعالية، أي الاعتراف، طريقة العيش «اللامنهجي» الذي نتحدث عنه في النص؛ وأن المناخ المتشدد الذي تعيش في ظله الكالفينية، وعزلتها المرتدة على ذاتها هما غريبان كلياً عن الكاثوليكية العلمانية في العصر الوسيط.

(70) لقد سبق أن أشرنا إلى أن الأهمية الأساسية جداً المتعلقة بهذا العامل تعاود الظهور تدريجياً في دراستنا - «الأخلاق الاقتصادية في أديان العالم».

(71) واللوثري إلى حد ما. لم يكن لوثر يريد استبعاد هذا الأثر الأخير المتبقي من السحر الطقوسي.

(72) قارن مثلاً مع Sedgwick (الترجمة الألمانية لـ Roscher). يتمتع النادم «بقاعدة حازمة» يستند إليها بالتحديد، وبناء عليها يسير حياته بمجملها وسلوكه ويغيرهما (ص 591)؛ ويعيش حسب القانون فطناً متنبهاً حذراً (ص 596). ذلك ما لا يمكن حصوله إلا بتغيير ثابت يطال الإنسان بمجمله، لأن ذلك من نتائج الجبرية (ص 852). يتجلى الندم الحقيقي دوماً في السلوك (ص 361). يكمن الاختلاف بين عمل صالح، صالح فقط أخلاقياً، وبين الأعمال الروحية، في أن هذه الأخيرة هي واقع الحياة





الفاعلة في الحياة، أرى نفسي مندهشاً من قدرة Brentano (م. ن، ص 143 وغيرها) على أن يواجهني بكد الرهبان النسكي وبحقيقة كونهم ينشدون ذلك. هذه هي النقطة الوهاجة في Exkurs الذي وضعه ضدي. إن التواصلية التي نتناولها بالنقاش هي، كما يرى الجميع، إحدى الفرضيات الأساسية في كل أطروحتي: لقد تمكنت حركة الإصلاح الديني أن تخرج الحياة المنهجية والنسكية العقلانية المسيحية من الرهينة لتضعهما في خدمة الحياة العملية في العالم الدنيوي. قارن مع البحث الذي يلي والذي بقي دون أي تغيير.

(81) وكذلك في تقارير كثيرة حول استجوابات هرطوقيين طهرين أوردها Neal في: «تاريخ الطهرين» و Crosby في: «المعمدانيون الإنكليز».

(82) اشتق Sanford، م. ن. (وكثيرون غيره قبله وبعده) من الطهرية هذا المثال الأعلى في «المحافظة». حول هذا المثال الأعلى، قارن أيضاً مع ملاحظات James Bryce حول المعهد الأميركي في المجلد الثاني من «الكومنولث الأميركي»، المثال النسكي في «الرقابة الذاتية» يجعل الطهرية تشارك أيضاً في ولادة الانضباط العسكري الحديث. (حول Maurice d'Orange كرائد في تنظيم الجيش تنظيمياً حديثاً، انظر: Roloff: (الكتاب البروتستانتي السنوي 1903) III, p. 255). إن «قوات» كرومويل المتقدمة بسرعة باتجاه العدو، مسلحة بالمسدسات في قبضاتها، لم تكن متفوقة على الفرسان بعاطفتها الجياشة، بل على العكس، ببرودة سيطرتها على ذاتها، وهذا ما جعل قادتها يحتفظون دوماً بالإمساك بزمام الأمور في أيديهم. من جهة أخرى، كان من نتائج الهجومات الحادة التي قام بها الخيالة تفتيت مجموعاتهم. انظر «جيش كرومويل».

(83) انظر بشكل خاص Windelband: «الإرادة الحرة»، ص 77 وما يليها.

(84) ولكن من غير خليط. إن التأمل، مقروناً أحياناً بالعاطفية، غالباً ما يندمج بهذه العناصر العقلانية. ولهذا السبب فإن التأمل أمر منضبط منهجياً.

(85) إستناداً إلى R. Baxter، يعتبر مذبناً كل ما يعاكس العقل الطبيعي الذي وهبه الله معياراً للفعل. ليست العواطف هي التي تنطوي على محتوى مذب فحسب، بل كل المشاعر غير العاقلة أو غير المعتدلة، لأنها بصفقتها هذه، تدمر المشهد وبصفقتها مظاهر من الجسد، تحول دون أن نعزو أفعالنا ومشاعرنا إلى الله، وبالتالي تهينه. أنظر على سبيل المثال ما قيل عن الطبيعة المذنبه المتعلقة بالغضب (الدليل المسيحي 1698، ص. 285. إن Tauler مذكور في الصفحة 287) وحول طبيعة القلق المذنبه (م. ن. I، ص. 278، العمود الثاني). إذا كانت شهيتنا قائمة على أساس التزامنا بقاعدة ومقياس الأكل، فهذا ما يوسم بالعبادة (م. ن، ص 316. عمود رقم 1). في النقاشات التي تنتمي إلى هذا النسق نجد حكم سليمان مذكورة في المقام الأول، إضافة إلى كتاب De tranquillitate Animi لـ Plutarque، وكثيراً جداً كتابات العصر الوسيط النسكية، Saint Bernard و S. Bonaventure وغيرهما. إن التعارض مع: «من لا يحب الخمر والنساء والغناء...» لا يمكن أن يصاغ بشكل أكثر جذرية: إن فكرة العبادة تشمل هنا كل الملذات الحسية، في حدود ما تكون هذه غير مبررة بأسباب صحية، ففي حالة كهذه تصبح مباحة (كالرياضة منظوراً إليها ضمن هذه الحدود، وكذلك أشكال أخرى من «التسلية»). حول هذا الموضوع أنظر لاحقاً. يلاحظ أن هذه المصادر المذكورة هنا وهناك لا تحيل إلى مؤلفات دوغماتية أو تقوية، بل إلى مؤلفات تملئها الممارسة الرعوية. إنها تشكل إذن صورة ممتازة عن هذه الممارسة.

- 86 أقوم بشكل عام، التي قد لا تعتمد بأكملها على خبر في هذا، من حكم نفسي على هذا الشكل  
 أو ذلك من أسكتل الدين وهو بعيد عن ذلك كالأبعاد السأله هي فقط مساهمة تأثير بعض  
 المذهب التي تعتبر هدية سيدها وجهه لله دية هو ذلك التي بقي مهمه أثبتة استوى المعنى  
 (87) حول هذا الموضوع، انظر بشكل خاص مقاله E. Tractisch في الأخلاقيات الإنكليزية في داره  
 المعارف اللاهوتية والكسبية البروسانتيكية ط 3  
 88 ان الثاني الكلي الذي قد لا يكون إلا أوضاع الفقيه المبنية، التي تبدو كصنف تاريخية، يعظم  
 عصره، صحتة على مبدأ المثال في ن. ع. انظره، موضوع حرد في الأوضاع التمهية ذات  
 الإصاح التمهية و... س. ج. ب. حيدويه التي قد يراها Lzbadie من بين حري، بشكل بسيطه  
 دية ع. حياة الرجبة  
 89) منج ذلك في كثير من الاعتراف في أيام حركة الإصلاح الديني وكذلك في Ritschl  
 Pietismus pp 248 لا يجمع على ان الكسبية بحيدته ملوثة كد محدده هو  
 بحريه، وان المذمومين المحردين من صفة التشاؤم الأخلاقي لم يكون محسوب من صفوف الكسبية  
 7 Conf helv 24 Conf helv 25 26 أنظر خانبة في 17  
 (90) محمد ايه ما س. ك. حيدويه من... روح الأكلوي أعمال الطهرين الروائية من 48  
 'لا إن فكره هو بولاده مهمه تاريخية جذب بهذه الطريقة سيد مهمه في أنكم... يكتب منها  
 لا كما في... لا يمكن ان يحصره في الإرث فالأمر مدونه لا يمكن محوهم فهم بالأكيد  
 ميربون حياة دية T. A. Bonus أعمال الطهرين اللاهوتية من XIV  
 92 ان السمو انوردي باليد والنو هو سمو. عريب عن روح الكاتبية السكية لا على انتمو  
 النظري من غير ساند بل على الأتم على تصعيد الحملي فلا فيه اختلافه في نظريه  
 بصورون فلا من معية هو اما المزم من سيد من اصطفااته وفي حقيقته هي في حدود ما يوج  
 بها، مؤشر على بطو مثله على نظره هو كامل مديلا عن الدم على خطبته بحد المزم عليها  
 وسخر إلى بجاورها بعد منه محمد ايه في ذلك مع تفسير home في (معيد كرومويل  
 1656 98 في كتابه عده الإنسان منه والنو يو بين منه والإنسان أعمال الطهرين الروائية من 48  
 الحقن الشهادتي عدو الله وهو عقل غير ناعم، بل عقل حملي سيد بجب ان يكا، (ص 246)  
 ريجب ان ب. اعني المصالحة معه لا اعتقاد الجواب عده، به السافه وهرته من الله  
 تحفد المقصود هو... ع. حيد السفيه لا حيد من كسبية بين الزمانيه السفيه في وجهتها لم كد  
 السوفه Reneto d'Este (والله L. Conon... والتي تشعب فيها من الفكره التي سمع به بجاها الله  
 لروبيها إذا ما تأكد لها انتمو هو في السموهين، وسير... مائه انه اسحب على الشخص... وهذا  
 في الراد عينه مثال ما من قوه أعلاه حول طريقه انفصال المذم... رويها انجسه هو المسامح  
 والطبيعه، الانفصال الذي شكل نتاج المذهب الجبري  
 (93) ولا يجوز لاحد من تلك الدين يقدمون الدين على انهم قد يحسبون وأنفيا ان يستند... ينظر او...  
 بعنه الكسبية الظاهرة (إدع رغب في ذلك) يصبح هو جوهر الكسبية المفقوده  
 حيد هو المبدأ الذي صاحبه Owen اثنافيني المستقل فاصي اكفور في عهد كرومويل (inv  
 into the Origin of Ev. Ch.)



(94) أنظر أيضاً القسم التالي .

(95) Bailey : «التقوية العملية» . 149 ، Catéchisme genevois «علينا أن نتصرف في الحياة كما لو أنه ليس لأحد غير موسى سلطة علينا» .

(96) «يبدو القانون للكالفيين كميّار مثالي للفعل ، في حين أنه يرهق اللوثري لأن المسألة في نظره أمر لا يمكن بلوغه» . وقد وضعه اللوثريون في بداية التعاليم المسيحية بغية إيقاظ التواضع اللازم ، في حين أننا نجد عموماً في التعاليم المسيحية بعد الإنجيل . يتهم الكالفيون اللوثريين بكونهم يمارسون «إرهاباً حقيقياً على فكر الصيرورة لدى القديسين» Möhler ؛ ويعيب اللوثريون ، في المقابل ، على الكالفيين «خضوعهم العبودي للقانون» وكذلك عجزهم .

(97) أنظر «دراسات وتأملات في العصيان الكبير» ص 79 وما يليها .

(98) ينبغي ألا ينسى ، من بين هذه العناصر ، «تشيد الأناشيد» الذي تجاهله الطهريون . ولقد أثر العشق الشرقي على نمو بعض أنماط التقوى ، كما هي الحال مثلاً في تقوى S. Bernard .

(99) حول ضرورة هذه الرقابة الذاتية والسهر على النفس أنظر : عظة Charnok المذكورة سابقاً : في كتاب «أعمال الطهريين الربانية» ص 161 .

(100) معظم اللاهوتيين الأخلاقيين ينادون بذلك . وكذلك باكستر (الدليل المسيحي II ، ص 77) الذي لم يخف مخاطره .

(101) من البديهي أن المحاسبة الأخلاقية كانت مستخدمة على نطاق واسع في الأماكن الأخرى . ولكن كان ينقصها هذه الميزة التي تجعل منها الوسيلة الوحيدة لمعرفة الأمر الأبدي بالخلاص أو بالهلاك ، وعلى أساس ذلك ، لمعرفة الفائدة البسيكولوجية التي تجزي العناية والدقة في الحساب .

(102) وهو ما يشكل الفارق الحاسم عن مواقف أخرى مماثلة ظاهرياً .

(103) يفسر باكستر (Saints Everlasting Rest, Chap XII) لامرئية الله بهذه الملاحظة : كما يمكن أن نتناول عملاً مثمراً بالمراسلة مع غريب لم نكن قد رأيناه سابقاً ، كذلك يمكن ، عبر «تجارة مقدسة» أن نكسب من إله لامرئي «لؤلؤة لا تقدر بثمن» . هذه الرموز التجارية ، التي تحل محل الرموز التشريعية عند الأخلاقويين القدامى ولدى اللوثرية ، هي من خصائص الطهرية التي تترك ، في الحقيقة ، للإنسان نفسه أمر الاهتمام «بتحصيل» خلاصه الخاص . قارن في المقابل مع المقطع التالي المأخوذ من إحدى العظات : «إننا نقدر قيمة الشيء مثلما يقدره الرجل العاقل الذي يعرف قيمته ولا يغالي في تقديرها تحت أي إكراه ، ولقد قدم المسيح نفسه ، دمه وروحه من أجل إصلاح النفوس التي عرفها ولم يكن بحاجة إليها» . «قيمة الروح» في (أعمال الطهريين الإلهية . ص 313) .

(104) على النقيض من ذلك يقول لوثر نفسه : «الدموع تغلب الفعل والعذاب يسبق أي عمل» .

(105) يظهر هذا الأمر بشكل واضح جداً في تطور الأخلاق اللوثرية . حول هذا الموضوع أنظر : Hoennicke ، «دراسات في الأخلاق البروتستانتية القديمة» (Berlin 1902) ، وانظر أيضاً التقرير الغني بالتعليمات الذي كتبه E. Troeltsch ، ونشره في مجلة : Göttinger Gelehrte Anzeigen . N° 8 . (1902) . إن المذهب اللوثري والمذهب الكالفيين الأرثوذكسي القديم كانا متقاربين جداً من حيث الشكل ، غير أن الاختلاف بينهما في التوجه الديني كبير رغم كل شيء . بغية الربط بين الإيمان والأخلاقية ، كان Mélanchthon يضع فكرة الندم في المقام الأول . إن الندم الناجم عن الإيمان

يعني ان يسير الإيجاد لكم الأعداد الصحيحة يعني بـ سبعة عنه وإذا يظل بـ يكون هو الإيجاد الحقيقي التبريري وهو ما يكون صيغة ظهوره بـ *Mélancthon* من الممكن نوع واحد منه من الكمال في النجاة والواقع - كان يعلم في البداية - بعلمه الإلهية كان يعطي بهدف جعل الإنسان مدركا على تقدير لأهميته. نصحت "وا" به درجة من عدم - أي - بفتح الإيمان بالوصف إلهي بده من حقيقة البداية وهذه الدرجة تكسب في الكمال التام وكذلك من الدوغماتيك البربريس الغير محبوب بعد ذلك دافعوا هم يفتح في الفكره القائلة ان الإيمان الصالحه هي ثمرة الإيمان الضرورية وان الإيمان بوجه حياة جديدة ذلك - هو الحدح - كان يتم منه المزمع يور - على موال - قيم تكسب لأعمال الصالحه<sup>9</sup> بحسب *Mélancthon* وبحسب من بعده ماريون غرور - بـ من العود مطالبين بالعودة إلى الإيمان لم يبق من مذهب بولس لأصليه إلا الجدي منها المصنوع، الذي يرى من خلاله منطلقاته - ولا سيما تعليمات العهد القديم الخاصة بغير الرضايا العرس شكل أساسي من الفعل الإنساني بصفتها مبدأ لتعاديه الأكثر أهمية في انقواب طبيعي غير أنه وجود مختلفه منه مرتبط بـ لأهمية التكبيره ذاته التي بـ يده (إيمان بأنعمه وبين همته ثم عيه هذا الإيجاد الذي "نظر" خلاله) بغير سميره سيكون حية محسنة ختلاها حد يحرر الإيمان الكاليفي

مبدأ من إصديته سبيل وجهه النظر التبريرية لأهمية المنفعة بالأصغر - فمدد النجاة عها وكان يعني ان يحصل "دنيا" من قبل كسبه ناد - بغير كماله بـ بغير نجاح من هو المصالح خنكا خاصي التوصل إلى صفة بكنية بمعينه - منه - باعتبار ذلك مهمه خلاقيه موجهة بالقرء - ذو - بحسبه من - بحسب المدد<sup>1</sup> الدعائي ذلك لأن ما يتفق هو الواقع بدي من شأنه ان يتبع فكره لأجابه - سم - عمل حتى المذنب - المماثل لمدي - وصفت إليه الكاتيفيه بعض منسب الجبرية ان التويل - بحري بلام - الممددة - الذي يرافقه مع عيانه حد المذهب - بالتحديد التجمع بين التبعيد عني لأقل مدته - وير الصلابة يصبح هو - الأخلاقيه المسيحية إذ ما هم بالقبول بضمويه اسمه حد التاويل بحسب، في الحقيقة، بالنسبة للسموره من التافكر - بكنيا الطبيعي ونعمه الملامح - فعدد - يدعج مع لإحتاج القديس هو شخصه لأهمية الدور هو سببه من مصدر التبريرية بكني اذا أهمية التويل الكسبي جعل - بكنه لذي يقتصر ان اواس اليه يمكن بغيره تأثير اوه منسوبة من الدم بزم به مرتبط تحفته عد بوبته عديته عني حد بالاضبط ببدد *Mélancthon* بسببه مضاميا حد النحول - اعدي صام عقيده والذي يجمع في الإهمية المنسوبة التي بحري إلى الدم مريض - بحد بقا دالجبرية التي بكنها هناك كثير من القراء - صحتا نصيبه اللامهيه في السنوك اللوثرية

ان اعدا مضمومة سببها النجاة - عني بكنه المخلصي والتوبة عني خطايا مضمومة، هي التي صحتا بدين الخلاص بالنسبة إلى "الموري القدي" ولا يتم ذلك من طريق نظرية "استقراطية" من الهديس الذين يتكروا هم أنفسهم بغير خلاصهم الخاص بدن عني ملك الاستدلال بالاعتراض وهذه النظرية ممكنة في التوصل إلى خلاقي مضمومة من "إبطا" ولا التي سببه عدلانية مختلفه بالإيمان بغير القديس، على العكس، في سبب<sup>2</sup> مضمومة - بكن بكن الإيمان بكن وكلمه وده منالية فوق ذلك، ولأنه يفتح إلى بدي بكنيه *Bibliocratie* إلى الخلاص من طريق

الأعمال، يبقى القانون مشوشاً غامضاً وذا مضمون لا منهجي. وهكذا تبقى الحياة بالنسبة إلى اللوثرين، كما يقول Troeltsch عن نظريتهم الأخلاقية، «مجموعة من الميول لا تنجح أبداً في أن تتحقق» وهم «يكتفون بتفتيت حكم خاصة ومشوشة» لا تستهدف «صياغة منهج سلوكي متماسك». وإذا ما اتبعوا في ذلك، بشكل أساسي، الطريق التي خطها لوثر نفسه، فهم يقبلون بكل الأشياء الصغيرة والكبيرة قبولاً استسلامياً. فميل الألمان الكثيب إلى «التكيف» مع الثقافات الأجنبية، والتبديل السريع في قوميتهم، كل ذلك يمكن، بمعنى ما، أن يعزى - بموازاة بعض الظروف المتعلقة بمصير الأمة السياسي - إلى هذه العملية التي تواصل تأثيرها على كل وجوه حياتنا. إن استيعاب الثقافة الذاتي يبقى ضعيفاً لأنه يبقى أساساً نوعاً من القبول السلبي بما يتم عرضه بطريقة سلطوية.

(106) حول هذه النقطة، أنظر الكتاب الطريف الذي وضعه Tholuck، *Vorgeschichte des Rationalismus*.

(107) حول التأثيرات المختلفة لمذهب الجبرية في الإسلام (أو لمزيد من الدقة لمذهب القضاء والقدر) وحول أسبابه، انظر: الشرح اللاهوتي (Heidelberg) المذكور آنفاً لمؤلفه: F. Ullrich، «القضاء والقدر في الإسلام والمسيحية» 1912. وحول مذهب القدرية عند الجانسينيين أنظر: P. Honigsheim، م. ن.

(108) أنظر لاحقاً: الطوائف البروتستانتية وروح الرأسمالية.

(109) يسمى Ritschl، «تاريخ العقائد» I، ص، 152. بالنسبة للمرحلة السابقة على Labadie (استناداً إلى أمثلة من البلاد المنخفضة فقط) لأن يميز التقويين من حيث:

- 1 - إنهم شكّلوا جمعيات سرية.
  - 2 - إنهم علّموا مذهب «تفاهة الخليقة» بطريقة معاكسة لوجهة النظر البروتستانتية فيما يتعلق بالخلاص.
  - 3 - إنهم اكتسبوا، بطريقة غير كالفينية، «ضمانة الخلاص عبر تعامل لّين مع السيد المسيح».
- هذا المعيار الأخير ليس دقيقاً، في هذه المرحلة من البداية، إلا في حالة واحدة من الحالات التي جرى تناولها. إن فكرة «غرور الخليقة» هي السليل الأصلي للروح الكالفينية. وهنا بالضبط دفعت الأمور إلى حد التخلي عن العالم الذي أزاحته عن طريق البروتستانتية الطبيعي. وأخيراً، فإن السنودس الذي انعقد في Dordrecht كان، في حدود معينة، قد أسس هو ذاته الجمعيات السرية (وخصوصاً لغايات تعليم الدين ونشره). من بين خصائص التقوية التي حلّ لها Ritschl ينبغي ملاحظة:

- 1 - الدقة التي تساوق فيها كتاب التوراة في جميع وجوه الحياة الخارجية والتي كان Gisbert Noet المحامي عنها.
- 2 - الطريقة التي تمّ فيها تناول النعمة والمصالحة مع الله، لا كهدف بذاته، بل كمجرد وسيلة للوصول إلى حياة ظاهرة ونسكية كما عرفت ربما عند Lodensteijn، ولكن كما صُمّمت بخطوطها الأولى عند Mélancthon (أنظر أعلاه الحاشية رقم 105).

3 - الثمن الغالي المتعلق «بالندم» كعلامة على التجدد الحقيقي، كما علّمه لأول مرة W. Teelinck.

4 - فرض الخطر على العمادة إذا ما شارك فيها أشخاص غير متجددين (سنتحدث عن ذلك في سياق آخر) مع ما ينجم عن ذلك من تشكيل الجمعيات السرية - وهو ما يمضي إلى ما وراء الحدود المثبتة من قبل





الإنسانية في فلسفة الأنوار التي لم تمارس، بذاتها، أبداً تأثيراً عملياً كبيراً، فإن فكرة التسامح في الغرب متحدرة تاريخياً من المصادر الأساسية التالية:

- 1 - إعتبار المصلحة العامة، وهو مصدر سياسي صرف (نموذج: Guillaume d'Orange).
  - 2 - المركاتيلية (وهذا ما هو واضح مثلاً بالنسبة لأمستردام وكثير من المدن) مركانتيلية السادة والمتسلطين الذين سلّموا بالتشيع باعتباره عنصراً ثميناً في عملية إنجاز التقدم الاقتصادي.
  - 3 - ميل التقوية الكالفينية الجذري. تستبعد الجبرية بشكل أساسي أن تساعد الدولة الدين عن طريق اللاتسامح. ذلك أن إنقاذ نفس واحدة بهذه الطريقة يبدو أمراً مستحيلاً. وحده مجد الله يجيز للكنيسة أن توجه الدعوة إلى الدولة لكي تسحق الهرطقة. ولكن كلما أشير إلى أن المبشرين، وسائر الذين يشاركون في العمادة، ينتمون إلى العدد القليل من المصطفين، كلما أصبح تدخل الدولة في تسمية المبشرين وفي منح الأعباء الكهنوتية أمراً لا يمكن تحمله. لقد كانت المداخل الكنسية في الغالب أمراً يناط تحديده، من قبل السلطة، بطلاب جامعيين، ربما غير متجدين هم أنفسهم، وذلك على أساس المطالبة فقط بتكوينهم اللاهوتي. وعلى العموم، فإن كل تدخل في شؤون الطائفة، من جانب الحكام، الذي غالباً ما يحاط سلوك الواحد منهم بالشك، كان يقابل بالمرارة. كانت التقوية اللوثرية تعزز هذا الموقف محققة الأرثوذكسية العقيدية ومقوضة مبدأ *extra ecclesiam nulla salus*. كان كالفن قد حكم بأن خضوع من حلت عليه اللعنة للرقابة الإلهية من قبل الكنيسة، هو وحده المتلائم مع مجد الله. فشهدت أنكلترا الجديدة محاولات تشكيل كنيسة من أرستقراطية قديسين مثبتين، أما المستقلون الراديكاليون فهم يرفضون كل تدخل من جانب السلطة الزمنية، وبالأحرى، من جانب سلطة ترابية معينة في اختبار الخلاص، ذلك أن هذا الاختبار ليس ممكناً إلا ضمن طوائف ذات سيادة ذاتية. أن يتطلب مجد الله من الملعونين خضوعهم هم أيضاً لنظام الكنيسة، فهذه فكرة استبدلت بالفكرة الأخرى - التي كانت موجودة منذ الأصل، والتي تأكدت شيئاً فشيئاً مع عاطفة متنامية - ومفاد هذه الفكرة الأخرى هو أن إهانة مجد الله خير من مشاطرة الملعون في العمادة. كان ذلك يؤدي حتماً إلى الإرادية، لأنه يوصل إلى كنيسة المؤمنين *Believers Church*، إلى طائفة دينية لا ينبغي أن تضم سوى المتجدين. إن المعمدانية الكالفينية، التي ينتمي إليها على سبيل المثال *Praisegod Barebone*، زعيم «برلمان القديسين» توصلت إلى استنتاجات هامة من تسلسل الأفكار هذا. لقد ناصر جيش كرومويل حرية المعتقد، ودافع برلمان «القديسين» عن عملية فصل الدين عن الدولة، وذلك لأن أعضاءه كانوا تقويين أتقياء. حصل ذلك إذن لأسباب دينية إيجابية.
  - 4 - إن الطوائف المعمدانية - التي سنعاد الكلام عليها لاحقاً - تبنت منذ ظهورها، بقوة وبثبات، مبدأ قبول المتجدين فقط، رافضة بذلك كل نوع من أنواع تصور الكنيسة على أنها مؤسسة، وكل تدخل من جانب السلطة الزمنية. وهنا أيضاً يبدو أن سبباً دينياً إيجابياً هو الذي كان يولد ضرورة التسامح غير المشروط.
- إن أول من نادى بالتسامح المطلق، وبفصل الكنيسة عن الدولة، وذلك لأسباب مشابهة، ربما كان John Browne. وقد حصل ذلك قبل جيل تقريباً من المعمدانية وقبل جيلين من Roger Williams. إن أول إعلان بهذا المعنى، من جانب طائفة المؤمنين، هو، كما يبدو، قرار المعمدانين الإنكليز في أمستردام في عام 1612 أو 1613:





مثلاً يؤسف له دون غيره. في سبيل استخدام أكثر جدية للمفاهيم الخاصة بعلم نفس الأمراض في مجال تأويل بعض الظواهر التاريخية الجماهيرية، أنظر: W. Hellpach، «سيكولوجية الهستيريا» الفصل الثاني عشر، وكذلك كتابه «العصابية الثقافية».

لست قادراً هنا على محاولة شرح الأسباب التي تركت هذا الكاتب المتعدد المواهب، في نظري، يتأثر، للأسف، ببعض نظريات Lamprecht. إن أي واحد يعرف الأدب الشائع حول هذا الموضوع معرفة أولية لا يجهل إلى أي حد كانت ملاحظات Lamprecht حول التقوية خالية من أية قيمة قياساً بالمؤلفات الأقدم منها (في المجلد VII من Deutsche Geschichte).

(116) وكذلك لدى مؤمني Innige Christendom في: Schortinghuis. يعود ذلك، في تاريخ

الديانات، إلى خادم الرب في: Deutéro - Isaïe وفي المزمور XXII.

(117) وهذا ما يظهر لدى التقويين الهولنديين، وفي هذه الحالة تحت تأثير السبينوزية.

(118) Tersteegen و Labadie وغيرهما.

(119) ربما يتجلى ذلك بأكثر ما يكون من الوضوح حين يعترض (هو Spener!) على جدارة الحكومة في

مراقبة الجمعيات، إلا في حالات الفوضى والتعسف، وذلك لأن الأمر يتعلق بحق أساسي من حقوق

المسيحيين الذي تضمنه السلطة البابوية (Théologisches Bedenken III, pp, 81 sqq). وهذه هي

بالضبط في جوهرها وجهة النظر الطهرية فيما يتعلق بحقيقة حقوق الفرد ومداهها، تلك الحقوق الربانية

التي لا يمكن إذن استلابها. لا هذه الهرطقة، ولا تلك التي أشير إليها في غير هذا المكان من النص،

أفلفتا من Ritschl (Pietismus, II, pp. 157, 115). في المقابل، إن النقد الوضعي، (حتى لا نقول غير

المستئين) الذي تناول فيه فكرة «الحق الأساسي» هو نقد لا تاريخي، لأننا مدينون، في النهاية، في

هذه الفكرة، إلى كل ما يُعتبر اليوم، في نظر أكثر «الرجعيين» صراحة، بمثابة الحد الأدنى من الحرية

الفردية. طبعاً نحن نتفق معه حول غياب العلاقة العضوية، في الحالتين، مع وجهة نظر Spener

اللوثرية.

إن الجمعيات ذاتها التي كان Spener قد أقامها، في حقل الممارسة العملية، على الأساس النظري في

Pia desideria الشهيرة عنده، تقابل بشكل أساسي الـ Propheysings الإنكليزية التي مورست في

البداية في London Bible Classes الخاصة بـ John of Lasco (1547) لتصبح فيما بعد جزءاً من

الجردة الدائمة بالأشكال الطهرية المضطهدة باعتبارها تمرداً على سلطة الكنيسة. ومن المعروف

أخيراً أنه برر رفضه نظام الكنيسة في جنيف، بحجة أن الناطق الرسمي باسمه المسمى [berufener

Träger]، - الشعب، (المسيحيون العلمانيون) لا يشكل جزءاً من تنظيم الكنيسة اللوثرية. ومن ناحية

أخرى وفي نقاش الحرم، إن الإعراف بالأعضاء العلمانيين في مجمع الكرادلة المنتدبين من قبل

الأمير بصفته ممثلين للشعب، هو اعتراف على جانب قليل من الإيحاء اللوثري.

(120) إن اسم «التقوية» الذي ظهر في بلاد لوثرية يؤكد أن الأمر يتعلق، في رأي المعاصرين، بمشروع

منهجي مستند إلى التقوى.

(121) ينبغي الإعراف، وهذا صحيح، أنه إذا كان هذا التعليل كالفينياً على الأغلب فهو ليس كذلك

حصرياً. ونحن نجده غالباً في أكثر مقومات الكنيسة اللوثرية قدماً.

(122) بالمعنى العبري V، - 13 - 14. قارن مع Spener: Théologisches Bedenker, I, p. 306.



وحول غيره: Heppe، «تاريخ التقوية في الكنيسة الإصلاحية»، وهو كتاب يبقى، إضافة إلى كتاب Ritschl الكلاسيكي، مرجعاً لا يستغنى عنه فيما يتعلق بإنكلترا وبالبلاد المنخفضة. كان Köhler قد سئل في هذه البلاد الأخيرة، خلال القرن التاسع عشر عن الوقت المحدد الذي حصل فيه تجده (حسب Die niederlandische reformierte Kirche).

(130) تم السعي إلى مقارعة تأثير مذهب لوثر التسامحي على استعادة النعمة (خصوصاً التحول المؤلف).  
(131) حول ضرورة معرفة وقت تحوله الديني يوماً وساعة، باعتبار ذلك دليلاً مطلقاً على أصالته، أنظر Spener، 197، II, 6, I, p. إن الصراع ضد الخطيئة، والندم لم يكونا بالنسبة له أقل غرابة من الإرهاب الواعي الذي مارسه لوثر على Mélanchthon.

(132) بالتوازي مع ذلك كان يستخدم التأويل اللاسلطوي «للكهنة الكوني» الخاص بكل تقوية. وأحياناً كان يطلب من كل راع أن يدفع المغفرة إلى حد تأكيد أصالة الندم وهو ما اعتبره Ritschl عن حق كالفينياً من حيث المبدأ.

(133) النقاط المهمة بالنسبة لنا موجودة بسهولة في Plitt، *Zinzendorf Theologie* (3 tomes, Gotha, 1869), I, pp. 325, 345, 381, 412, 429, 433 sqq; 444, 448; II pp. 372, 381, 385, 409 sqq; III, pp. 131, 167, 176. (1900، Leipzig) الكتاب الثاني، الفصل الثالث.

(134) الحقيقة أنه اعتبر اعتراف Aubsbourg وثيقة تخص الإيمان اللوثرى - المسيحي، إعراف مروي بـ Wundbrühe، «صلصة للجروح». هذا ما قاله في مصطلحه الكريه. ذلك أن قراءته هي عقوبة فعلية، لأن انحطاط الفكر يجعل اللغة أكثر رعباً من خلاصة صمغ البطم essence de térébenthine عند F. Th. Vischer (في سجله مع الـ Christoterpe في ميونيخ).

(135) «إننا لا نعترف، ضمن أية ديانة، بأخوة الذين لم يغتسلوا بنضح دم المسيح ولم يستمروا مثابرين، بعد تحولهم الكلي، في قداسة الروح القدس. إننا لا نعترف بكنيسة المسيح الواضحة إلا حيث يدرس كلام الله في نقائه وإلا إذا جعلنا حياتنا تتلاءم معها بطهارة وكأنا أولاد الله». هذه الجملة الأخيرة مقتبسة، وهذا صحيح، من Petit Cathéchisme de Luther، غير أن لوثر، وهذا ما أشار إليه Ritschl، استخدمها جواباً على السؤال: «ما هو المطلوب حتى يكون اسم الله متطهرًا؟» في حين أنها مستخدمة هنا لرسم حدود كنيسة القديسين.

(136) أنظر Plitt، م. ن. I، ص 346. إنه أكثر حسماً للجواب، الذي ذكره هذا الأخير م. ن. I، ص 381 على السؤال: «هل الأعمال الصالحة ضرورية للخلاص؟» الجواب: «إنها ليست ضرورية وهي تضر بالحصول على الخلاص، غير أنها تصبح ضرورية عند الحصول على الخلاص لأن الذي لا يقوم بها لا يمكن إنقاذه فعلياً». هنا أيضاً، ليست الأعمال الصالحة إذن هي سبب الخلاص الفعلي، بل هي الوسيلة، الوسيلة الوحيدة، للتعرف عليه.

(137) مثلاً بواسطة هذه الصور الكاريكاتورية عن «الحرية المسيحية» التي ينتقدها Ritschl بقساوة (م. ن. III، ص 381).

(138) لا سيما بالتشديد على فكرة العقاب العادلة في مذهب الخلاص الذي جعل منه أساس طريقته في التطهر بعد أن رفضت الطوائف الأميركية محاولاته التبشيرية. على أثر ذلك وضع في المقام الأول



التمسك بالمال، كما يعصائل الخفص المراضع كهدف نفسي، لا شوه النمو النفسي، وذنب بالتمسك به  
الجدري من المهور إلى نسكه مماثلة لنسكه الظهور التي كانت معروفة في النظام  
191. كان لها في الممار محدود، بعد السبب من الحفاج راج ديد Zinzendorf في برصية جسم  
من حق تصور «اجتماعية نسكية» كما فعل Lamprecht وفي المقابل حديث الاحتماء الممار  
الإقطاعية والامية قد هي بسية كثير أن بينه العاطفي يدك «بقا» في طور وعنه القسم الاجتماعي  
معصر لإحباط العاطفي الذي سببه العروسية وعصر «الخصامة» في حدود ما يمكن «عنه  
النس الاجتماعي» بل يعني «مبدأ» جسك نسك المص «هم» ما يجنبه متعارف مع عقلاية كرو  
العربية بوضوح موجد في سبب حالة المصروع لا يوي الحامي سري السبا

41. هذا ما بينه جيد سبب Zinzendorf مع Duppey وكذلك في بيانات ميودنر 764 الصادرة  
بعد مود الأور بوكه موضح صيغة نموذجية عليه خلاص العائنه كما بين Berghaus 1878  
Ritschi م ب 111 ص 143.

4. ثاب - مثلامه المصاطح 61 62 60 م الممكك لا يحصل الظهور عم الثرية الاجتماعية عمر  
الحفاج به حتماً سر خصوص في الملاحظات البده ص 1 ويدكر كثير جده الحفاج  
عوم في الذي يعرض الهدف «المواري في الخالفية» وهي حيدية  
42. جار مع ذكره Zinzendorf التي أوردته Plitt م ب 1 ص 345

143. ثاب مثلامه ملاحظه Zinzendorf جوب 28 x 34 Mill التي وردت Plitt ص 1  
«إذ إن إسما سبب من المود حاصر عبي فوس في سبب و استخدام هذه الجهة بصفة مود  
لا سبب أن الإنسان ليس مود م حاصرة، وانه يدعي حقه الفصل م ذلك بقا، فإني أع في  
الأمر بديه فده» بك Zinzendorf حصة في محادثته مع Jak Wrasch عام 143 إركية  
حصو. تقدم خلا «الخصامة» لأنه سبب بالعبية. يحدث لفظ في علاقه عاطفية مع المسيح Plitt  
p 417. إن الشعور بكونه في «نسكية» «الرباني» بصر حر النسو. بكونه نموذج «سببه» يد «ده  
والنصوية حسب عمر النسكية (النسك الذي سبب في التمهيد بدير ساب القائمة الأجزاء الخ  
من Etudes de sociologie de la religion) وركه سبب حثالا قرب م يصبو إليه الهدي في  
هو طبيعي مظهر خارجي م بخاص في هذه الحجة «الب» إلا أنه يول عد المظهر الخارجي  
كثيره الخلاص. ويسبب عد المظهر الخارجي السمو بكونه أدلة فعلة

44. بكر، نصبط م لا يقتضى إيه بجمه حلقيه. خدر بالإعبار المبل الذي يحمي عد بده  
Zinzendorf المكرة البومية المنعقة كركب. الممر مده حل مده م باعتد. ديز سبب حصة  
لا مده بجه فيها يصبح ذبب لا حري مود من التمهيد في مبل «خدمة المظهر السريعة»  
Plitt II p. 41

45. 1. حكيمه مود «لا سبب مرجل مود أن بكو عبي مود م و حود أن بكو. غير عاد م مود  
كتابه Sokrates «خطيئة الناصحة التي لا تقبل الجدة» 177 وكذلك يصحده بكتب م أمثال  
Bayle

46. 1. ميل النسكية المروستانية المير في التجريبية المعبنة القائمة عم «الخاص» م مود معروف  
غير أنه لا يسببها مودة لتعديل مود م مود المود مود «الخصامة» المص م مود

وأساببه الفلسفية وتعارضه مع وجهات نظر Bacon ، انظر : Windelband ، «تاريخ الفلسفة» ص ص . 305 - 307 . وخصوصاً الملاحظة الموجودة في أسفل الصفحة 305 التي ترفض ، عن حق ، الفكرة القائلة إنه ينبغي النظر إلى العلوم الطبيعية الحديثة على أنها نتاج المصالح التقنية والمادية . يوجد حتماً [فيما بينها] علاقات على درجة أولى من الأهمية ، غير أنها علاقات أكثر تعقيداً بكثير . انظر أيضاً المؤلف ذاته في كتاب : «الفلسفة الحديثة» I . ص . 40 . فيما يتعلق بالنسكية البروتستانتية ، التصور الرئيسي هو التالي : (وهو يظهر دون شك في أكثر أشكاله وضوحاً عند Spener الاعترافات اللاهوتية I. (p 232, III, p. 260) : كما أن المسيحي يعرف من ثمار إيمانه ؛ كذلك فإن معرفة الله وما يريده الله لا يمكن بلوغها إلا عن طريق أعماله . إن العلم المفضل إذن في مجال المسيحية الطهرية والمعمدانية والتقوية هو الفيزياء الذي يمكن أن تضاف إليها بقية العلوم الطبيعية والرياضية ، التي تستخدم مناهج مماثلة . عن طريق معرفة قوانين الطبيعة معرفة تجريبية ، يسود الاعتقاد بإمكانية الإرتقاء إلى معرفة «معنى» الكون الذي ، أخذاً بالإعتبار طبيعة الإلهام الرباني المجزأة - وهذه فكرة كالفينية - لا يمكن توجسه بواسطة تأملات مفهومية . إن تجريبية القرن السابع عشر هي ، بالنسبة للنسكية ، وسيلة البحث عن «الله في الطبيعة» . إنها تبدو كأنها توصل إلى الله في حين تظهر الفلسفة وكأنها تبعد عنه . وتشكل الأرسطوطاليسية خصوصاً ، في نظر Spener ، عنصراً من أكثر العناصر ضرراً بالنسبة للمسيحية . إن تياراً آخر كان هو المفضل ، وخصوصاً الأفلاطونية 13 N° 2. dis. 1, 6, III Concilia theologica) تياراً آخر كان هو المفضل ، وخصوصاً الأفلاطونية 13 N° 2. dis. 1, 6, III Concilia theologica) (Spener, Ibid, II, 5, n°2).

نعرف الأهمية التي ارتداها هذا التصور الخاص بالبروتستانتية النسكية حول تطور التربية وخصوصاً التعليم المهني . بالإقتران مع موقف Fides implicita قدم هذا التصور للتعليم المهني برنامجاً التربوي .

(147) إنه نمط من الناس الذين يقسمون سعادتهم إلى أربعة أقسام :

- 1 - أن يعيشوا حياة مظلمة ، محتقرة مهانة [...] .
  - 2 - أن يهملوا الحواس التي ليست ضرورية لخدمة الرب [...] .
  - 3 - رفضهم أية ملكية أو تقديمهم كل ما يحصلون عليه هبة [...] .
  - 4 - العمل على طريقة المياومين لا من أجل الأجر ، بل حباً بالعمل وفي سبيل خدمة الرب والقريب [...] .
- (Religiöse Reden, II. p. 180 Plitt, op. cit. 445).

ليس بإمكان جميع الناس أن يصبحوا أتباعاً ، بل أولئك الذين يسميهم الله فحسب . حسب اعتراف Zinzendorf (Plitt, op. cit. I, p. 449) فإن بعض الصعوبات تستمر لأن العظة على ظهر الجبل تتوجه شكلياً إلى الجميع . إن القرابة بين «لا كونية الحب الحرة» هذه وبين المثل المعمدانية القديمة هي أمر بدهي .

(148) إن الإستبطان العاطفي للتقوى ليس ، في الحقيقة ، غريباً أبداً عن اللوثرية ، وحتى عن لوثرية الأتباع . وتنظيم الحياة هو الذي يشكل الفارق أكثر مما تشكله النسكية - فهو يعرض بالنسبة إلى اللوثرية ذكرى «التعليل بالأعمال» .

(149) إن «قلقاً صادقاً» هو مؤشر على النعمة . أفضل من اليقين . يقول Spener ذلك في كتابه : Théologische Bedenken . من المؤكد أنه يوجد لدى الكتاب الطهرين حذر من «اليقين





Schneckenburger Vorlesungen über die Lehrbegriffe der Kleineren protestantischen kirchenparteien. p.147.

(160) كان Whitefield ، زعيم جماعة الجبريين ، التي انحلت بسبب عيوب في تنظيمها بعد موت زعيمها ، قد رفض جوهرياً مذهب الكمال عند Wesley . هذا المذهب الذي لم يكن سوى وريث مفهوم التوكيد الكالفيني .

(161) Schneckenburger م . ن . ص 145 . مع اختلاف قليل عند Loofs . م . ن . هاتان النتيجتان هما نموذجيتان من بين سائر الظاهرات الدينية المماثلة .

(162) وكذلك في مؤتمر 1770 . لقد كان المؤتمر الأول المنعقد في 1744 قد اعترف بأن كلام التوراة ينطبق على الكالفينية وعلى التناقضية في وقت واحد . غير أنه يبدو من الغموض بحيث يصبح من غير الممكن الانفصال لأسباب عقدية ، طالما أن التوراة تبقى المعيار العملي .

(163) كان الميتوديون منفصلين عن المورافيين في عقيدتهم القائلة بإمكانية الكمال من غير خطيئة ، وهي العقيدة التي رفضها ، بشكل خاص ، Zinzendorf . إن الوجه العاطفي من الديانة الممارسة في Herrnhut يعود ، بالنسبة إلى Wesley ، إلى الصوفية ، كما أن هذا الأخير اعتبر التأويل الذي وضعه لوثر في موضوع الإيمان تجديدياً . مما يبين بأن حاجزاً ما يزال يقف بين اللوثرية وكل أصناف السلوك الديني العقلاني .

(164) يشير J. Wesley إلى حرص جميع الطوائف ، الصاحبين والكالفانيين ، وأنصار الكنيسة الأنكليكانية - باستثناء الميتوديين - على الإيمان بمبادئ اللاهوت . قارن مع ما سبق النقاش ولو الموجز في كتاب Skeats ؛ تاريخ الكنائس الحرة في انكلترا ، 1688 - 1851 .

(165) قارن مع Dexter ، الابرشانية ص 455 .

(166) مع أن ذلك يمكن أن يلحق به الضرر بالطبع ، وهذا ما نتجت منه اليوم لدى السود في أميركا . فإلى جانب أسباب تاريخية صرف ، وإلى جانب دعاية الطقوس ، فإن الطبيعة المرضية البارزة غالباً في العاطفة الميتودية ، قياساً على العاطفة الرقيقة غالباً في التقوية ، يمكن أن ترتبط بأكثر نسبة من تشبع الحياة بالنسكية في المناطق التي انتشرت فيها الميتودية . غير أن ذلك هو مهمة طبيب الأمراض العصبية .

(167) يشدد Loofs ، م . ن . ص 750 ، كثيراً على واقع أن الميتودية تتميز عن الحركات النسكية الأخرى بكونها لاحقة على عصر التنوير في انكلترا ، ويقارن ذلك ، وإن بوضوح أقل ، بنهضة التقوية الألمانية طيلة الثلث الأول من القرن التاسع عشر . غير أنه يبقى مباحاً أن نتذكر مع Ritschl ، في كتابه التبرير والمصالحة ، شكلاً من التقوية يتوازى مع شكل تقوية Zinzendorf الذي على عكس Francke و Spener ، كان يمثل ردة فعل ضد الأنوار . غير أن ردة الفعل هذه ، كما رأينا ، اتخذت ، بالتحديد في الميتودية ، اتجاهات مختلفة تماماً عما هو عند المورافيين ، على الأقل في إطار تأثير هؤلاء بـ Zinzendorf .

(168) غير أن الميتودية . وهذا ما يدل عليه مقطع J. Wesley المذكور لاحقاً ، لم تكن أقل تطوراً لها ، ولا أقل تأثيراً فيها من بقية الطوائف النسكية .

(169) وأشكال مخففة ، كما رأينا ، من الأخلاق النسكية المتماسكة لدى الطهرية . في حين أنه إذا رأينا في



إلى «علم» للمتخصصين: وهو ما لم يثر استحساناً عند قدامى اللاهوتيين المحترفين. هكذا كان يحصل، وما يزال يحصل مع عدد من اللاهوتيين الأكثر قرباً زمنياً منا. وعند Ritschl، في كتابه Pietismus، I، 22. عومل «المعادون للمعمدانية» بطريقة مغرضة، بل معيبة، وذلك بمقتضى كتاب Geschichte des: Cornelius Münsterschen Aufruhrs، الذي ظهر قبل ذلك ببضع عشرات من السنين. إننا ميالون إلى الحديث من وجهة النظر اللاهوتية «البرجوازية». ويكشف Ritschl من وجهة النظر هذه، عن آثار السقوط مجدداً في «الكاثوليكية»، كما يشتم النفوذ المباشر الذي يمارسه المبشرون والمراقبون الفرنسيون. وإذا ما حصل ذلك، في بعض الحالات، فإن الأبناء لم يكونوا أقل ضعفاً. ويبدو من المحتمل، تاريخياً على الأغلب، أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تتعامل بحذر شديد مع نسكية العلمانيين في العالم في كل مرة كانت هذه النسكية تنتظم في جمعيات سرية؛ وكانت تسعى إلى توجيهها نحو تشكيل رهبانيات دينية - إذن خارج العالم - أو كانت تجهد لربطها برهبانيات موجودة واستبدالها بها، وذلك نظراً إلى أنها كانت تعتبرها صنفاً متدنياً من النسكية. وحيث فشلت في ذلك لاحظت الخطر الناجم عن أن ممارسة الأخلاقية النسكية الذاتية لا يؤدي إلى نفي السلطة أو إلى الهرطقة. هذا ما تثبته، من جهتها، وعن حق أيضاً، كنيسة اليزابيت بصدد الجمعيات السرية اليهودية نصف التقوية، في حين أنه لم يكن هنالك شك في امثاليتهم - هذا الشعور الذي عبر عنه آل Stuarts في كتابهم: Book of Sports الذي سنتحدث عنه لاحقاً، ودليلنا هو تاريخ عدد من الحركات الهرطقية، وكذلك تاريخ المترهبين مثلاً، وأيضاً مصير القديس فرنسيس. إن تبشير رهبان الصدقة، الفرنسيون خصوصاً، قد هيا السبيل أمام الأخلاقية النسكية لدى البروتستانتية الكالفينية والمعمدانية على حد سواء. ولكن إذا كان ينبغي التشديد، بالنسبة إلى المواضيع التي تهمنا، على السمات الضخمة الغنية جداً بالإرشادات، التي تقرب النسكية من الرهبنة الغربية، والأسلوب النسكي من البروتستانتية، فمن المناسب البحث عن سبب ذلك في حقيقة أنه لا بد من أن يكون لمختلف النسكيات القائمة على المسيحية التوراتية أن يكون لها بشكل مشترك بعض السمات الأساسية، وفي أن كل نسكية، مهما تكن الديانة التي ترتبط بها، تتطلب بالضرورة وسائل ناجحة بقصد «إماتة» الجسد.

إن العجالة التي تتميز بها الدراسة المختصرة التي ستلي معللة بواقع كون الأخلاق المعمدانية لا تقدم سوى فائدة محدودة جداً، بالنسبة إلى الموضوع الذي ندرسه هنا، أي موضوع الأسس الدينية التي تقوم عليها الفكرة «البرجوازية» المتعلقة بالمهنة. فهي لم تقدم لذلك شيئاً جديداً حقاً. إن الوجه الاجتماعي من الحركة، وهو الأهم، سيترك الآن جانباً. ولن نحفظ هنا من تاريخ الحركة المعمدانية القديمة إلا بما ترك تأثيره على الميزات الخاصة بالطوائف التي كانت مسيطرة في نظرنا: المعمدانية الصاحبية، وبشكل ثانوي المينونية.

(172) انظر أعلاه الحاشية رقم 93.

(173) حول أصلها وتغيراتها أنظر: Ritschl، «مجموعة مقالات» ص 69 وما بعدها.

(174) لا شك أن المعمدانيين كانوا يرفضون دوماً إسم «طائفة». وكانوا يشكلون الكنيسة بمعنى الرسالة التقوية إلى الإيفيزيين Ephésiens. انظر (27). غير أنهم كَوّنوا، حسب مصطلحنا نحن، طائفة، وذلك لا لأنه لم يكن لهم أية علاقة بالدولة فحسب، فالعلاقة بين الكنيسة والدولة زمن المسيحية



[illegible]

### Die Soziallehren der christlichen Kirchen und Gruppen

Wirtschaftsethik der Weltreligionen      نظر أيضا النجود، ص 151

٢٩، (١٥) Curatiles = د. عبد الله الإلهامي الت. يعنيه التي يريدونها. د. محمد ف. الماسري ب. يصحفظ على. جماعة الكوفة

٧٤ لا يحسن به عيدا بالاعمال كما يحسن البهارات مع عذوب التحليل العيني

٢٧١ ابن الأعيان حنافة مسلماً غير عر حنيفة المسيح علانية بغير رياء في بعضه التي شهد  
المكره فهدد لفساد بعضها عنصر وعبد دوجالي صافي وشركه صحر عر في بعض  
المعهد في الأكر قد لاعتاد في عبد محمد علي سبي جال في CORNELIUS في م ل ه  
في دير فجدد النبي عرب عبد خلفه انعم في عبد عبد الكسيه في م ك  
Müller في p 370 في الاختلاف بين الكاثوليك والبروتستانت في م ك دراسة محققه  
مسيح لا بد من منه في جبال واضح في الإحصاء البيه يدي في م ك

١٦٨) يجعلني ذلك حديد في الامتحان بعد ان في الاصل ان اقامه به علاقه مع الذين خصصوا عقوبه الجرم ، حتى في بدار علاقات الحياة العامه وهي النقطة التي قد وجدته في ماله . سؤالي :  
بما لا ريب عامه وهم انهم كذا يسو ، من حيث الجيد ، الذي في العالم باب العلاقات المتديه .  
نكن ايد خاصه بتفسير الكتب يظهر من هذه العمالة تبحث التالي

791 يعرف كيف على حد بعيد في البحر حيث هو عاليت على طهريه من المثلثه لا متبع من  
السمو. وركوع لا ينفذ أو عن متحدث صفة النجمه بعير عن الإستماع عير ١١ عكره الأصميه  
هي اني عير صحن حدود بعينه ميره بكل صعب من صوف السمكه لا وفه انبب لار النسمكه

الحقيقية «معادية دوماً للسلطة» . فيما يخص الكالفينية ، تتجلى الفكرة الأصلية في المبدأ القائل بأن المسيح وحده هو الذي ينبغي أن يحكم الكنيسة . فيما يخص التقوية ، نذكر محاولة Spener تعليل العناوين التوراتية . أما النسكية الكاثوليكية فقد كسرت هذه المحاولة ، فيما يتعلق بكبار الكهنة ، بواسطة نذر الطاعة ، مؤولة الطاعة ذاتها كنسكية . إن «ارتداد» هذا المبدأ في النسكية البروتستانتية يؤسس تاريخياً الميزة الخاصة بالديموقراطية المعاصرة عند الشعوب المتأثرة بالطهرية ، وذلك بالتعارض مع ديموقراطية معروفة لدى الشعوب ذات «العقلية اللاتينية» ، كما يشكل هذا الارتداد أيضاً الخلفية التاريخية التي تقوم عليها المواقف غير المحترمة من جانب الأميركيين ، المواقف المسخطة جداً والمسلية جداً حسب وجهات نظر هؤلاء أو أولئك .

(180) من دون شك، لم يكن ذلك ينطبق، بالنسبة للمعمدانيين في البداية، إلا على العهد الجديد، بشكل أساسي ، وفي حدود دنيا على العهد القديم . وكانت العظة على قمة الجبل تتمتع بحظوة استثنائية ، لدى جميع الطوائف البروتستانتية ، بصفتها برنامجاً في الأخلاق والآداب الاجتماعية . (181) كان Schwenckfeld يعتبر تدبر الأسرار المقدسة في شكلها الخارجي بمثابة استخفاف لاهوتي، في حين أن المعمدانيين العموميين والمينونيين كانوا يتمسكون بدقة بالمعمودية وبالقربان، وهو ما كان المينونيون يضيفون إليه غسل الأرجل . من ناحية ثانية ، لقد دفع تحقير الأسرار المقدسة ، والطقوس فيما عدا القربان، (يمكن الكلام أيضاً، إلى جانب التحقير، على ارتياب) إلى حدود بعيدة على يد أتباع الجبرية . أنظر البحث اللاحق .

(182) حول هذه النقطة كانت الطوائف المعمدانية تستند في مراجعها إلى أقوال كالفن في : *Institutio Christiana* ، II ، III ، التي يمكن، دون أي شك، تقريبها من المذهب المعمداني *Barclay* ، *Apology for the True Christian Divinity*, London, 1701 . وقد وضعه بتودد في تصرفي *Eduard Berustein* . وكذلك فإن التمييز القديم بين شرف «كلام الله»، ما يوحيه الله للبطاركة والأنبياء والرسل من جهة، و«الكتاب المقدس» الذي يعتبر من هذا الوحي الجزء الذي يحيطه هؤلاء بالعناية ، من جهة أخرى . هذا التمييز موجود في التصور المعمداني للوحي ، مع أنه لا علاقة تاريخية بينهما . إن المذهب الميكانيكي في الإلهام، ومعه مرجعية الكالفينيين الدقيقة كانا نتاج تطور معين ، حصل في القرن السادس عشر ، ضمن اتجاه معين ، على الطريقة ذاتها التي كان فيها مذهب النور الداخلي لدى أصحابين نتيجة تطور في الاتجاه المعاكس . لقد كان هذا الفصل العميق، في هذه الحالة، وفي جزء منه، نتيجة المساجلات المستمرة .

(183) جرى تمييز ذلك تمييزاً شديداً ، في مواجهة بعض الميول لدى السوسينيين . إن العقل «الطبيعي» يجهل كل شيء عن الله . (Barclay ، م . ن ص 102) مما يدل على أن الدور الذي لعبته في أزمة أخرى الـ *lex natura* في البروتستانتية قد خضع للتعديل . لا يمكن ، من حيث المبدأ، أن يكون هنالك لا قاعدة عامة ولا قانون أخلاقي ، ذلك لأن المهنة ، على اختلاف صنوفها حسب الأفراد ، هي أمر مرسوم من الله من خلال الضمير . ليس علينا أن نفعل «الخير» بالمعنى العام للعقل «الطبيعي» ، بل علينا أن ننفذ إرادة الله كما صورها في قلبنا من خلال المسيحية أو كما تجسدت في الضمير . (Barclay ص ص 73 ، 78) . إن اللاعقلانية الأخلاقية ، التي تنجم عن التناقض

الضمير بين البد والخلق. سجن في هذه المبادئ الأساسية المتفق بها بالخلق والصالحين ما يقوم به الإنسان ضد إيمانه (دعوى) بيمينه قد يكون غير صحيح لا يقنعه الدمع ان هذا الأمر قد يكون مباحاً

كان من المسموح به ان هذه الاعلانية قد سمحت صلب هذه Barclay يرى ان البراءة التي هي الاخلاقية التي يسميها كل المسيحيين هي حدود التسامح الديني على صعيد مبادئه يد المعاصرون ان خلافه مشابه لاجل ان يكون النورين مع هذه الخصائص التي تعود اليهم وكل ما هو صالح في الكنيسة هو موضوع سند عبد الصالحية، هذا ما يشير إليه Spenser في مباحثه عدة مبادئ غير مسموحه الصالحين (Constitutional heologicale. 1 6. dist 2 N° 64) ان الرخوع عن القسم هو مفسد (في مقطع من انوار) يعني ان التحرر من العهد القديم لم يكن في الحقيقة موضوع معالاة بالنسبة للاخلاق، وذلك الاحادية لا يجب ان يصور العهد القديم وعامل الناس بشئ ما يجب ان يعمود به وهو العهد الذي يعتبره الصالحون خلاصه كل الاخلاق الميعة

84) يعني Barclay ضرورة الامر بهذه الامكانية هي الشكل التالي من دونه يجب ألا يكون هناك مكان معروف من الفديس يجب بمكر نعم ان بحر من السك واليأس الذي هو الان محالاً ان يقيه الحياة من مربيته Barclay م د ص 20

185) ان اختلافاً في الموضع ظل موجود بين سجن هذه الحياة عبر Baxter عر ذلك فائد ان العهد عبد الصالحية يوم على النفس، كما يور عن جنة في حين ان الصلوة عبد الكالفينيين ووكم هي مسيرة، والارح والتعلل من ان الملاحمة، «التي هي الصلوة» ص 76 إلا ان هذا التصريح في هذه الصلوة، وفي ذلك المرحلة لم يكر ذا قيمة عملية

86) نظر المقدار الرابع «Menno» و «Mennoiten» هو لمهم Cramer في المقاصد ينقص المعنى «Baptisten» انفسه بل الصفة ذلك ان موبه يجهز مثلاً مستو Hanserd Knollys Society الصلوة به دراسة تاريخ المعمدان

187) وهكذا يقول Barclay م د ص 404 «ان الأكل والشرب الكسب هي افعال طيبة، ويست وجده» وهي التي يمكن حقيقها من دوا دعوى وبانيه شامخة وذلك رد على الاعم اص (الوصفي المائل انه «كمي بعهد الصالحين ذلك» ان لم نذكر محبة الصلاة من دوا حركة روج هم غير الممكن ان ان يسمع الا من من حر دافع يعني خاص» انه بعد دلائل اليوم أهد ان يتفهم قراره مسودس الصالحية بمصالح بالاسلام من المومسات بعد حتى برود كانه بغير تكرير الداء بممكنة انه بعيد عن حموم العالم بضيف ان مثل هذه الملاحظات موجودة بالنسبة لدى طوائف حرة كالتيه وهذا من ناحية اخرى مؤثر على ان الصور الاخلاقية للمهية الرجولية كان له جذوره في سجنه صغره في الاسير، عن العالم، من منحه عليه

188) مرة أخرى حين عمد الى الملاحظات التي عرهم Edward Bernstein م د ص 100 ان هو ان هو في صعبه حري إلى الجدول الترميمي الخاص بحركة بطله المعمدية Kautsky المحدث الأول من (المؤلف ذاته) وهو نظريته في «التقويع الموقية» بشكل عام

(189) في موبه الامماني «نظريته المبادرة في الأعمال» (Chimagu) Veblen ان هذا المصطلح لا



ينتمي إلا إلى «الرأسمالية المبتدئة». لا شك أنه كان يوجد على الدوام «أناس متفوقون» في الاقتصاد ، كانوا كالمعاصرين «رؤساء صناعة» يقيمون ما وراء الخير والشر . وقد بقي هذا الشعار قائماً حتى أيامنا بالنسبة لشرائح واسعة من رجال الأعمال الرأسماليين .

(190) «حسن أن تكون في الأمور المدنية مثل الآخرين إنما في الدين يجب أن تكون أفضل منهم». هذا ما يقوله مثلاً Thomas Adams في : *works of the puritan Divines* (ص 138) . وهذا ما كان ينطوي على أهمية أكثر مما نظن . ذلك يعني أن النزاهة الطهرية تساوي الشرعية الشكلانية ، تماماً كما أن الاستقامة (وهو ما تحب الشعوب الطهرية أن تنادي به) فضيلة قومية ، هو أمر مختلف تمام الاختلاف عن الـ Ehrlichkeit الألمانية . حول هذا الموضوع نقرأ ملاحظات مناسبة في : Preubische XCH Jahrbücher (1903) ، ص 226 . أما الشكلانية الاستبطانية في الأخلاق الطهرية فهي ، من جهتها ، النتيجة المناسبة لعلاقتها بالقانون .

(191) نعود إلى ذلك في البحث المقبل .

(192) هنا يكمن سبب التأثير الاقتصادي العميق ، الذي مارسته الأقليات النسكية البروتستانتية ، وهو ما لا ينطبق على الكاثوليك .

(193) أن يكون الاختلاف في الأساس العقدي متساوياً مع اهتمام عميق «بالاختبار» فهذا ما يمكن تفسيره ، في التحليل الأخير ، بالميزة التاريخية الخاصة بالمسيحية عموماً ؛ ليس في وسعنا مناقشة ذلك الآن .

(194) «بما أن الله قد جمعنا لنكون من البشر» Barclay ، م . ن . ص 357 . استمعت بنفسني في Haverford College إلى عظة صاحبة كانت ما تزال تشدد بحماس على أن «القديسين» = المنفصلين .

## 1- المنكية والروح الرأسمالية

من أجل فهم العلاقات القائمة بين الأفكار الدينية لأساسية لدى البروتستانتية المنكية وبين القواعد مستخدمة في الحياة الاقتصادية البروتية من الضروري الرجوع إلى الكتابات اللاهوتية المتحدثة من مدارس الفلاسفة اليونانية حين كانت الحياة الأخيرة هي كل شيء. ويجب أن نذكر بوضوح الاجتماعي عند المسيحيين من عصر باقره بالفريديان، كان الوعي بمدى تأثير عن طريق الكهوت والظلم الكنسي والتبشير. وهو ما ليس في وسعنا نحن في العصور الحديثة، أن نكون هذه أسس فكرة إعلانات. وقد نقرأ حيفه على محذرات من *Consilia* و *aus consilio* إلخ يمكنه بنا أن نذكر أنه وقد سبقت بقوة الدينية في غربت عن دانيال في هذه المدارس في تكوين العقيدة البروتية.

سنحاول في هذا الفصل البروتستانتية المنكية نفسها كلاً وهو من يتم في الحالات اللاحقة بوقت الطهارة الإنكليزية المتحدثة من الإنكليزية لأساس المنصفي بمفهوم السحر Beruf، وهذا يصبح أحد مميزات البروتية في صلب هذا النقاش. وذلك استحضاراً مع مبدأ نيمر مرفق. يشترك في ذلك R. B. B. عن مؤلفات كتاب عهديين يهود الأهلوا الطهارة بكونها عمية وإفريقية وباسموية التي سمع بها ذلك، أنها ترجعت إلى تعاليم عنه وسبب مراتب عنه. فهو كالفيني مدافع عن العقيدة البروتية التي أقرها سيودوم ويستمنستر Westminster. لكنه أيضاً ساهم في مبدأ سأل الكثير من أصحاب العقيدة السجدة في عصره، بفضل تدريجياً عن المذهب الإنكليزي الصرف في طوره تدريجية. كان حصصه بعمية الاعتصام التي أقره كروويل (Cromwell) كما يحصل في كل الثورات ومعانيه بصوتهم والغديسيرة ومفاهيمهم، وكان موضوعياً في المنطق إلى حصصه، مفتاحاً حيات خصوصياتهم التدريجية كرمس باكس. وساسي من عمدة مسجداً عني صعيد المنفعة، الحياة الأخلاقية في الكنيسة وكان، من بين الرعايا الذين حفظ التاريخ أسماءهم راعي لأرمية الأكثر شهرة. وقد وضع خدمته بوي في بصره بحكومة البروتية بياته كروويل سم في ظل هذه المنكية التي نحى عن مبادئه في عهدنا بين البروتية المقدمه. يشكل كتابه *Christian Directory* الذي يوافق من ناحية العمية في عوالم الخلاصة الأكثر كتملاً بلاهوت الأخلاقي بتهري سفارو يمه ويس كتاب سبيير Spener عن التوبة الألمانية *Theologische Bedenken* وفي كتابنا كني Barclay عن الفصحير والممالي الأخرى بالأخلاق المنكية *Apology* غير أن سيوفه عنه هذا المحدث بسبب غيبى المجال.

قد سبقت كتابته *Christian Directory* و *Sumi Everlasting Rest* و سبب حرد أيضاً مماثلة بكتاب جريس فون بحد من الدين عناصر بروتية من العهد جديد. صمم منكه حول التوبة<sup>161</sup> وهو يمه المحصول غيبه فالروه، عادي بروه بشكل جرم فادح وهو مانيلا جده، والحب عنها<sup>162</sup> عمل حربي، نظر بلاهوت المقصود التي سبقت منكه الله، ولكننا من

كل شيء موضع شك من الناحية الأخلاقية . تبدو النسكية هنا أكثر وضوحاً وحزماً مما هي عليه عند كالفن ؛ فهي تتجه عند باكستر ضد كل صنوف التطلع إلى حياة الثروات الزمنية ، في حين أن كالفن لا يرى في الثروة عائقاً أمام نفوذ الاكليروس ، بل تنامياً ملحوظاً في مهابته ، كما أنها تتيح لأعضائه استثمار ثروتهم بشكل منتج ، شرط تحاشي الفضيحة . من الممكن أن نستخرج من الكتابات الطهرية العديد من الأمثلة ، عن اللعنات التي تلحق بمن يتعقب المال والثروات المادية ، الأمثلة التي تتعارض مع الكتابات الأخلاقية في نهاية العصر الوسيط ، والمعروفة بكونها أكثر تساهلاً بكثير .

هذه الشكوك هي من الأكثر جدية ؛ ينبغي النظر إليها عن قرب لإدراك معناها الأخلاقي الحقيقي ومستلزماته . ما هو مدان فعلاً من وجهة النظر الأخلاقية ، هو الطمأنينة أو الراحة في التملك<sup>(8)</sup> ، والتمتع بالثروة ونتائج ذلك : البطالة ، إغواءات الجسد ، ولا سيما الخشية من تحويل الجهد عن البحث عن حياة «مقدسة» . ولا يصبح التملك موضع شبهة إلا حين ينطوي على خطر الطمأنينة هذه . إن لراحة القديسين الأبدية ، في الحقيقة ، مكانها في الحياة الآخرة ؛ أما على الأرض فينبغي على الإنسان ، بغية تأمين خلاصه ، «أن يقوم بعمل الرب الذي بعث به إلى الأرض ، طيلة ما يدوم النهار» [Jean IX, 4] . لا البطالة ولا المتعة ، بل النشاط وحده هو الذي يخدم زيادة مجد الله ، تبعاً لتجليات إرادته الواضحة<sup>(9)</sup> .

إن تبديد الوقت هو إذن ، من حيث المبدأ ، أول وأخطر الخطايا . وحياتنا لا تدوم إلا لحظة قصيرة جداً و ثمينة ، وعليها أن تؤكد اختيارنا الخاص وقضاء الوقت بين الناس ، وتضييعه في «ثروات غير مجدية»<sup>(10)</sup> وفي الترف<sup>(11)</sup> ، بل وفي النوم ما يزيد عن حاجة الجسد<sup>(12)</sup> . بين ست وثمانى ساعات على الأكثر - هو أمر يستحق إدانة أخلاقية مطلقة<sup>(13)</sup> . لا يؤكّد ، على طريقة فرانكلين ، أن الوقت هو المال ، غير أن هذا الكلام في الحكمة الروحية المشابهة ، إذا جاز القول ، كلام صحيح . فالوقت ثمين ، ثمين جداً ، لأن كل ساعة تضيع إنما تختزل من العمل الذي يسهم في مجد الله<sup>(14)</sup> . وكذلك فإن التأمل غير الفاعل ، وهو بذاته عديم القيمة ، جدير بالذم والعقاب إذا تم على حساب العمل اليومي<sup>(15)</sup> ، لأن ذلك يرضي الله أقل مما يرضيه تنفيذ إرادته عملياً في مهنة أو شغل معين<sup>(16)</sup> . أليس يوم الأحد ، هنا في المقابل ، من أجل التأمل ؟ إن الذين يتباطئون في العمل هم ، في نظر باكستر ، الذين لا يجدون متسعاً من الوقت يخصصونه لله في الوقت المناسب<sup>(17)</sup> .

باختصار ، إن كتاب باكستر الأساسي مشبع بتبشير متواصل حماسي أحياناً بكد متواصل وشاق ، يدوياً كان هذا العمل أم فكرياً<sup>(18)</sup> . وتتضافر مقولتان هنا<sup>(19)</sup> . فقد أثبت العمل منذ زمن بعيد كونه وسيلة نسكية . وقد نوهت الكنيسة الغربية بذلك بشكل دائم<sup>(20)</sup> . وذلك بالتعارض ، ليس فقط مع الشرق ، بل مع جميع الأنظمة الرهبانية في العالم كله تقريباً<sup>(21)</sup> . فالعمل هو ، بشكل خاص ، الدواء النوعي الذي ينبغي استخدامه من باب الوقاية ضد كل الإغواءات التي جمعتها الطهرية في عبارة الحياة الفاسدة *unclean life* التي لا يستهان بدورها . ويختلف تعفف الطهري اختلافاً كمياً لا اختلافاً نوعياً أو مبدئياً ، عن العفة الرهبانية ؛ إستناداً ، في الواقع ، إلى التصور الطهري عن الحياة





على الفرد<sup>(31)</sup>. وقد ازداد وجوباً بمقدار ما كانت علاقات الورع اللوثرية مع العالم عموماً، ومنذ البداية، محددة بشكل خاطئ واستمرت كذلك. ليس من الممكن أبداً أن نستخرج من ترسانة الأفكار اللوثرية مبادئ لإصلاح العالم، لأنه ليس في وسع هذا العالم أن يتخلص، في هذه النقطة، من حياد بولسي. ولهذا السبب ينبغي قبول هذا العالم كما هو، وهذا وحده يمكن أن يوسم بسمه الواجب الديني.

غير أن التصور الطهري يرى أن الطبيعة السماوية التي تميز تطابق المصالح الاقتصادية الخاصة إنما تحتفظ ببعض الاختلاف البسيط. وفقاً للترسيمة الطهرية التي تتناول التأويل البراغماتي، فإن ثمار العمل هي التي تحدد الغاية الربانية من تقسيم العمل. وقد أفاض باكستر، في هذا الموضوع، بشروح تذكر مباشرة بالكلام الشهير الذي أطلقه آدم سميث تمجيداً لتقسيم العمل<sup>(32)</sup>. لأن تقسيم العمل يجعل من الممكن تطوير المهارة، والتخصص في العمل يؤدي إلى زيادة كمية ونوعية في الإنتاج وبالتالي إلى خدمة المصلحة العامة والثروة العامة المماثلة لثروة العدد الأكبر من الناس. ضمن هذه الحدود، فإن الدافع هو نفعي خالص، ويتوافق بدقة مع وجهات النظر السائدة لدى جزء من الكتابة العلمانية في ذلك العصر<sup>(33)</sup>.

غير أن عنصراً طهيراً يبرز بشكل واضح، حين يضع باكستر في أول نقاشه المنطوقة التالية: «لا يمكن للمرء أن يمضي بمهمته إلى نهاية ناجحة خارج مهنة مضمونة جدياً، لأن عمله يغدو غير ثابت وغير منتظم ويمضي فيه من الوقت على الكسل أكثر منه على الكد» والاستنتاج: «[...] إن العامل المتخصص ينجز عمله في انتظام، في حين يظل غيره في تشوش أبدي، ولا يعرف، من أجل كسب عيشه، لا راحة ولا استقراراً<sup>(34)</sup>»؛ ولهذا السبب فإن مهنة ثابتة هي أفضل ما يمكن لكل واحد. ويمثل العمل المؤقت، الذي يرغب العامل المياوم على قبوله، حالة وسيطة لا مفر منها على الأغلب، بين سائر الحالات المكروهة. وتتنافى حياة الإنسان، من دون مهنة مع الطبيعة الانتظامية المنهجية التي تتطلبها، كما رأينا، التقشف في الحياة.

تطرح أخلاق الصالحين، هي أيضاً، فكرة أن الحياة المهنية ينبغي أن تشكل، بالنسبة إلى الفرد، تمريناً على فضيلة التقشف، واختباراً، من خلال دور الضمير في المهنة، للخلاص الذي يفعل فعله في العناية النشيطة<sup>(35)</sup> والمنهج اللذين يتفرغ بهما الفرد لعمله. ما يأمر به الله ليس العمل بذاته، بل العمل العقلاني داخل المهنة. يجري التشديد دوماً، في التصور الطهري على الطبيعة المنهجية في النسكية الدنيوية وليس، كما هي الحال عند لوثر، على القبول بالنصيب الذي قطعه الله لكل واحد بشكل نهائي<sup>(36)</sup>.

ولهذا السبب كان الجواب بالإيجاب على مسألة ما إذا كانت أمراً محققاً مزاوله أكثر من مهنة، وذلك إذا كان الأمر لمصلحة الخير العام أو الخاص<sup>(37)</sup>، ومن غير أن يلحق الضرر بأي كان، وشريطة أن ندفع إلى الظهور في موقف لاشرعي في إحدى هذه المهن. ومن ناحية أخرى ليس تغيير المهنة في ذاته عملاً ذمياً، إذا لم يتم بشكل متسرع، بل بهدف تولي مهنة ترضي الله أكثر<sup>(38)</sup>، أي

حسب المبدأ العام، منه أكثر فائدة ونفعاً

إن فائدة منه ما والاستبحار الذي يوفيه الله بها، بقامان لديه وهذا صحيح، بعد  
مقاييس خلافه وبالتالي حسب أهمية التروايب التي يجلبها على الجماعة، وقوى ذلك وهذا  
المقياس الثالث هو الأكثر أهمية من الناحية العملية حسب نقائده لأقتصاديته التي يوفقها<sup>(14)</sup>  
ذلك إذ كان هذا الله الذي يرونه أنفسهم في العمل في كل ظروف الحياة، يقدم لأحد مصطلحيه  
فرصة للاستفادة، فهو يعمل ذلك قصد حير يظن المسيحي الصالح، عليه أن يجيب على هذا  
المدعى<sup>(15)</sup> "إذ عين الله لكم طريقاً ما فيكم كما كنتم أن تكسبوا شرعاً من خلالها" كث من مكسبوه من  
خلال غيره (وذلك من غير الحق) "لكن ما رواهكم ولا ما روح غيركم"، وإذا رغب الأكثر بعد  
وحررهم الطريق الأقل بعد فإنكم تتجاهلون إحدى عقائد النصارى الرباني ورفضون أن تكونوا أولياء  
الله وأن تعينوا حياته وأن سجدوا في سبيله إذ ما أمر بذلك؟ فهمو إن على أن تكونوا عبيده  
من أجل الله لا من أجل الجسد والخطيئة"

إذ يحجب الثروة بهدف انقياس لأحد في سعادته، ويهين عن الهموم، فإن السعادة —  
سوى عود بالنكس، ومنع ما من بالحياة وهي تصبح، على العكس لا بد من أخلاقها حسب  
حين تكون تقيها لإتمام الواجب المهني، إذ أمر مطوباً فعلاً<sup>(16)</sup> وهذا يعبر عنه من غير ما  
وصح خادم الطرود سبب حرره عن شدة موته التي عهد بها إليه الرعية نالهم وقد ذهب  
عنه خيرة ثباته، معاد الرغبة بفرص<sup>(17)</sup> وهذا ما هو مدان بصفه بصر من خلال العمل وسبباً  
لمجدد به النسوة، بشكل خاص من قبل امرئ قادر على ما أوله العمل، وصافه إلى كونه كسلاً  
مدمداً، هو أيضاً، حسب قول الرسوب، حتى لو أجب الحب حيال القريب<sup>(18)</sup> كذا، كما أن  
يبدأ المهنة المطلوبة قصد بالأهمية التي يربطها من وجهة البصر انسيكية، يشوه خلافه  
التي تخص الحديث في العمل فإن القليل الساموي محفوظ تكسب يمدوه حر لأعمال<sup>(19)</sup> إن  
الناسخ انمؤدب من جانب السيد والباقي من قبل حديث الممة هذا أمران مختلفان في نظر  
النسكية في المقائل به ما، كذا خلافه بمرجوازي العصامي الصور<sup>(20)</sup> وبارز الله رب  
بجاء ذلك وهذا هو الشعر الذي سجدته عنه في موضوع هو لا البس القاصدي<sup>(21)</sup> الذي تجم  
سجاح لتسلي لإخيه عن جبروت الله في العهد القديم، وهو يحري تقوى سبعة<sup>(22)</sup> في هذا  
حيف، عنه بالضرورة أن يمارس تأثير مماثلاً على الطرقي الذي يقيم خلافه حسب نصيحه  
بأكسر مناه إلى خلاص الأهل النوراني<sup>(23)</sup> ويؤول، بناء على ذلك، كلام التوراة وكسود في  
فانوبه

بالتأكيد، لا ينفو هذا الكلام، في ذاته من الموصى فقد أيا أن نوثر مستخدم في الله به  
مفهوم الإلهام الرباني بالمعنى الديوري لكي يترجم مقطعاً من يسوع Ben Sira<sup>(24)</sup> عن ابن سير  
الاستهلاية فإن كتاب بن سير Ben Sira<sup>(25)</sup> يسمى كذا إذ ينظر إلى الجو الذي يعيشه من عناصر  
من العهد القديم بما في ذلك الانجيل المحدث الذي يوفق في وجهه بتأنيده من المنصب بنظر  
أله هذا الكتاب ما يزال يصح في الحديث، حتى أياماً، محفوظاً خاصة لدى الملاحير الديوريين



كما أن التأثير اللوثرى في تيارات واسعة من التقوية الألمانية يتجلى في هذا الإيثار لكتاب Ben Sira<sup>(52)</sup>.

يرفض الطهريون الأناجيل المختلفة بصفاتها [كتباً] غير مستلهمة، منسجمين في ذلك مع المصالحة غير الممكنة بين الأشياء الربانية وأشياء الخلق<sup>(53)</sup>. من هنا، على العكس، شهرة كتاب Job بين الكنسيين، وهو الكتاب الذي يضم تمجيذاً عظيماً لله جل جلاله، وإلى اليقين الذي به بارك الرب خلقه أيضاً في هذه الحياة. على أن هذا التمجيد لا يمت بصلة إلى الظرف الإنساني، بل هو قريب جداً من التصورات الكالفينية، في حين أن اليقين هذا يعود فيتفجر من جديد في نهاية الكتاب الثانوي بالنسبة إلى كالفن إنما ذي الأهمية الأكيدة بالنسبة إلى الطهرية. فالله يبارك خلقه بهذا اليقين، حتى على الصعيد المادي، وذلك عند Job فقط<sup>(54)</sup>. وقد أفرغت الطمأنينة الشرقية، الواضحة جداً في عدد من أكثر الآيات تعبيراً من المزامير والحكم، إفراغاً كلياً من معناها. ولم يتصرف باكستر بطريقة مغايرة مع الاختلاف التقليدي في مقطع الرسالة التقوية الأولى إلى الكورنثيين<sup>(\*)</sup>، وهو المقطع المهم بالنسبة لمفهوم الشغل.

ويجري التشديد بحدة أكثر على مقاطع من العهد القديم تمجد بالشرعية الشكلية، كمؤشر على السلوك المرُضي لله. ويجري تبني النظرية التي بموجبها لم تكن الشريعة الموسوية قد جُردت سلطتها من قبل المسيحية إلا ضمن الحدود التي تنطوي فيها على تعليمات احتفالية أو تاريخية صرف مكرسة للشعب اليهودي؛ يبقى أن صلاحيتها كتعبير عن القانون الطبيعي تظل كاملة، وينبغي أن يحافظ عليها<sup>(55)</sup>، وهو ما يتيح إزالة التعليمات والأنظمة التي لا تتوافق مع الحياة الحديثة، مع إبقاء حرية الاختيار لتعزيز روح التبرير الذاتي والشرعية الصبورة الخاصتين بهذا الشكل من البروتستانتية، وذلك بفضل السمات العديدة التي تقربها من أخلاقية العهد القديم<sup>(56)</sup>.

وكذلك فإن كتاباً عديدين، معاصرين أو معاصرين جداً، يتحدثون عن عبرانية إنكليزية<sup>(57)</sup>. وذلك لكي يميزوا التأثير الأساسي للأخلاق الطهرية لا سيما في إنكلترا. إلا أنه لا ينبغي التفكير باليهودية الفلسطينية في تلك الفترة حيث وضعت نصوص العهد القديم، بل باليهودية كما صارت شيئاً فشيئاً، بعد عصور من التربية الشكلانية، الشرعوية والتلمودية، وكذلك من الضروري اتخاذ جانب الحذر الشديد أمام مثل هذه المقارنة. كانت روح اليهودية الأصلية، التي تميل إلى تقويم ساذج للحياة كما تكون الحياة، مجردة من الخصائص الخاصة بالطهرية. وكذلك كانت بعيدة جداً - ومن المفيد عدم تناسي ذلك - عن الأخلاق الاقتصادية في اليهودية القروسطية والحديثة، وعن المميزات التي حددت مواقع اليهودية ومواقع الطهرية في مجرى تطور التقاليد الرأسمالية. لقد وقفت اليهودية إلى جانب الرأسمالية «المغامرة» متجهة نحو السياسة والمضاربة. وبكلمة واحدة، كانت تقاليدها هي تقاليد الرأسمالية المنبوذة؛ أما الطهرية فقد تبنت تقاليد المشروع البرجوازي العقلاني والتنظيم

(\*) نسبة إلى كورنثا Corinthe إحدى المدن اليونانية القديمة.

العقلاني يحصل ويتم نقبتر من لأخلاق يهودية لا د يمكن ان يساعدنا

ب. محيل السالاج التي ادب انبها عمليه. شباغ الحياه بمعاني من العهد القديم حوال عقديه  
الأفراد هو عقديه جديده، إلا أن حد حتى انبوم سم يوصل إلى حياه، وما في ديف  
يهودية<sup>١٨</sup> وم المستحيل معالجها صمد قد تعرض الموحج يعني ان يضاف إلى علاقات  
المشار إليها. وقد مهم عقديه الطهرين ان لا يمان بالسحب المختار قد أدى عددهم إلى بعصه  
عريبه<sup>١٩</sup> حتى ما كسر الطيف د به بذكر انبه لأنه حلقه في إنكلتر صمد إنكبه تحطيه وبع  
حارج حد يبد حد حرقان بحصيل إله الكمال الحاصل، وهو من تأثير البعده لإلهيه، أنو في  
مواقف الطهرية انبه حوار<sup>٢٠</sup> وحيد التصحيح الشكلياني وواوه الطبعه، وعد ما هو خاص  
بمفلي عصر الرأسماليه الطوطي حد

بحاول الان ان يوضح حوال في يعاط بكم التصو. الصوري عمر البعده، ومبروره البد  
انسكي، من ان يور على نفور بطل الحياه راسمانيه تأثير مباشر ريبا ان هذه السكيه حد  
وقد بكن موب، حد المتع السادج بانو وجود صمد كل مجال الفرح التي يمكن ان يوردها سجنى  
هذه الميره من دون شبا، بالشكل لأوضح في النص ع صد كتف الرياضه<sup>٢١</sup> الذي حمر ع به  
حالا لا ولا وسرا لاوا، بيهد معنى هو محليه الصهره والذي يعيب الاوامر بمرءه فرق كل  
المبار حيو كات الطهرية بحداه بحداه الاوامر صديقه التي حذات بحداه صمد اسكال الدهو  
الأخاديه حارج وقاب ابو صمد الديني في الكنيس سم يكن الطهريون يصرور صمد اسوس  
الوحيد المتعلق بعطه المسجد بل قدمو ايضا صمد عمليه لإلهيه الذي احدثه حد انشوب، على  
سكن أفكار صحر، في حياه انديس المنظمه وعصم حد انمب بعقوبات فاميه صمد كل  
بهم على مرعيه هذه «الرياضات» كان هذه عظيم حد الميل انسكي المعادي لتسلطه  
شككه من حظر على الدوله كان المجموع لغوصوي و«قضاءي» بجمي «أولئك الذين يريدون  
يدهو» صمد الأخلاق اليرحو به تبينه وصد «جميع انسكيه المعاديه بصفه على الطريقه  
بعصم التي بتم فيه المجموع انبه جوري اليوم بحداه «الذين يريدون ان بصفو» صمد الاخلاق  
الطبعه والتعديبات المعاديه لتسلطه

ما الصهريون من جهنهم فكانو يمسكون بصفهم الميره أي بصد' السوك انسكي  
من ناحيه أخرى سم يكن نفو الطهرين وحتى الصاحبين أنفسهم من الرياضه محرد بقور  
ميدني دند' أن الرياضه بكون مقبوه إن كات في خدمه هدف عقلاني، أي إن كات مسكل إن حه  
صمرى لا سور، حندي حيد في سغانل فكون الرياضه موصيه مسيه بكونها توب الخيار صحر  
وعقوبه بمرائر الموحصه، وقد، إنأكيد ما يعني إراته بباحه إن ما بحوال إلى وسيله ديو  
إن ما بفظ عرو. الكنده والمرائر الوحصيه واننده تلاعلايه لمراده : صمد ب الوجود  
العائريه، دانه ب. بحدت شكليه من شكل رياضه الساده او سكر انفص و حلافي والحانات  
بحافه الضحك، فهي لا بحد انمره صر الساط المهي أقل من بحداه ربه على التوفى دند انبه

بمثابة العدو للنسكية العقلانية<sup>(62)</sup>.

بالنتيجة، إن مواقف الطهريين هي، بشكل عام، حذرة، وغالباً ما كانت معادية للثروات التي تنتجها حضارات ليس لها بعد ديني. لا لأن المثال الأعلى عند الطهري يتطلب بعض الحذقة، وشيئاً من احتقار الثقافة. فالعكس هو الصحيح، على الأقل بالنسبة إلى العلم، باستثناء علم الكلام الممقوت. فقد كان أفضل ممثلي الطهرية غارقين في ثقافة عصر النهضة. كما كانت مواعظ الجناح الكالفيني من الحركة تفيض بالتلميحات الكلاسيكية<sup>(63)</sup>، ومع أن أنصار الجناح المتطرف قد صدموا بذلك، فإنهم لم يكرهوا الظهور في مظهر البحثة في السجلات اللاهوتية. ولم يكن هناك بلد أكثر غنى بالجامعيين من أنكلترا الجديدة في صفوف الأجيال الأولى. إن هجاء خصومهم، من أمثال الـ Hudibras لباطلر Butler، يتعرض قبل كل شيء لادعاء الطهريين ولجدلهم الصارم؛ ذلك ناجم جزئياً عن تقويمهم الديني للمعرفة، التي هي بدورها نتيجة موقفهم من مفهوم الإيمان الضمني عند الكاثوليك.

يختلف الأمر اختلافاً جدياً، حين ننظر إلى الكتابات غير العلمية<sup>(64)</sup>، ويزداد اختلافاً أيضاً مع الفنون الجميلة. هنا تنتشر النسكية كغطاء من جليد على «أنكلترا القديمة السعيدة». لم تكن الملذات الدنيوية هي وحدها التي تعرضت للهجوم. فقد انصب الحقد الشديد من جانب الطهريين على كل ما يمت بصلة إلى المعتقدات الباطلة والخرافات، وعلى أي تلميح إلى الخلاص السحري أو السري، وكان هذا الحقد يتجلى، في مناسبات عيد الميلاد والاحتفالات المسيحية، ضد الفنون الدينية العفوية<sup>(65)</sup>. أما أن يبقى في هولندا مجال لتطور فن رفيع، وللواقعية التي غالباً ما تعاظمت خارج هولندا<sup>(66)</sup>، فهذا ما يثبت ببساطة أن تأثير الانتظام الأخلاقي السلطوي، في هذا المجال، وداخل هذا البلد، كان قد أزيل مفعوله، لا بسبب نفوذ البلاط والمصرفيين فحسب، بل أيضاً بفعل هموم الحياة لدى البرجوازيين الصغار المستثمرين، وذلك بعد أن انهارت سيطرة التيقراطية الكالفينية القصيرة وانحدرت إلى كنيسة تافهة تابعة للدولة، فقدت الكالفينية عندئذ جزءاً من تأثيرها النسكي<sup>(67)</sup>.

كان المسرح، في نظر الطهريين مداناً<sup>(68)</sup>، ولم يتوقف التصور الأكثر جذرية عند حدود إزالة العري والإثارة الجنسية من المشاهد المقبولة: كلام فارغ، حشو<sup>(69)</sup>، غرور فارغ: هذه الكلمات تعني موقفاً لا عقلانياً، لا طائل تحته، ذا منطلق غير نسكي ولا يخدم، فوق ذلك، مجد الله، بل يخدم مجد الإنسان؛ إنها كلمات تُستحضر بسرعة لإدانة كل اهتمام فني، وللحكم على منفعةه بالتفاهة. ويسري هذا الحكم على أشكال الزينة والثياب<sup>(70)</sup>. كان هذا الميل الشديد إلى توحيد نمط الحياة، وهو الذي يتجلى في أيامنا في مصلحة الرأسمالية في توحيد نمط السلع المنتجة<sup>(71)</sup>، كان يجد أساسه المثالي في رفض عبادة المخلوق<sup>(72)</sup>.

ينبغي، بالتأكيد، ألا ننسى أن الطهرية تخفي في داخلها عالماً من التناقضات، وأن الشعور الغريزي بعظمة الفن اللازمية كان أكثر حدة، بالتأكيد، في صفوف قادتها مما هو بين «الخيالة»<sup>(73)</sup>.



كما لا يحل أن يفعل جميعه ان يوفيه مثل رمبراند Rembrandt الذي لم يكن معه حياته ينحصر إلى الخلاص في مصر إلى الظهيرة. ثم تأثر إنتاجه الفني تأثراً حقيقياً بالوسط المنحصر الذي يعيش في طقه<sup>٦٤</sup> إلا أن ذلك لا يعبر شيئاً في اتساحه العامه لأنه إذ كان يقصر الخرج الظهري بمكانه<sup>٦٥</sup> يوفيه<sup>٦٦</sup> في أدنى حيز إلى سيطرة عميق لمحتصيه فإن ذلك لم يالدرجه الأولى. ثم جسد الإنتاج أدبي يخلو الإحيا! اللاصفه هي التي عليها ان يقف مر ذلك

من ذلك النحج مصبف في نفس مبادئ تأثير الظهوره في محتلف هذه الاتجاهات، يذكر ان هنالك دور حدود و صحه، لإمكانية فيه اللذه القائمه على ثروب محصوره الثروب هي ساعه في المنحه<sup>٦٧</sup> فيه او ارياصيه هذه اللذه ينبغي ألا نكلف شي<sup>٦٨</sup> - إنسان سوى مدوي ثروب التي أنعم الله بها عليه على غير حاده العد<sup>٦٩</sup>، عليه ان يحسد حساب أي من يملكه<sup>٧٠</sup>، ويعود محذور بالمحاضر شديد أي قرش على أمر لا يهدف إلى خدمه مجد الله، بل إلى مبعه محتصيه<sup>٧١</sup> معه حكم عاقله<sup>٧٢</sup> إلا جد في يامه أيف من يدافع عن هذه النصوص<sup>٧٣</sup> إلى الفكره القائمه ان على الإكس<sup>٧٤</sup> ومحتص<sup>٧٥</sup> في الثروب التي أنعم عليه بها<sup>٧٦</sup> التي يحتص بها كمدير مطبخ<sup>٧٧</sup> او بالآخرى كحاله ككسه<sup>٧٨</sup>، هذه الفكره سوء تفهده على الحياه فتجدها كما يقصدها محتصيه<sup>٧٩</sup>، كما عد مذهب الشعو بالسوويه حباله<sup>٨٠</sup> إذ منحصى السور سسكي على التجريه و مرفهاً أيضاً وحب عدم المسامر بها من أجل مجد الله ومضاعفها [إذ كان ذلك ممكناً] من خلال عدم منحصر من كثير من عناصر روح الرأسماليه الحديثه يعود مصدر ربط الحياه<sup>٨١</sup> في العديد من حدود<sup>٨٢</sup> إلى المعصر انوسيط<sup>٨٣</sup> غير انه لم يجد مبداه لأخلاقي المنطقي لا في الأخلاق البروسانيه سسكيه<sup>٨٤</sup> فتأثيره على ظهور برأسماليه امر عديهي<sup>٨٥</sup>

سحبها لما فيها من الآلا سعاد من السكيه البروسانيه<sup>٨٦</sup> التي تعاد من تأثير هي حياه اديب<sup>٨٧</sup> تعاد من حاد مع التمتع<sup>٨٨</sup> "مفوي دائره<sup>٨٩</sup> ويكبح الاستهلاك<sup>٩٠</sup> لا سيما في مجال لأسياء الكماليه وهي المعدل<sup>٩١</sup> يكس من مضموني البسجولوجي في نهضه<sup>٩٢</sup> الرغبه بالكسب من كون الأخلاق العتيده<sup>٩٣</sup> كم انها تقطع السلاسل التي عي<sup>٩٤</sup> مل هذا الميل إلى الكسب لا تضرب عد الميل محسد<sup>٩٥</sup> ويك أيضاً كما من وعده<sup>٩٦</sup> بالنظر إليه كمن يرده الله<sup>٩٧</sup> وكما يدعو ماركلي مر عيبد<sup>٩٨</sup> وهم كبير مناصحين الصالحين<sup>٩٩</sup> وبالتالي مع الظهري<sup>١٠٠</sup> إن انصرح ضد عده<sup>١٠١</sup> الجسد<sup>١٠٢</sup> والتبنيه<sup>١٠٣</sup> بشر<sup>١٠٤</sup> الخارجيه لا ينفذه<sup>١٠٥</sup> الكسب العملاي بل استخدام الأملاك استخداماً لأخلاقي

يعني هذا جوع من استخدام قبل كل شيء<sup>١٠٦</sup> بتقدير لأسكال الكماليه بحليه<sup>١٠٧</sup> عد به نهضته عبادته<sup>١٠٨</sup> محتصيه<sup>١٠٩</sup> ومهما يدب هذه لأسكال<sup>١١٠</sup> طبيعيه امام الخسر<sup>١١١</sup> إقطاعي فإن لاستخدام<sup>١١٢</sup> العملاي<sup>١١٣</sup> النفعي ثروب هو ما اراده<sup>١١٤</sup> به من حل حاجات الفرد والجماعه ليس النصف<sup>١١٥</sup> من باقي مريضه على الملاك<sup>١١٦</sup> من استخدام بروهم<sup>١١٧</sup> لهايات ضروريه ونافعه<sup>١١٨</sup> ويشمل فكره<sup>١١٩</sup> والرفاهيه<sup>١٢٠</sup> بشكل معين<sup>١٢١</sup> مجال الاستهلاك<sup>١٢٢</sup> المستوح به<sup>١٢٣</sup> خلافي<sup>١٢٤</sup> وليس صيده<sup>١٢٥</sup> بالنأكيد

إذا كان نمط الحياة المرتبط بهذه الفكرة قد ظهر بالدرجة الأولى ، وبوضوح مميز ، عند الصاحبين ، أكثر ممثلي هذا الموقف إزاء الحياة تماسكاً منطقيًا . في مواجهة المظاهر البراقة والكاذبة من البذخ الفروسي الذي يختار ، على قاعدة اقتصادية متزعزعة ، المظاهر الخارجية من أناقة أبلتها البساطة المتحفظة ، اختار هؤلاء مثالهم الأعلى : الرفاهية الواضحة والصلبة في «البيت» البرجوازي<sup>(82)</sup> .

تقاتل النسكية ، على أرضية إنتاج الثروات الخاصة ، عدم الاستقامة والطمع الغريزي . وتدين تعقب الثروة لذاتها باعتبار ذلك طمعاً وعبادة للذهب ، الخ . . . ، لأن الثروة لذاتها هي إغواء . إلا أن النسكية هنا هي القوة التي تريد الخير دوماً ولا تصنع سوى الشر [غوته ، فاوست ، 1336] هذا الشر المتمثل بالنسبة لها بالثروة وإغوائاتها . والحقيقة أنه بالتوافق مع العهد القديم وبالتماثل مع التقويم الأخلاقي للأعمال الصالحة ، ترى النسكية أن ذروة الكراهة هي في تعقب الثروة باعتبارها غاية في ذاتها ، وتعتبر ، في الوقت نفسه ، بمثابة الدليل على البركة الربانية ، الثروة كثمرة للعمل المهني . والأهم من ذلك أيضاً أن التقويم الديني الذي يتناول عملاً متواصلاً ، لا يتوقف ، منهجياً ، بل يتم في إطار مهنة دنيوية ، بصفته الوسيلة النسكية الأرقى ، وفي الوقت ذاته بصفته أكثر الأدلة تأكيداً وبدئية على التجدد والإيمان الأصلي ، أمكن لهذا التقويم أن يشكل الرافعة الأكثر فعالية ، التي يمكن تصورها ، والأكثر قدرة على نشر هذا التصور عن الحياة ، التصور الذي أسميناه هنا روح الرأسمالية<sup>(83)</sup> .

إذا اجتمع مثل هذا الكابح للاستهلاك مع مثل هذا السعي المستमित وراء الربح ، فإن النتيجة العملية هي بالتأكيد : تكون الرأسمالية عن طريق الادخار النسكي القسري<sup>(84)</sup> . من الواضح أن العوائق التي تعرقل استهلاك الثروات المكتسبة تسهل استخدامها بطريقة منتجة كرأسمال صالح للاستثمار . هل ينبغي أن نضيف أن قوة واقع من هذا النوع تفلت من أي تقويم دقيق ؟ فالعلاقة في انكلترا الجديدة هي من الوضوح والدقة بحيث إنها لم تفلت من ملاحظة مؤرخ ذي نظر ثاقب من أمثال دويل<sup>(85)</sup> Doyle . أما في هولندا ، البلد الذي لم يخضع لكالفينية صارمة إلا خلال سنوات سبع ، فالبساطة المطلقة في العادات ، في الأوساط الأكثر تدنياً ، البساطة الموجودة جنباً إلى جنب مع تملك ثروات هائلة ، تجعل الميل إلى تكديس الرأسمال يتجاوز الحدود<sup>(86)</sup> .

في المقابل إذا كان الميل إلى «تشريف» الثروات البرجوازية موجوداً في كل زمان ومكان - وفي أيامنا أيضاً في ألمانيا - فمن المهم أن نسجل أنه كان معرقلاً بوضوح بالنفور الطهري من نمط الوجود الإقطاعي . ولقد عزا مؤلفون مركاتيليون إنكليزيون ، في القرن السابع عشر ، تفوق الرأسمال الهولندي على الرأسمال البريطاني ، إلى حقيقة أن الثروات المكتسبة حديثاً لا تسعى بشكل أوتوماتيكي لأن تستثمر في الأراضي . ذلك أن المسألة لا تعني فقط شراء الأرض ، بل تعني ، بعد ذلك ، البحث عن التشريف ، عبر الانتقال إلى نمط حياة إقطاعي ، حارمة بذلك الرأسمال من إمكانات الاستثمار الرأسمالي<sup>(87)</sup> . فالتقدير الرخيخ الذي يكنه الطهريون للزراعة ، باعتبارها فرعاً من فروع النشاط ذا أهمية خاصة ، ومتناسقاً مع التقوى ، لا ينطبق على (أنظر باكستر) المالك ، بل على الفلاح والمزارع ، وفيما يتعلق بالقرن الثامن عشر ، لا ينطبق على النبيل الريفي بل على المزارع

«العقلائي»<sup>(38)</sup> منذ القرن سابع عشر والمجتمع الإنكليزي بسببه صرح عن مطالب الاصل الذي يمثلونكثير القديمة السعيدة ويرى اوساط ظهره ذات يعود اجتماعي مسوح جدا<sup>(39)</sup> وفي ايام هذا سحر الضيعة انموذية الإنكليزية يعبر من جهة . حانه في تعيش صادقة وفرة ومن جهة اخرى انفساط دائي صارم مني على المحافظة وعلى النظام الاخلاقي التقديدي<sup>(40)</sup> كذلك فإن تاريخ الأيام الأولى من مستعمرات اميركا الشمالية يسير بتأقصر عميق بين المعاصرين الرعبيين وبما مزارع متصل به عمدته متعاقلة، ودين لكي يعيشو على طريقه الأمية الإقطاعية، وبين الظهوريين الذين كانوا يسمون بعقيدة برحوازية شكل خاص<sup>(41)</sup>

يمكن القول انه اذا كانت الرفعة التي انشأ عليها يعود انفساط نظهرتي عن الوجود ومصلحت أهليه ذبح عن مجرد سجميع التراكم الرأسمالي . فإذ قد تصور قد سهل الميل إلى حياة برحوازية أكثر عقلانية من ابحية لاقتصادية، غير أنه لم يكن التعامل الاكبر أهليه، ولا العانس الوحيد المنظمي له، باختصار قد سهر على تربية لإسناد الاقتصادي الحديث

كذلك هذه التمثل تعبئاً فيأله بلا سدا . والظهوريون يجهلون ذلك أقل من غيرهم إلى الاستسلام أمام صمط أقوى من حاد عوالت التردد . وكان من الطبيعي ان يوجد انكم تباع الروح الظهرية اصبديه في صفوف الطبقات الصاعدة<sup>(42)</sup> من البرجوازية الصغرى والعمدة رعي، في حير ان المالكين السعداء من بين انصاحير كانوا مهيبين لإذكار المثل العليا القديمة . وهذه الجمية بالذات كان يصطدم من غير انقطاع ملاحقهم في سسكية كهذا انفساط الوسيط

في هذه الحالة لأخيره، ما إن أحدث الاقتصاد العقلاني كامس تأثيره من خلال التنظيم الديني للحياة ويحدد لاستهلاك، حتى عادت الثروة المبركة مباشرة إلى طبقة السلا . كما حصل في عصر الذي سبب انشقاو الكبة الرومانية او امها حيث يهدد بتدمير النظام الرهباني ، وعد اي واحد من امكالات والإصلاح الديني أمر ضروريا غير ان تاريخ التمسكيات الرومية بأكمته هو ممس ما تاريخ صراع لا يسهي ضد مقهور انفساط على صعيد عمليه الديوه او الثرمين

هذا انكم على صعيد كم بكتي يصف مسائله السكية العنصرية النيوية عند انتقريه فانفساط اندييه ، التي حصدت الميودية بمثلها من بسوه الصداحة الإنكليزية، حوالى نهاية ثمر النامر علم يمكن ان يصادف ديني رهباني هائلت مقطع<sup>(43)</sup> وضعه حوب ويسطي بالذ . يمكن ان يصبح كحلاصه لكل ما قضا على الان يسبي هذه انفساط التي أي حده كان فانه هذه الحوادث سسكية يعهمور العلاقات المتناقضة صغريه ، التي بناويناها هذا بالوصف، ودين . بالاتحاد بالته الذي يحدثه عن<sup>(44)</sup> يقول النص

نعنى أن بضمه يد الدين سبب حبه تكتاثر الثروات استناداً إلى طيحه الأشياء لا اري كيف يمكن ان يكون ممكنا أن نضر طويلا حركة ايجاد ديني لأن الدين يتغير بالضرورة ان يتبع صناعه ورحله وكل منبه بدوره، يولد الثروة غير أنه حين نمو الثروة يمو معها، بالتسوية حسدهم الرهي عرف وحبه



خيال الحياة بجميع أشكالها. مع أن شجرة غار خضراء تزهر في هذه الساعة، فكيف يمكن للميتودية، وهي ديانة القلب، أن تدوم على هذه الحال؟ لأنه أياً كان الموقع الذي وجد فيه الميتوديون، فقد كانوا فيه قادة وزهاداً؛ وبالتالي فإن ثرواتهم قد ازدادت. ومن هنا أيضاً يأتي نمو مستوى الزهو نفسه، في النزق وفي الشبق وفي الفطرسية. وهكذا، وإن دام شكل الدين، فإن روحه تضمحل بسرعة. ألا توجد وسيلة تُخطر بذلك، وتعرقل هذا الانحطاط المتواصل الذي يصيب الدين الحقيقي؟ ألا نمنع الناس من أن يكونوا زهاداً ومثابرين. فلنبحث جميع المسيحيين على تحصيل وعلى إدخار ما يشتهون، أي بعبارة أخرى، على الإثراء.

ثم يلي ذلك عظة تطلب من الذين «يكسبون ما يمكنهم كسبه ويدخرون ما يمكنهم إدخاره، أن يعطوا» أيضاً «كل ما يمكنهم اعطاؤه»، بغية تحصنهم في الخلاص وتجميعهم ثروة في السماء. ونرى أن ويسلي يعبر بأدق التفاصيل عن العلاقات التي سلطنا عليها الضوء<sup>(96)</sup>.

وهكذا فإن هذه الحركات الدينية الكبيرة، التي تعود أهميتها في التطور الاقتصادي إلى تأثير نزعاتها النسكية على الصعيد التربوي، لم تمارس بشكل عام تأثيرها الكامل على الاقتصاد، إلا حين وقعت من جديد موجة الحماس الديني. بدأت حدة البحث عن مملكة الله بالانحلال تدريجياً في الفضيلة المهنية الباهتة، وأخذ الجذر الديني يزوي مخلياً الساحة للعلمنة الدنيوية النفعية. وفي هذه اللحظة ظهر - حسب عبارات دويدن Dowden - في المخيلة الشعبية «روبينسن كروزو»، الإنسان الاقتصادي المعزول الذي يلاحق عمله التبشيري خارج السوق<sup>(97)</sup>. فاستبدلت صورة «الحج» بانيان Banyan الذي يجتاز سريعاً «معرض الأباطيل» بالبحث الروحي المنفرد عن مملكة السماوات.

وعندما انتهى فيما بعد المبدأ «اعمل لدنياك كما لآخرتك» إلى فرض سيطرته - وقد أشار دويدن إلى ذلك - اقتصر الضمير الحي على أن يصير إحدى وسائل التمتع بحياة برجوازية مريحة، كما يعبر عن ذلك تعبيراً جميلاً المثل الألماني حول «الوسادة الرخوة». إن ما أورثه القرن السابع عشر، العصر الحي جداً على الصعيد الديني، إلى وريثه النفعوي، القرن اللاحق، هو بالضبط ضمير حي مدهش، بل حتى فريسي، فيما يتعلق بتحصيل المال، وذلك في الحدود التي يتم فيها تحصيله عبر السبل المشروعة، وزال كل أثر لمحاولة إرضاء الله<sup>(98)</sup>.

لقد ولدت عادة برجوازية بشكل خاص فيما يتعلق بالعمل. بإمكان المقاول البرجوازي، واعياً لكونه يتمتع بنعمة الله، وبكونه مخلوقاً مباركاً، أن يسهر على مصالحه المالية، طالما بقي ضمن حدود السلوك الصحيح شكلياً، وطالما ظل سلوكه الأخلاقي غير مدان، وطالما استمر استخدامه للثروات غير نافر في شيء. أكثر من ذلك، يكمن واجبه في أن يتصرف على هذه الطريقة. وفي المقابل كانت النسكية الدينية النافذة تستخدم عمالاً صبورين واعين استثنائيين، يشكلون جزءاً من مهمة تُعتبر بمثابة غاية يريدونها الله<sup>(99)</sup>.

وأخيراً فإن هذه النسكية تقدم لهذا العامل الضمانة المطمئنة بأن توزيع الثروات غير

المساوي في هذا العالم يستوجب الأمر خاص صادر عن العباد لإلهيه. يتبع المسيحية مع هذه العوارض كما مع العمة العاصية الأهداف الحقة من أجلنا<sup>١١١</sup> ألم يكن كأنه بالذات هو الذي سر الرعم للقاتل بأن الشعب أي كتلة الجمال بالحرفيين. لا يبقى ضمن طاعته دة إلا بتقدير ما يبقى عار في نفس<sup>١١٢</sup> وهي للعكة التي ديوها اليهوديو يبرر دو لاكو. وأحروب إلى الحد الذي استبطو منه أن الجمهور لا عهد إلا برفعته الصروة إلى سلف وقد انتهت صباعه حد سفا: اب الاتصاف الراسمالي يبرر. يبار النظره العائنه والتخيه. أ جو سحقفه وقد ايض ظهور واسمر التأويل. معني. مبالغة وهن الجدر المبني. وذلك حب مرمية التي لم يفسح عن ملاحظتها

م تذكر حلاق العصر الوسيط قد رُ. اب السور فحسب. بل حث بمحده بوصوح في محميات البحرية وجميعات التصرف كما يعامل مع المسير غير المتدين. معينه ياهم وحاله مشروعه. لار المسوير عموم كماو يوف. ب. بمانكين حربه بقديم الصدفات وبالتالي القيام بأعمال صاعه. في كان موفر. لأحلاق الاجتماعية الأنكبيكية. في من المسو بين<sup>١١٣</sup> Sturges قريب جد من هذا الموقف. وكذلك المسيحية الشهيرة هي البرجندة التي ساهمت بهذا التشريع الإبحري. فمسي مساعده صعد. وهن الشريح الذي حدث بديم حدر. في بحسب نقد مكن دة. لا المسو كان في سوافه فلهذا يد. هو ثل. ال. وسامية والنظرة تظهره<sup>١١٤</sup>

من ناحية أخرى كتاب الشفرة مثلا. جابر هاسو. في. عظم الفاس المستقيم. ولاسي على الطموح إلى الكسب. ويعم على عمار حياة الرسل. ومنع داني نالته م يايه التي يسمع بها بلامه جسيح<sup>١١٥</sup> قد وقد انشرب لدى الصعددين في البداية. تصورات مشابهة. أكثر حدية ايض

إتصافا من دة. كد. من الصبي. يكون مجمل الكتابات انسيكية لدى معظم هذه نقد الدييه مشبعة بالحكمة العائنه. ما انعمل انستيم. باخور صحفصه. نالته إلى الدين لم يوف. بهم الحياة فرصة حرق هو أمر يرضي إليه كثير. جوب. هذه سقطة م عدة. انسيكية. الر. ربناسيه. في داتها. أي سي. حديد. لا. اي. عمت بوصوح. حد. التصو. وحلف. فرق. دنك. المعيار. البعيد. الحاسم. هو. عيبها. ي. لتحرير. البيكومي. حي. الذي. يشكو. بعد. كذا. رياضي. عني. اسامه. التوسيه. القضي. إذ. م. كس. الوحيد. بتأكد. م. النعمه. الحلالم<sup>١١٦</sup> من دجه. أخرى. سرع. انسيكية. الروحانيه. لا. مبال. هذه. إلى. اده. نظيره. في. العبد. وبسر. في. الوقت. داه. ساط. الصاو. الهادف. بتكسب. معبره. ياه. الهنا. داه<sup>١١٧</sup> م. ابديهي. ال. شاحه. نعم. بالمعنى. الر. سمالي. نعبا. د. يعي. كد. ميسره. من. خلال. هذه. الملاحقه. المحصره. بممكنه. إليه. بوسعه. ج. ح. الهني. الذي. يعد. إلهام. رباب. وبالنسيكية. القاميه. التي. بمر. هذا. نظام. انكبيسي. نظيره. عمو. الصعد

المالكة . إن النظر إلى العمل بصفته «إلهاماً ربانياً» هو أمر أصبح ، بالنسبة إلى العامل الحديث ، موقفاً مميزاً ، مثلما هو مميز ، موقف رب العمل إزاء الكسب . هذا الوضع ، الذي كان جديداً في حينه ، هو الذي عبّر عنه مراقب أنكليكاني ذو نظر ثاقب مثل سير وليم بيتي Sir William Betty ، حين عزا قوة هولندا الاقتصادية في القرن السابع عشر إلى كون «المنشقين» (الكالفينيين والمعمدانيين) ، الكثيرون في هذا البلد ، يعتبرون «الكد والروح الصناعيين يشكلان واجبهم تجاه الله» .

في مواجهة التنظيم الاجتماعي «العضوي» ذي الشكل المالي الاحتكاري الذي اتخذته في الانكليكانية السائدة في تلك الفترة الستوارتية Stuarts ، ولا سيما في تصورات لود Laud ، وفي مواجهة تحالف الكنيسة والدولة مع «الاحتكاريين» ، على قاعدة مسيحية اجتماعية ، وباسم الطاقات والمبادرة الفردية ، وضعت الطهرية ، التي كان ممثلوها في عداد أكثر الخصوم حماسة لهذا الشكل من الرأسمالية التجارية المالية والكولونيالية ذات الامتيازات السياسية ، وضعت هذه الطهرية ، في مواجهة ذلك ، الدوافع الفردية للكسب العقلاني المشروع . ففي حين اختفت في انكلترا باكراً الصناعات الاحتكارية المتمتعة بامتيازات على الصعيد السياسي ، لعبت هذه الدوافع دوراً حاسماً في تطور الصناعات الناشئة رغماً عن ، سلطة الدولة<sup>(106)</sup> وضدها . أما الطهريون (برين Pryne ، بارك Parker) فقد امتنعوا عن إقامة أية علاقة مع «كل أصحاب ومالكي المؤسسات الكبرى» المجسدين للرأسمال الكبير الذين يشكلون في نظرهم طبقة مشبوهة على الصعيد الأخلاقي ؛ وأظهروا اعتزازاً بسمو أخلاقهم البرجوازية الخاصة بهم على صعيد العمل ، الأمر الذي شكل السبب الحقيقي لأشكال الاضطهاد التي تعرضوا لها من جانب تلك الأوساط . ألم يقترح ديفو Defoe تقليل المنشقين وذلك عبر مقاطعة القرض المالي وسحب الودائع ؟ لقد ترافق هذا التعارض بين هذين النوعين من السلوك الرأسمالي ، ترافقاً عفويّاً مع التعارضات الدينية . ولم يكف خصوم اللامتثاليين ، حتى في القرن الثامن عشر ، عن الاستهزاء بهؤلاء باعتبارهم يشخصون «روح الحانوتيين» ، واضطهدوهم لأنهم دمّروا المثل العليا الانكليزية القديمة . هنا أيضاً نجد التعارض بين الأخلاق الاقتصادية الطهرية وبين الأخلاق اليهودية ؛ وكان المعاصرون (prynne) يعرفون جيداً أن الأولى لا الثانية هي التي تشكل التقليد الاقتصادي البرجوازي<sup>(107)</sup> .

وُلد أحد العناصر الأساسية في روح الرأسمالية الحديثة ، بل في روح الحضارة الحديثة ذاتها أيضاً ، ونعني : السلوك العقلاني القائم على فكرة الشغل ، ولد من روح النسكية المسيحية . وهذا ما يجهد مؤلفنا لأن يبيّنه . إذا أعدنا الآن قراءة المقطع الذي وضعه فرانكلين والذي أوردناه في بداية هذه الدراسة ، نرى أن عناصر الموقف الأساسية الذي سَمّيناه «روح الرأسمالية» هي بالتحديد العناصر التي اعتبرناها جوهر النسكية الطهرية المهنية<sup>(108)</sup> ، ولكن مجردة من الأساس الديني الذي تعرض كثيراً للاضعاف عند فرانكلين . فالفكرة القائلة بأن العمل الحديث موسوم بسمه النسكية ليست أبداً فكرة جديدة ؛ والاكتفاء بعمل تخصصي ، وبالتالي التخلي عن شمولية الإنسان الفأوستية ، هو شرط كل نشاطية مثمرة في العالم الحديث ؛ وهكذا فإن العمل والزهد هما



امر بـ يشترط وجود أحداهما وجود الآخر هذه الميزة السككية تدعمه في حقل الحياة - مرحوماري  
 ربما كان من الأفضل الكلام عن عدم وجود نمط هي التي حاول عونه أن يقدم إيها وهو في حمة  
 معقده ، أن في كتاب السوف المجنيه أم في النهاية التي وضعها بحياة بطيه فابوسب<sup>(10)</sup> - بعد كـ  
 هذه المعرفة في نصره معنى ثودع - معنى النحوي عن عصر بشري ثري وجميل لا يمكن أن  
 يكرر ، في محرق خصارت ، مثلما نكرر ودم رحمار ثيب هني مدار الثغصور القديمة

يريد نهري أن يكون بـ مجد - ونحن مرعمو - على أن يكون كدنت لآله عيم  
 صارت السككية على ما هي عيم - انطلاقاً من حنية الزهباك في الحياة المهيبة - وحين بدأت حيطر  
 على الأخلاقه المبروه ، فقد كان ديث من أجل المساهمة في سيد العالم المدهل - عام السوي  
 لاقتصادي الحبيب - وهو العالم المرتبط بالشرط التنمية الاقتصادية انحصار بالإنجاز لآلي  
 والمكسي الذي يحدد - بوه لا نقاوم - بعد حياة مجموعة الأفراد المبروه دين في إطار هذه - لآله -  
 ويس فقط أولئك - انهم ينحلي بهم مساره - كسب الاقتصادي ربما سيقع عصر محدد حو  
 بسلف - من من الوفود المحجور - حسب أي - كسب - لا يسمي أن يوه هم أثروا بـ انحصار حيه  
 بنفذه عن كاهن هاديسيه - الا كمعطف عيمه الورن بحك خديعه في ايه لحظة<sup>(11)</sup> - عيم ان  
 الختميه حوئت هذا المعطف إلى فصل عن حديد

في الوقت ذاته الذي كان السككية عيه يعمل على تحويل العالم وعنى بشر مودها فيه ،  
 كانت البروات انديويه تكسب عود على الشر مساميه لا يمكن ده - مود - م يعرف به مثيل فيما  
 مضي - ان يوم - فقد اذهب روح السككية الدينيه من القفص - بهائي<sup>9</sup> - من يجرو على قوب  
 ديث - على كل حال - بعد الرأسماليه نظره بحاجة الى حد الدعم مبدان استنداد إلى قاعدة  
 ميكانيكيه - حتى فدمه الأنوار ، انورثه البنوسه بهذه الروح - لا يجر ايها فسد بهائي - اما  
 فكره التقيام دنانو حبه - من خلال عمل - فهي ملاحق اليوم حياتنا مثل طيف من التمتع بـ انديويه  
 الرأله - حتى لا تكون - القديم - [نانو حبه] المهني مرتبط ارصاد مباشر باسجر انقيم الروحيه  
 والنقدية او على العكس ، حين لا يهرينه كمجود الرأ اقتصادي ، قوب انقد يعرف بشكل عام -  
 ببروره - على الولايات متحمده - ميل خصيه البحث عن النزوه في اماكن البروه مهد - مجردة من  
 مصاد الاخلاقي - ديني ، إلى الاتحاد اليوم بالمواظف المضارعية المتخالصه - وهذا ما يسميها  
 في الغالب ، طبعه رياضي<sup>(12)</sup>

لا أحد يعرف من سقيم في انفسه مستملا - ولا م - إذ كان سيظهر ، في نهايه هذه  
 السيره العظميه ، ايها جدد بكل معنى - ، او يهقه فعاله على صعيد الأفكار والنمط - انعيه  
 المديه - في هذا - م يخصص سي - من حد - سحر ميكانيكي مختلف نوع من المنطقه  
 المسجحه على كل حال - إذ هذه التكمبات يمكن - منحول إلى حقيقه في المرحل - لآله - من  
 نظور الحضره - حد - اختصاصيون من حيه بويه - مهور يوه - ملاحق - حد انحداد انه - يتصور - انه  
 برسم درجه من درجات الإنسانية م ملحقا بعدد

ولكن ها نحن في مجال الأحكام التقويمية والإيمانية التي نحترس من أن نثقل بها هذا العرض التاريخي الصرف . يكمن ما تبقى من مهمتنا بالأحرى في أن نبين - وهذا ما لم نقم بغير المباشرة به في الدراسة السابقة - تأثير العقلانية النسكية على المحتوى السياسي الاجتماعي ، كما على أنماط التنظيم ووظائف الكتل الاجتماعية ، منذ قيام الجمعيات السرية حتى قيام الدولة . ينبغي أن نحلل بالتالي علاقات هذه العقلانية مع العقلانية الإنسانية<sup>(112)</sup> ، والمثل العليا المعيشية ، والتأثير الثقافي لهذه العقلانية ؛ وأن ندرس ، بالإضافة إلى ذلك ، علاقاتهما مع تطور التجريبية الفلسفية والعلمية ، وكذلك مع التقدم التقني والمثل الروحية . وختاماً ، ينبغي تتبع صيرورتها التاريخية منذ البدايات القروسطية لنسكية داخل العالم ، وحتى انحلالها في النفعوية الصافية ، مروراً بعهود انتشار التدين النسكي . عندها فقط تكون لدينا الفرصة لقياس تأثير ثقافة البروتستانتية النسكية ، في علاقتها بالعناصر التكوينية الأخرى ، على الحضارة الحديثة .

هنا نكون قد حصرنا مهمتنا في أن نربط ، حول نقطة أساسية بالتأكيد ، الواقع ذاته وأنماط تأثيره بأسباب هذا الواقع وتلك الأنماط . يبقى أن نوضح الشكل الذي تأثرت فيه النسكية البروتستانتية ، بدورها ، في طبيعتها وصيرورتها ، بمجمل الشروط الاجتماعية ، ولا سيما بالشروط الاقتصادية<sup>(113)</sup> . هل حصل هذا طوعاً ، فغدا الإنسان الحديث عاجزاً عن أن يضيفي على الأفكار الدينية الأهمية التي تستحقها من أجل السلوكات والثقافة والطبيعة القومية ؟ هل من الضروري الاحتجاج على أن هدفنا ليس أبداً استبدال تحليل سببي «مادي» حصراً بتأويل روحاني للحضارة والتاريخ ، تأويل لن يكون إلا كغيره أحادي الجانب ؟ كلاهما أمر ممكن<sup>(114)</sup> ؛ يبقى أنه في حدود ما يتجاوزان دور العمل التحضيري ويدعيان التوصل إلى استنتاجات ، فإن كلاهما يسيء إلى الحقيقة التاريخية<sup>(115)</sup> .

## هوامش الفصل الثاني

### القسم الثاني: النسكية والروح الرأسمالية

(1) انظر العرض الموجز عن طبيعة باكستر في Dowden ، م . ن . تشكل مقدمة Jenkyn لمختلف المختارات المأخوذة من آثاره والمنشورة في «أعمال الطهرين الربانية» ، مدخلاً مقبولاً لنظرية Baxter ، بعد أن كان قد ابتعد تدريجياً عن الإيمان الحازم «بالأمر المزدوج» . أما محاولته الدمج بين «الخلاص الشامل» و«الاصطفاء الشخصي» فلم تكن لترضي أحداً . المهم في نظرنا هو أنه كان في زمنه يتبنى الاصطفاء الشخصي ، أي النقطة الأخلاقية الحاسمة في مذهب الجبرية . من جهة أخرى ، كان مهماً أيضاً حجم التلطيف الذي أضفاه على مفهوم النعمة الرسمي ، لأن ذلك يمكن أن يعتبر نوعاً من التقرب من المعمدانيين .

(2) إن البحوث في التقوى والعظات التي وضعها Thomas Adams ، John Howe ، Matthew Bunyan ، Baxter ، Stuart Charnock ، J. Janeway ، Henry ، «أعمال الطهرين الربانية» (48 - 1845 London) غير أن اختيارها كان اعتباطياً . كما أن نشر مؤلفات

Hoonbeek, Sedgwick, Barley وقد ذكره هؤلاء

3. يشارك أيضا Voet وغيره الممثلين ذوو وجهة مسيحية في العالم انهم هم Brenano

الظاهر انهم تصورهم كموثوقين صرديا وهو هو حصصه له في حواراتي معجزة وجم  
شكل غير حصري بالرعية ضمن إطار الممكن في تقديم المزمرة السكية خلال المصنف الثاني من  
نظره المبادئ على اني قد جعلت تحولها إلى لغة لقد استمعنا للأسف، ضمن هذه الترتيبات، هي  
التي دمجهم النية معهم وقد بعد الحياة من السكية الروحية هذه التغيرات في السيرة  
من هذه الناحية كما: لقد طرقتهم بمصروفاتهم الخاصة لأهم غير معروف في العالم

4. كما ذكره في كتابه واحد كذا من Gilbert Voet وسجلات المودسة فهو هو في ١١ كتاب  
المعددي اليهودي وقد حصر في شغل مؤلفه B. Cantano و Sumbar ومضى في ما جهي  
عاصر B. Barier ديونيه المسيحية، اليهودية التي تدور ان يحصل عليها وذلك كي يفت  
عني من وجهة النظر، اسعالي الوجه المختلف الذي يمدحها هذا يدور عليهم على حثيتي

من المهم معرفة محمد عبد الآداب معرفة عميقة وذلك بخصوص غير فحصة لا استخدامه يست

صحيح

5. منهم عدد فعال محدودي معرفة انه فالعبد من المذهب النسطوري Marimonisle ومذهب  
بعض الرواد بطرق سيئة، فلا روح هذا الشيء السكي قد وليد كما هي الحال في وحدات  
إلا ان الرعية العقلية الاقتصادية، لا تحفظ حكماها على كل السبب، هذا  
محدد اندفع العقلية بصروحه ولكن: هذه المسألة وحدها يقوم الأمر

6. اننا في Saint's Everlasting Test Chap. X of ١٨٤١ مع Praxis poeatis Barley من ١٨٤٠ ومع

Works of the puritan Divines p. 9 «The worth of the soul» Matthew Henry

اصحاب الشغف في بعض الرواد الديونيه يقومون، لا جهلهم فقط من الروح قد أخذ، لا

استخدمت في عملية التعصب ضد (منهم ١٨٤٧ 2) إلا أنه يوجد في الصفحة ذاتها ملاحظة ذكرت

بأن حور الصبيحة لا تجرب في أي تفسير يوجب لاسيما في اسبكر نصيبه كذا لا م في

في الإله الطاهر، الا انهم هونندو غربا، نعم فلا خطبه Hoonbeek ١٨٤١، فصل ١٢

لا ضد البحث وقد حصر هذا الكتاب بعض تأليفه عاصيه بمرور النظر بعرضه الطمأنينة الحية التي

مضى اليه أكثر من لا يهتم به العالم وكذلك Barley م. ١٨٤١ (ص ٨٢) منته إلى حصة

سيرة من التوبة، فهو يعني بأنه يمر من سهل على الأعباء، لا يحفظهم من التلاصق،

الانجاء المسيحية المسيحية فهي تنفي عن جميع الرواد على هذه السيرة المشهورة ك

نفس السيرة كذا في بعض الأحيان مع Barclay ١٨٤١ (ص ٩٦) وهذا

حس من قبل هذه الإعراب حتى تستخدم دعوى كحركة نماذج

٦. كذا، بالنسبة إلى كالفن الذي يذكر سور من بعض البرجوازي نصر عاصيه بعد Venise

Anvers في ١٨٤١ a. 111. ١٤١ «in Jesulam prophetum»

(٧) م يكن المعنى واحد من قبل هذه الوضعية المروية في التحصيل، وهذا في ذلك نص من في البلاد

المحاصرة عام ١٨٥٤، أوضح اليسوعيين اليهودي الجنوبي حورا عن سوال انه لا يمكن هو



اللومبارديين في تناول القربان، مع أن تجارتهم كانت مجازة قانونياً، كما أن سينودس Deventer الإقليمي عمّم هذا التحريم على مستخدميه. وفي عام 1606 وضع سينودس Gorichem شروطاً قاسية وفخرية لقبول نساء المراهبين. وفي 1644، و 1657 نوقشت حالة اللومبارديين (ضد Brentano الذي استشهد بكلام أجداده الكاثوليك)، مع أن ظاهرة البنكيين والتجار الغرباء كانت موجودة منذ آلاف السنين في مجمل العالم الأوروبي والآسيوي. ويطلب Gisbert Voet, «De Usuris», Selectoe disputationes theologicoe, IV, [1667], p 665 بطرد اللومبارديين والبيمونتيين. وكذلك الأمر في السنودسات الهوغنوتية. إن العناصر الرأسمالية في هذا الصنف لم تكن تمثل أبداً بشكل نموذجي العقلية والسلوك المقصودين. وهي لم تكن تمثل جديداً مراعاة للعصور الغابرة أو العصر الوسيط.

(8) وهذا مفسر بالتفصيل في الفصل VIII من Saints' Everlasting Rest: إن من يسعى إلى أن يرتاح في ظل ما أنعم الله عليه من ملكيات، فإن الله يعاقبه في هذه الحياة ذاتها. فالخمول شبعاً والاكتفاء بالثروة المكتسبة هو تقريباً نذير انحطاط أخلاقي على الدوام. وإذا كنا نملك كل ما يمكن تملكه في هذا العالم، فهل يكون في ذلك كل ما يمكن أن نأمل به؟ إن الاشباع الكامل للرغبات لا يمكن بلوغه على هذه الأرض، وذلك لأن إرادة الله أمرت بالأحرار يحصل ذلك.

(9) Christian Directory, I, pp.375 - 376. وفيما يتعلق بالمراجع الدينية الخاصة بمبدأ المنفعة انظر: الحاشية رقم 146. يحفظنا الله ويحفظ نشاطاتنا من أجل العمل؛ العمل هو النهاية الطبيعية والأخلاقية للسلطة [...] إنه العمل الذي يخدم ويجل الله [...] يجب تقديم الصالح العام وخير الجميع على مصالحنا. نسجل هنا بداية الانتقال بين مبدأ إرادة الله ووجهة النظر النفعية الصرف في النظرية الليبرالية اللاحقة. حول المصادر الدينية الخاصة بالنفعية، انظر لاحقاً في النص وقبلة، الفصل الثاني، المقطع I، الحاشية 146.

(10) إن قاعدة الصمت - التي تنجم عن التهديد بالعقوبة على كل كلام غير مفيد (في التوراة) - كانت، منذ أيام الكولونيالين تحديداً، وسيلة مجرّبة في تربية الرقابة الذاتية تربية نسكية. يتناول Baxter، هو أيضاً، بالتفصيل، خطيئة الكلام غير المجدي. قدم سانفورد (Sanford, o p. cit, p p. 90 s q q) تأثير ذلك على علم الطباع. إن ما كان المعاصرون يحسّونه ككتابة عميقة، النكد، والكآبة، والشكاسة الطهرية، هو نتيجة تدمير عفوية الكيان الطبيعي، ويستهدف تحريم الخطابات غير المدروسة هذه الغاية. عندما راحت Washington Irving في Bracebridge Hall, chap XXX، تبحث عن سبب ذلك جزئياً في الروح الحاسبة للرأسمالية، وفي نتائج الحرية السياسية في جزء آخر، وجدت أن هذا السبب هو الذي خلق معنى المسؤولية الشخصية؛ وينبغي أن نلاحظ هنا أن الشعوب اللاتينية لم تعرف أبداً شيئاً مشابهاً، وأن الوضع في انكلترا ربما كان على الشكل التالي:

1 - كانت الطهرية تجعل أتباعها قادرين على خلق مؤسسات حرة وهي تبيح للدولة أن تصير قوة عالمية.

2 - حولت الطهرية هذه الروح الحاسبة، وهي أحد مقومات الرأسمالية، من مجرد وسيلة اقتصادية إلى مبدأ سلوكي عام.

(11) م. ن. I، ص 111.

(12) م. ن. I، ص 383.

(13) وكذلك Barclay، م. ن. ص 14، حول قيمة الزمن الكبرى.

- 4) Baxter op. cit I p. 79 لاحظ موقفه عنانه ذلك حد، في لا يصر شيئا من وقت كل يوم ويهد لا يصر شيئا من جديد وفصلك فاللهو العبري فسر المشاكل على الكبر الصغر هي المجدية هي اعراض موقف بسبب وفات، وبه عليه من يفسكه Matthew Henry 11 انهم يرون رفقهم بكم هوب ووجههم وهذا ايضا يسبح السكي البروسانية رب مطروفا فقد عتدا لا يعتبر من غير "توافع المعير" سوا الاسباب الحديث 11 لا وقت دية، واعتدا ايضا كما غوته في Wanderjagtre على فيس حرجه اسطر "الاسماني" بصيغة ان الساعاب لا كل ربح مائة وكذا الامر مع Sorbhart في كتابه Kapitalismus غير انه لا يجوز ان يسي ان الرب لا في العروب الوسطى كان ان من علمه عن ساس بورج فخر بلوف وان قد عد على الاصح كان نك فاشد الاخر 5) فاما مع فيس فخر، جهة عند ناكس م ب 11 من اللد لا ميف لمصيح الثاني اسوان هل يمكن ان لا عدالة من جز ان فخر في خلاص "جواب يمكن" لا سيد كل جرات في العروب الاصل الديوية غير المهمة وبني يمكن "محدد امرا" الديوية ولكن لا يمكن ان يد الخدمة جديسة والعمل الفكري الدين يمكن لا يخدم الخير العنة بحث على كم سحر كمر في بكسبه ان جمع النعمة ان مستخدم جبر "حر افساد ودن" من اجل خير الكسبه ولفظه "الخدمة" ان يهمل قد يقول "سوف اصلي" بعلك يرفض حادك العمل الاهم وطرف نفسه بعد ان وسن "العهود امر بديفة" باخرى "سعي من حيا حيزا" اليومى والا يصر حالة على عرق الاخرين لا تفسير المستخدم في امر الد حوكة الى لاء "مرو حيت" والإرشاد الذي قدمه الفاديس جويس "إذ أراد أسد الا يعمل فليمنع من الطعام ايضا" 10 These III عهدا دن ايضا "كثير الب حية يسر كان هم انفسهم يصر" ان عليهم عقيم مهة ما لا ولاهم ردد "اسباب خلافه ريب" كما يقول Alber 11 ب معية 16) دن هي وجهات نظر مختلف حول الفرية ودين علم طبيعى "الطعية مع ان Spener يؤكد بروح جوية صرد ان ممارسة النعمة هو مسجد للبناء الربية فهو يحر من جهة اخرى - وهذا يوري حد ايضا ان محريات المشاريع يمد على الد وهذا الموقف هو اسعير الواضح بالهوية 17) م ب 11 من 1721 رار كمالى في عنانهم لا يحدوب مسما من الوص بكى يو نو مسانكهم "حيتهم الديية" من هت الصكة "المثله ان" لدن وهي مع الرحادية ومركز نشاطها الاقتصادى العولاني هي اعيا مع العصا السكية شكك Baxter في مية الدينية عن ساجي Kidue minister قائلا ساعد "خره التجارية الثانية من سدر واليه على رفي لدينه وفمر النفوي من الشجار إذ قرب مواقع العاصم ينشط نصائل" حيا يدهش رجال الدين المحدثين، على الأقل في سانية غير ان الحركة الدينية القوية مبدل إلى الامحاء دانه وهكذا فقد كتب Spener إلى احد زملائه "السبب" ويبدو على الأقل "د ك" معطه الأشخاص في هذه المدن المستعدة لتحديد قوة يوجد عهد في هذا علم طاهر سحر على الخير في حية يحيى حيا من عدم وجود عدد كس 18) الصالحين حقيقي غير متداد الكالم رعية 1825 p 661 19) Firuthische Bedenken. 2) الموم، ذوا الملاح موهل فليلا سبوك علفاني "م يعرف عده لخالقي الامور" به حيا "بحث هذا علم يحيى هذا الموم" اقوال أخرى صابيهه باليه في العلالة في السكية "اشد" إلى طبقة حتمانية

(18) يمكن الرجوع مثلاً إلى المقاطع التالية: كن مجتهداً في عملك أو مهنتك وعندما لا تكون معتاداً على أداء واجباتك الدينية فوراً، اجتهد في عملك، فإن ذلك يستغرق كل وقتك.

(19) لاحظ Harnack مؤخراً بحدّة أن التقدير الأخلاقي للعمل ولجدارته ليس في أساس الفكرة التي تخص المسيحية أو التي يمكن أن تخصها.

Mitteilungen des evangelisch - sozialen kongresses, 14 Folge [1905] N° 3 - 4, p.48.

(20) وما يشبه ذلك في التقوية (Spener, op. cit. III, pp 429 - 430) النسخة التقوية المميزة تريد أن يكون من شأن الحماس إلى مهنة فرضتها علينا الخطيئة الأصلية ان يميّز الإرادة الخاصة. إن العمل المهني، لكونه يلزم المرء بخدمة القريب، يشكل واجباً عرفانياً إزاء النعمة الإلهية (فكرة لوثرية!) وهو، بالتالي، لا يرضي الله إذا كان يتم على مضض. (م. ن III، 278). وهو ما ينسحب بوضوح على التصور الطهري.

(21) تقوم هذه المعارضة القوية، البدهية منذ قاعدة القديس بنوا، هذا لا يمكن شرحه إلا في بحث أكثر اتساعاً.

(22) إن هدف الزواج، حسب Baxter، هو «إنجاب الأطفال بصورة معتدلة». وكذلك الأمر عند Spener، ولكن مع تساهل على طريقة لوثر الفظة في رؤية الأشياء، وعلى أساس ذلك يكون الهدف الثاني هو تفادي الخلود الذي لا يمكن كبّحه بطريقة أخرى. إن الشبق أثيم حتى في حالة الزواج، لأنه يترافق مع الجمع والمزاوجة. وذلك هو نتيجة للخطيئة الأصلية، حسب رأي Spener، تلك الخطيئة التي تحوّل عملية عقلانية مُرادة من الله، إلى شيء ما متصل بأحاسيس آثمة، وبالتالي إلى عورة المرأة. إن الشكل الأرقى من الزواج المسيحي هو، حسب الرأي الشائع في كثير من الحركات التقوية، الزواج الذي يحافظ على العذرية؛ ويليه مباشرة الزواج الذي تستهدف العلاقات الجنسية فيه الإنجاب فحسب، وهلم جراً، حتى أشكال الزواج المعقودة لغايات جنسية أو دنيوية فحسب، وهي، من الناحية الأخلاقية، تعادل الاستسرار على هذا المستوى، (ودائماً لأسباب مستوحاة من دوافع عقلانية)، فإن أشكال الزواج المبنية على مجرد الدوافع الدنيوية هي مفضّلة على التي تقوم على دوافع شهوانية. يمكن عدم إدراج الزواج لدى الأخوة المورافيين خارج اعتباراتنا. إن على الفلسفة العقلانية (Chr. Wolff) أن تستعيد لحسابها النظرية النسكية حسب الصيغة التالية: إن ما جرى تحديده على أنه وسيلة لتحقيق هدف معين، الشبق وإشباعه، ينبغي ألا يُنظر إليه على أنه الهدف بذاته.

الانتقال إلى النفعية الذي يشدد على الناحية الصحية هو ما سبق أن حققه Franklin الذي استبق الأطباء الحديثين في الاعتقاد بأن معنى الطهارة أو «عفة النفس» هو الحد من العلاقات الجنسية إلى المستوى المناسب للصحة (وقد قدموا أيضاً نصائح نظرية تتناول طرق التوصل إلى ذلك). ومنذ أن أصبحت هذه المواد مواضيع بحث عقلائي بحث، حصل التطور ذاته في كل مكان. فاتبع العقلانيون الطهريون في مجال الجنسية وعلماء الصحة سبلاً مختلفة جداً، ولكن من غير جدوى، حينئذ «فهموا بعضهم بعضاً فوراً». خلال إحدى المحاضرات، صرح أحد المتحمسين «للدعارة الصحية» - المقصود ضبط بيوت البغاء وتنظيم البغايا - بأن العلاقات الجنسية خارج الزواج (المعتبرة مفيدة صحياً) مقبولة أخلاقياً استناداً إلى تسامحها الشعري في مغامرة Faust و Marguerite. إن الحكم على Marguerite بأنها بغية، ووضع مملكة العواطف الإنسانية القوية على المستوى نفسه مع العلاقات الجنسية، في



صحتها الصحية هاتان هما في الحقيقة السمات الثلاث عطفان لهما مع وجهه انظر الطهري  
وكذلك فإن صور الجسم اليهودي هذا الذي يدعمه على الغلب اجاب بان يرد ان يكون عليه  
المواضيع الخمسة حد على التصديرات الجسدية وحسري، كالامساخ عن ممارسة الجنس من  
صاحبه محكمة الاحياء حصر (بصفتهم متخصصين أو الاختصاصي فهو في الطهري  
المهر او الفيلسوف الاجتماعي و هو في اختصاصي علم الصحة مع يكثر في الرمز غالباً هو  
ذاته في المثالين يعني ان النجوم التي والكلمات من حار حجم المسألة هو ادعاء حملي  
بمكان مثاليه انفس الطهري بالثاوية مع كل خضامها المنطوق ان في يلى نتائج يحاييه به  
من جهة نظر المحافظة على العرس بالمعنى والصحة النصف في حيز ان علم الصحة انجسي  
الحديث في دعوى اني معر بها في النجم من كل الأفكار السبغة يحشى ان يكتم الحرف التي  
يضمونها بالتعليم يعني حار - المقام في الطريقة التي يوصل فيها التصور العفائي بالحياة الحسية  
بندى الشعور المبثورة بالطهري اني خلق نوع من النعم والتهديب إلى شفيح العلاقاير بين الزوجين  
بفتح وحي وحلافي، وإلى اربعة نوع من الفروسيه الزوجيه إلا ان ذلك يساقض مع انقباض  
الطوريه الكليه ايها في حتى من دوائر الا سغراطيه انمطه ان تأثيرات متعدديه ماضيه في  
دعمه المزمع وعد - حمايه حرية معتقدها إلى جانب انحاطها في ذكره والكهود السابقه  
طريبي مفتوحين في حصر النظام البطوريكي

- 176 ينكر هذه المبرهه دون بقطاع جد Baxter ويظهر فيه بالنظام الامام الثوري في مقطع الامثال  
مثلا الذي ذكره Franklin في 1781 في المنهج الذي يمجده الجمع (b) XXX نظر من  
ب ا من ص 377، 382 الخ
- 4 Zinzendorf داه قال ينكر عامر ان لا يعمل فقط لكي نعيم بل إنه يعبر لأجل حب العمل في  
ثم يكن نديا ما يصفه في: سالك او نام اليوم الأيدي (Platz) م ب ص 428
- 25 ينتهي حد الرمز المرمو به بهذه الكلمات إلا ان نبيد أو كسلا ينكر ان يكون مسجعا و  
لا يحظى بالسلامه انه محكوم باليدع حتى الموت وان يرمى به خارج القفصه غير ان حد هو  
النظام العربي في منتصف الطريق بين المير الميوفاكتوره الذي يصح الفرد امام خياره بين العمل و  
ذيعاده وهو غير متصل، وقد صحيح، بالحساس الميبي، الذي عا حركه وسطه، والذي هو في  
أساس الإنجازات الاقتصادية المدعیه في هذه الطائفة
- 26 وفي النتيجة فإن ذلك جاصح في عراضه بتحليل دعوى ر م ا ص (384) إن كان لخموم  
وابطانه من الحفاري المحظوره عندكم معاً عليها اثباته ويعبرهما كسر سبابه ومدبر دخلا ص  
م ب ص 279، 281 ويمثل هاتان الحطيان باللفظ عبر الح. البيودي
- (27) انظر أعلاه لفصل الأول، المقطع د ه و م 5
- 28 Baxter م ب ص 08 النماذج التاليه م و ه ج د ه ان من سالك اسره ان يعفيتها  
بعض الأعمال القده فيجبر انكم قلته للاخريه ه و ر لا يفيق من العمل والحد من اسره  
الدم وكذلك هيس بالأعباء ا ر انه يحثهم على الجمع على غير رادتهم والدافع انصوري بضعه  
الله لقد أمر الله عباده جميعا بالعمل
- 29 وكذلك Spener م ب ا ص 338 كره الذي يحارب هذه السببه المير إلى

الاعتزال قبل الآوان، باعتباره جديراً بالعقاب. وخلال نقضه الاعتراض على تحصيل الفوائد، لأن التمتع بها يؤدي إلى الخمول، أشار Spener إلى أن من يقدر على تأمين عيشه من الفوائد المحصلة عليه واجب العمل لأن ذلك هو إرادة الله.

(30) التقوية ضمناً. حين تطرح المسألة تغيير المهنة، فإن Spener يكون مع الرأي القائل بأن واجب الطاعة للعناية الإلهية، عند اختيار مهنة معينة، تقضى بالتكيف معها.

(31) لقد بينت في دراساتي عن *Wirtschaftsethik der Weltreligionen* العنصر العاطفي المؤثر، الذي يسيطر على مجمل السلوك، والذي تلجأ معه عقيدة الخلاص الهندوسية، إلى الربط بين التقليدوية في المهنة وبين فرص الانبعاث. إنه مثل يبين الاختلاف بين مجرد تعليم أخلاقي وخلق غرائز بسلوكولوجية محددة عن طريق الدين. لا يمكن للهندوسي التقي أن يتطور قدماً في طريق التقمص إلا عبر القيام بواجبات الجماعة المليّة الصغيرة التي ولد في أحضانها قياماً منضبطاً حسب التقاليد. هذا هو تجذر التقليدوية الديني الأكثر صرامة ما أمكن تصوّر هذه الصرامة. وعلى هذا الصعيد تمثل الأخلاق الهندوسية النقيض المنطقي للأخلاق الطهرية، كما أنها النقيض المنطقي أيضاً لليهودية بفعل تقليدوية بنية الجماعات المليّة.

(32) Baxter م. ن. I، ص 377.

(33) لا يعني ذلك أن وجهة النظر الطهرية تُشتق من ذلك تاريخياً. بل على العكس، فإن التأكيد على أن كونية هذه الحياة تخدم مجد الله إنما يعود إلى التعبير عن فكرة كالفينية أصيلة. هذه الصياغة للروح النفعية، التي ينبغي على أساسها أن يكون الكون الاقتصادي في مصلحة أكبر عدد ممكن، في مصلحة الخير العام (خير الأكثرية هو خير عام)، تنجم عن الفكرة القائلة بأن أي تأويل آخر كان سيؤدي إلى عبادة المخلوق (الارستقراطية)، أو على الأقل إلى أنها ليست في خدمة مجد الله، بل في سبيل «أهداف ثقافية» شهوانية. إن إرادة الله كما تتجلى (أعلاه، الفصل 1: المقطع I. رقم 35) في الظروف المرصودة الخاصة بالعالم الاقتصادي، لا يمكن أن تكون، فيما يتعلق بغايات الحياة الدنيا، سوى خير «المجموعة» أي «الفائدة الشخصية». وكما رأينا ذلك، فإن النفعية تنجم عن الصفة اللاشخصية من «حب القريب» وعن رفض تمجيد الحياة الدنيا. إن كل تمجيد للخلقة هو مساس بمجد الله؛ ينبغي إذن رفضه مطلقاً. هذه الفكرة التي سيطرت - وبأية قوة - على كل البروتستانتية النسكية تتجلى في الشكوك والترددات التي كلفت Spener بالذات، وهو الذي لم يتأثر مطلقاً بنفحة «الديمقراطية»، والتمسك بمقتضى الاعتراضات، باستخدام الألقاب. وأخيراً وجد طمأنينته حين رأى أن الرسول في التوراة ذاتها قد منح اللقب للحاكم الشرعي Festus. إن الوجه السياسي من المسألة ليس من اختصاص هذه الدراسة.

(34) يقول Thomas Adams: «الرجل غير المستقيم غريب في داره»، «أعمال الطهرين الربانية».

(35) حول هذا الموضوع انظر تحديداً ملاحظات George Fox في:

The Friends' Library (ed W. et T. Evans, Philadelphia 1837), I, p. 130.

(36) فوق ذلك لا يمكن اعتبار هذه الروح، روح الأخلاق الدينية بمثابة انعكاس للشروط الاقتصادية. فقد كان تخصص العمل أكثر تقدماً في إيطاليا الجنوبية منه في انكلترا في الفترة ذاتها.

(37) لأن الله لم يأمر أبداً بحب القريب أكثر من النفس، بل مثل النفس، كما يشير إلى ذلك غالباً المؤلفون

الظهور من حيث إدراكها وأجيب حسب النفس فمن يعرف ، مثلاً ، أنفلس من وظيفه ، ستستخدم ما  
 بطلت في سبيل مجد الله ليس فقط لأن يساعده العمل بدافع حب به  
 38) Spener هو أبف قريب جد من وجهة النظر هذه ، ولكن في حالة الانتقال من مفاعل جاريه  
 (مفسره من الإلهام أخلاقياً) إلى اللاهوت ، فيبقى إداك على أقصى حد ، عند التحقق ، وعين بالآخر  
 (في شبه من جمله) م م 31 ، ص ص 435 ، 440 ، 1 ص 594 وجوه ن علم سؤا ل هل من  
 الحائر يدين "المهنة" قرب الأجيال التي تعصبها ر Spener أصحبه بين نظريته غايه ، إنى في  
 حد كسب مختلف ، أسكاف القانون صكيه مع الحزم لثوبه Cor VI 1

39) مثل هذه الأفكار غير موجوده لدى الصوفيين الأوروبيين ، على الأقل في كتاباتهم ، ويندوح موقف  
 Spener بين البربريه (إتباع الجاحد) ، وبين الخبيث كركانيه حول القلده في عدم التجاره  
 بلخ م ر 171 ص ص 172 ، 173 ، 4 ص 8 ، إن عه اليه نذر المال عو البلاد رن هي  
 معينه ، بالتالي غير ثابته ، ص ص 426 ، 427 ، 429 ، 434 غير ان Spener لا  
 يعو ، ان يلاحظ ان بوسجه "مفسر مختص" حصد لمحو الصالحين العيويين ويبي مع دند  
 نفي مكاف كبيره حد ، وهذا ، سمعد إليه لاحق ، ويمحق أيا يكون ففاده البيعه المفسره ، ثم  
 نقيه م م ص 435

40) بيب افكار Baxter هذه اسكاف بوسط لاقصدي الذي كان يعني فيه ، على الحكم م كدس نه  
 بدانيه قد يدبر به نجاح عمله التسري على الصعيد المروي ، واقع كور بجار Krudmanster  
 جوده ، ولكنهم يكسبون بخرسو كفاف بومهم وكولا الأسباد يعيمون جامه من عمائم ، به المعبر  
 التي يتبع البري الساره من الأبحين

حول موضوع البعد ، عن لرح يعو Aylmer 1 ، وإن الرحل [تصرف يعرف ر أن المال  
 يمكن ان يحصل الإنسان أكثر عو وبس مجال فضل ، وحده بختا ، ليدم مرداح البآ على ان يملك  
 محفظه مملكه ، وهكذا ، يرغب بروه كثر عه قد يظفر به ، هل قد  
 ما كس يرغب به بالتحديد هو على الأقل حد الحد ، في غير عمر كل كسب شريف هو في سكه  
 كسب شرعي

41) وكند Baxter م ن 3 فصل 1 عووال 1 سميت ، 9 (مقطع 24) 1 ، ص 78  
 عمود 2 في المثال رسم دنا XX ، 4 ، "لا شعب بفسك من حل الله" ، هذا الكلام يعني فقط  
 "يجب ان تكون الزوايا من أجل بهادبا البديه هي قصد الحتام" ، اتصال الظهريين الإلهيه  
 "المدنيه في انسكاف الاقطاعي من مستمداه" ، لا كمنكبه بدانيه هي ام مكرهه (انظر الملاحظه  
 م ن I ، ص 380 ، حول فهور الأبحين)

بدافع Milton عن النظرية المعروفة المائدة "الطبعة الوسطى" ، وحسب ماكانها ، ب يرى بعينه وهو  
 يعني "بالطبعة الوسطى" البرجر ، يقابل "لا سطر حيه" ، وهذا ما بينه النيباني الذي في إن  
 "اليدج" ، "المدحه" ، هذا ، على حد سواء ، حقبة عام مده به العصبه

42) وهذا يكسب لمر الأكثر حميه بصرف هذه الملاحظه العديه م ناقل العود بأن الأمر بالنسبه ل هـ  
 بمر كثره من المفاهيم التي طورها اللاهوتيون في نظرياتهم الاخلاقيه بعد ، ما هي الأخلاق التي نحن  
 حياة العومون العمليه أي الصريه التي يتم بها عمليه بوجه لأخلاق "المهنيه بوجهه ديد" في عدم



الأحوال الضميرية لدى الكاثوليك ، لا سيما عند اليسوعيين ، توجد اعتبارات - حول تعليل الفائدة ، مثلاً ، وهو ما لن نتناوله هنا - تجعل صوتاً ما للضمير مماثلاً لأصوات كثيرين من علماء الأحوال الضميرية البروتستانتيين . وتبدو هذه الاعتبارات أنها تمضي إلى أبعد من ذلك ، فيما يتعلق بطبيعة ما هو مباح أو ما هو «مقبول» (ألا ينبغي أن يعاب لاحقاً على الطهريين كثيراً كونهم ، في النهاية ، لا يملكون سوى أخلاق اليسوعيين ذاتها ؟) . وكما أن الكالفينيين يستشهدون غالباً بلاهوتي الكاثوليكية الأخلاقيين - ليس فقط القديس توما الأكويني و S. B. de Clairvaux و S. Bonaventure إلخ ، بل حتى المعاصرين - فإن علماء الأحوال الضميرية الكاثوليك يتبعون عن قرب تطور الأخلاق الهرطقية ، وليس في وسعنا الآن أن نناقش ذلك .

في المقابل ، وبعبداً عن ذلك ، وبفعل العامل الحاسم المتعلق بحسنات الحياة النسكية بالنسبة إلى العلماني ، هنالك فارق كبير ، حتى على مستوى النظرية : ففي الكاثوليكية كانت هذه الأفكار الخلاصية نتاج النظريات الأخلاقية التسامحية بشكل خاص ، التي لم تصادق الكنيسة عليها ، والتي يعارضها أكثر المؤمنين جدية ورصانة وانضباطاً ، في حين أن فكرة المهنة في البروتستانتية تضع ، على العكس من ذلك ، أكثر الناس اقتناعاً بالحياة النسكية في خدمة الكسب الرأسمالي . إن ما يبدو في نظر الأول كأنه مباح ، ضمن بعض الشروط ، يشكل بالنسبة للآخرين ثروة أخلاقية أكيدة . هذه الفوارق الأساسية بين الأخلاقيين ، وهي فوارق مهمة على الصعيد العملي ، متبلورة مع الجانسينية .

(43) «من الممكن أن تتصرف بطريقة تناسب ميولك وامكانياتك ، وعليك أن تحسن قدراتك ومواهبك في هذا المجال» . تشكل هذه الجملة تنمة للمقطع الوارد في النص أعلاه . إن هناك توازياً بين تعقب الثروة في مملكة الله وتعقب النجاح في مهنة دنيوية . وهو موجود «Heaven upon Earth» Jane Way, *Works of the Puritan Divines*, p. 275.

(44) إن الاعتراف اللوثري الذي قام به الدوق Christophe de wurtemberg ، والذي خضع لمجمع Trente الديني ، قد ارتفع ضد إرادة الفقر : مَنْ يكون فقيراً بفعل ظروفه عليه أن يتحمل ذلك ؛ وإذا سرّه أن يبقى فقيراً فإنه كمن يسعى لبقائه مريضاً أو كمن يصون سمعة سيئة .

(45) وكذلك لدى باسكتر ، في اعتراف الدوق نفسه أيضاً . قارن مع مقاطع كالتالي : «[ . . ] لا يحمل البائع المحتال معه إلى الآخرة سوى النذالة» . إلخ . (Thomas Adams, *Works of the Puritan Divines*, p. 259) . كان كالفن قد حرم التسول تحريماً واضحاً ، وقامت السنودسات الهولندية بحملة ضد اباحة التسول . وكان نظام Laud ، في عصر الستوارتيين ، وخصوصاً في ظل حكم شارل الأول ، قد طوّر ، بشكل منهجي ، مبدأ تقديم مساعدة رسمية للفقراء وتوفير أعمال للعاطلين عن العمل . وهذا ما كان يحث الطهريين على أن يختاروا شعاراً للحرب : «إعطاء الصدقة ليس إحساناً» (وهو عنوان كتاب معروف كتبه فيما بعد Defoe) . وفي أواخر القرن السابع عشر وضع الطهريون موضع التنفيذ نظام المشاغل للعاطلين عن العمل . (قارن مع Leonard, *Early History of English poor Relief*, Cambridge 1900.

(46) في كلمته الافتتاحية أمام البرلمان في لندن عام 1903 ، أكد G. White ، رئيس الاتحاد المعمداني في بريطانيا العظمى وايرلندا تأكيداً ثابتاً : إن أحسن الرجال في كنائسنا الطهرية كانوا رجال قضية ،



(52) قارن مثلاً مع النص الذي أورده Pietismus II, Ritschl، ص. 158. ويستند Spener، هو أيضاً، استناداً جزئياً، إلى مقاطع من Jesus ben Sira في بناء آرائه حول تغيير المهنة، والبحث عن الربح (Theologische Bedenken III، ص. 426).

(53) صحيح أن Bailey يطالب بقراءتها، وأنه عاد إليها وإن نادراً. وإنني لا أذكر أي استشهاد بـ Jesus ben Sira (وهل كان ذلك مجرد صدفة؟).

(54) إذا طال النجاح المادي أفراداً من الذين حلت عليهم اللعنة، فإن الكالفييني (Hoornbeek) على سبيل المثال) يتعزى، حسب نظرية «التصبير» على الألم، باليقين الراسخ بأن الله هو الذي أجاز لهم ذلك، بهدف تصليهم وتخشينهم وجعلهم يقعون في الانحلال وقوعاً أكيداً.

(55) لن ندخل في التفاصيل حول هذه النقطة. ولا يهمنا هنا سوى الصفة الشكلانية من هذه «الشرعية». وحول المدلول الأخلاقي للعهد القديم فيما يتعلق بالـ Lex naturæ، نقرأ باهتمام [...] Troeltsch, Soziallehren.

(56) إن الصفة الالزامية في المعايير الأخلاقية المتعلقة بالكتابة تذهب عند (christian Directory, III, Baxter pp. 173, sqq) بعيداً جداً بحيث:

1 - انها مجرد صورة طبق الأصل عن قانون الطبيعة.

2 - انها تعبر عن شخصية عالمية وأزلية دائمة.

(57) Dowden على سبيل المثال (مع عودة إلى Bunyan) م. ن. ص. 39.

(58) إضافة إلى أن التفاصيل المسهبة حول هذه النقطة واردة في: Die Wirtschaftsethik der Weltreligionen.

ليس في وسعنا هنا تحليل التأثير الهائل الذي مارسه بشكل خاص الوصية الثانية. «إنك لن تصنع أبداً ايقونة مقدودة»، على تطور العقلية اليهودية، على الجانب العقلاني منها، الغريب عن أية تربية للحواس. غير أنني أرى ذا مغزى ما قاله لي أحد قادة الحلف التربوي في الولايات المتحدة الأميركية، وهو التنظيم الذي تولى، مجهزاً بوسائل مادية ضخمة، أمركة اليهود المهاجرين والذي نجح نجاحاً هائلاً، قال: إن أحد أولى الأهداف التي يراد بلوغها في كل أشكال التربية الفنية والاجتماعية هو «التحرر ازاء الوصية الثانية». إن تحريم عبادة المخلوق في الطهرية يؤثر في الاتجاه ذاته وإن بطريقة مختلفة قليلاً: فهي تتطابق مع التحريم الإسرائيلي الذي يشمل كل تمثل تجسمي: إن الخلقية الطهرية لا تسمح لنفسها بأن تتقارب في بعض السمات الأساسية مع اليهودية التلمودية. وهكذا، فإنه يقال في التلمود إن القيام بعمل صالح إحساساً بالواجب هو أفضل وأكثر ثواباً عند الله من القيام به لأن القانون يوجب ذلك. بعبارة أخرى، إن القيام بالواجب بعيداً عن العاطفة عمل ينطوي على قيمة أخلاقية أكبر من تلك التي يتضمنها عمل قائم على الحب. إن الأخلاق البروتستانتية تقر بذلك من حيث الجوهر. أما الفيلسوف Kant فهو أيضاً قريب جداً من هذه الطريقة في النظر إلى الأمور، فقد تلقى! وهو من أصل اسكتلندي، تربية متأثرة بعمق بالتقوية. مع أنه من غير الممكن نقاش ذلك هنا، فإن عدداً من هذه الصياغات مرتبط مباشرة بأفكار من البروتستانتية النسكية. يبقى أن الأخلاق التلمودية تمد جذورها عميقاً في التقليدوية الشرقية: «يقول Rabbi Tanchum ben chanilai: لا تغير أبداً عادتك» (Gemara apud Mischna, VII, I, fol 86b).



Wünsche in 93 ° المقصود من هذه الميادين) لا أن حد الوبر لا يصحح حتى المبدأ وفي المقابل ، فإن التصور الطهري فيما يتعلق «بالشرعية» كدليل حتمي يقدم بالمقارنة مع بعد اليهود البسيط والقصبي بجميع الوصايا ، ذات أكثر قوة لتفعل الأيجاسي . إذ الصكرة الفائلة بأن النجاح يدس على البركة الإلهية ليست بالتأكيد عكس ما معروفه في اليهودية . غير أن مدلولها الأخلاقي البيني الثوري استناد إلى مفاسد حلالي مروج (في استخدام خارجي وداخلي) بسبب كل قرابة على صعيد النتائج [مع الطهري] حول هذه النقطة الحاسمة . إن ما هو جائر بلا جسي «المرتب» معوم على «الأخ» القريب . وبعد السب والنجاس في المجال الذي يس العمل فيه مطروحة بموضي به أن مياد قصية ، لا يمكن حيازة تماثلا في هذه الحالة مع المذهب الديني . كما لا يمكن أن يغطي دفعه بدولا منهجي في الحياة كما كان الحال عند الطهريين . حول جميع هذه القضايا التي تناوبها Schmitt نظريته غير دقيق في Die Juden und das Wirtschaftsleben ، ينظر دراسات الو دة اعلاه . أما التفاصيل فليس لها مجال هنا

هناك بذات الأخلاق اليهودية عربية لأو . وهذه ، فهي يعني تفليدونه إلى حد بعيد . وكذلك لا يمكن الدخول في تفاصيل التعيير العتيقة التي أحدثتها في الموقف « العالم النسخة المسيحية من الأفكار المتنوعة » بالعامة «وبالحلاص» . وهي النسخة التي يطوي على يدو . جديده «لماكانه التطور حول «م عويده العهد القديم» ، فزاد مع Ritschi Die christliche Lehre von der rechtfertigung und Versöhnung, II p 265

ينزل اليهود بالنسبة إلى الطهريين إلاكثر في حبه هذه الراسمالية التي ترفض هي انفسهم أن تكون مجسدة في نموذج الحرر . في العقود المتكررة في استكرار الدعوة ، في المضاربات ومفاهيم الملوك على صعيدي البناء والتهد يمكن في الواقع ، أن يصحح هذا التناقض بالسك التلي . عند «الاعتد النقط» الضرورية . إن الراسمالية اليهودية كانت راسمالية موجهة نحو المضاربات . أسمالية متوذي . أو الراسمالية الطهرية فهي تنظيم مرحو ري لتصل

(59) سجم حقيقه الكتابات المقدمة في رأي Baxter ، في التحليل الأخير . عن «التباين المظلي الذي يفصل «الإيمان الجديد» عن بقية الناس ، وعن الإهتمام الخاص جد الذي يعبه الو دة لملامح استاته «اهتمام يمكن أن يجنبي ألب عن طريق «الأحباب» Christian Directory I P 265

(60) بكفي تمديد ديت جيد ، النظر إلى الطريقة التي يتكيف فيها Bunyan مع حكمه العربي أو حتى الأعمال . وقد نجد عند نايلان هذا بعض القدره في السماح مع بدو في Freiheit eines Christenmenschen على سبيل المثال في «of the Law and a Christian» . حول انموذج والمسيحي « Works of the Puritan Divines. p 524 ) ونظر المظلة The pharisee and the Publican » ص 30) هناك قريبي هذا ٧٢ له لا يتبع حد وصايا الله ، وأنه شخص برصوح ولا يهم إلا «الأعمال» والتفاصيل الحارجيه ص 107 . ولكن لأنه شكل خاص يدر إلى نفسه فضيلة محصيه وأنه في الوقت نفسه يشكر الله ، ضمن طريقه «الصالحين» عن حصه حبه بدت لاسم الله . إنه يجسد هذه الفئنة بأسلوب ثم ص 20) . ويشكل حد الاصطفاة الذي ياعر به الله (ص 39) . إن صلاته حتى هي حادة بمصطفى . يتجسد رجل الأيمان . وحي . وقد ما يدس عليه صدق اعتراجه . وذلك لأنه « كما يقرر Baxter بطهري طهري عن الشعور الثوري بالحظية «يقاين

كل إدانة في مجال الخطيئة اعتقاد راسخ بوجود احتمال للرحمة».

(61) أعيد نشره في Gardiner, *Constitutional Documents*. يمكن اعتبار هذا الصراع ضد النسكية اللاسلطوية موازياً للاضطهاد الذي كان يمارسه لويس الرابع عشر ضد Port - Royal والجانسيين.

(62) كان موقف كالفن، من هذه الجهة، واضحاً في انكفائه، على الأقل في حدود ما دخلت في الحساب أشكال من اللذة أكثر أرستقراطية وإرهافاً. التوراة هي الحد الوحيد. مَنْ يتمسك بها ويتمتع بوعي جيد ليس مجبراً أبداً على أن يرتاب مغتماً بكل ميل من ميوله إلى ملذات الحياة. إن المذهب المعروف في الفصل X من *Institutio Christiana* من شأنه، هو ذاته، أن يترك الباب مفتوحاً أمام ممارسة من أكثر الممارسات تسامحاً.

وإلى جانب الغم المتزايد من يقينية الخلاص، ينبغي إبراز حقيقة كون البرجوازيين الصغار يشكلون العوامل الأساسية في تطور الأخلاق الكالفينية. وهذا ما سنشير إليه لاحقاً.

(63) يبدأ Thomas Adams (*Works of the Puritan Divines*, p. 3) إحدى العظات حول الأخوات الربانيات الثلاث («غير أن الحب هو الأكبر بينها») مذكراً بأن Pâris كان قد قدم التفاحة إلى Aphrodite!

(64) ينبغي ألا نقرأ روايات ولا ما شابه ذلك، فهي تبدد الوقت، (Baxter, *Christian Directory*, I, p. 51, col. 2). بعد انقضاء عصر أليزابيث في انكلترا كان من المعروف جيداً الوهن الذي أصاب، لا الدراما فحسب، بل الشعر الغنائي أيضاً والموسيقى الشعبية. ولم تجد الطهرية الشيء الكثير لتخفقه في مجال الفنون البلاستيكية. إلا أن ما يثير الدهشة أكثر هو انحطاط المواهب الموسيقية البارزة، (مساهمة انكلترا في مجال الموسيقى ليست قليلة الأهمية)، وصولاً إلى هذا الفراغ المطلق الذي وجد فيما بعد، وحتى في أيامنا، لدى الشعوب الأنكلوساكسونية. أما في أميركا فيكاد لا يسمع، معظم الأوقات، خارج الكنائس السوداء، باستثناء المغنيين المحترفين الذين تطوعهم الكنيسة وتقدم لهم الإغراءات، سوى زعيق لا يمكن للأذن الألمانية أن تتحملة، وذلك تحت اسم جوقة المغنيين (وهذا ما يصح جزئياً على هولندا).

(65) الأمر نفسه بالضبط في هولندا، وهذا ما أكدته نقاشات المجامع الكنسية (أنظر القرارات حول شجرة أيار في: Reitmass Collection, VI, 78, 139).

(66) يبدو معقولاً أن يكون «انبعاث العهد القديم» من جهة، والتوجه التقوي الذي خضعت له بعض المشاعر المسيحية المعادية للجمال، والعائدة في التحليل الأخير إلى تعاليم إسحق أول أنبياء اليهود وإلى المزمور XXII من جهة أخرى، أن يكون ذلك قد ساهم في جعل القبيح مادة فنية، وأن يكون الرفض الطهري لعبادة المخلوق قد لعب دوره، فوق ذلك. لكن ذلك يبقى من الناحية التفصيلية غير مؤكد. ففي الكنيسة الرومانية أنتجت دوافع مختلفة جداً ظاهرات متشابهة من الناحية الخارجية، ولكن مع نتيجة فنية مختلفة. أمام David و Saül عند Rembrandt، يعتقد المرء أنه يخضع مباشرة لتأثير العاطفة الطهرية الفعّال. إن التحليل الدقيق جداً للتأثيرات الثقافية الهولندية، في كتاب Rembrandt للمؤلف Carl Neumann، ربما يمثل كل ما بإمكاننا أن نعرفه راهناً عن احتمال أن يُنسب إلى البروتستانتية النسكية تأثيرات فنية خصبة.

(67) بدأت الروح النسكية تضعف في هولندا منذ بداية القرن السابع عشر ولا سيما في ظل ولاية الحاكم

Frédéric - Henri: الرعاية البروسية الإنكساريّة الملائمة إلى هذا البلد صدمهم بما لحق به من عذابات. البعث من مختلف يسر ياخذون أن يوسع هذا جو. اسير مع الحياة اليهودية الضعيف نسب الا حلال الكاثوليكية وهي أسامة جود جريا إلى التركيب السياسي كونه يه انجيه مرافق من مدن ومقاصد والى عبوة العنصرية الضعيف جد. قاطع حرب الاستقلال اموا: استرداميه وبحيوم مرور في يستشه المشرور في كثير عودج الجيش الهولندي يدين على حبه الانصار في ساس. هيد البكلي حيل بدل من حرم البديعية. و. حروب جرى. عدا ان يشاركه في السلطة السياسية ككتب في الوقت ذاته، مجارفة عم مضبوته وفي المقابل كانت قوات كروموويل يشعر بانها لم له. حيث من المواطنين قد حيد نسب فائيه جري. عنى أساس التجديد (يستحق حد البع مريد من الاهتمام، خصوصية وان هذا الجيش ذاته هو الذي وضع في برنامج إعادة الخدمة العسكرية لأنه لا يمكن التفتا إلا في سبيل مجد الله. فقالا يقوم. صحت في سبيل قضية معر فة لا مستحابة لرا. لاير. هيدت جيس. ب. بضمي المصغر في. و. خلافة. هيدت الأفكار الألمانية التقليدية كان يقوم تاريخ غير ذواته. خلافة. وكتب منظومة متطلبات جيش. من جرد. م. يعرفو الهزيمة. ولم يوضع حد الجيش في خدمة التاج إلا بعد عود النمكية

١٠. Schutter jen: تهوسيدير. حيد. سرو البكاليفه طيه م حيه الحرب كبرو. ي. ع. حيد جين. فقط من عداد سيودس Dor izenhi. يدور اقل وسكبه في حيد. F - antz esala. بعد فصح. سودسات سوكهم. هدمهم. انهوسدي Dettigbrand. عمل حيد. م. الاسماء البرجيه والحالاته من الاحساس تبيل. ويدور بوريد البروت حسب الظنونه الاجندعه في الكناز. انهوسدي. على طبيعة الدين. مستقر حيه. هدم. ي. " حيزا. على ايامه ايضا. ان استمر. الاقتصاد. يفي قوا. كبح الصناعه التي م. طور. ان. بعض المصالح. اي. طريقه مسته. يفي. ان. سكه. النهميه. تدن. الخلفيه. والقويه. في. هوند. كد. في. خارج. م. مارس. يتجر. م. التفره. به. حسم. لا. عده. بعضه. ديالتوير. النمكي. الجري. يدي. غير. حيه. ston an Prinsier. في. الحظ. المندكي. (بعد عم 87)

١١. الحيد. سبه. الكني. لاد. في. هيد. الكاثليه. يس. الطبع. م. ل. الصيده. ايند. (انظر مثلا Van Rembrandt. خيره. في. الما. Vnder Rupp. ان. معنى. الندي. الهولندي. عشاره. واعد. سكه. غير. التفره. بجني. بوضوح. نصافي. الغرب. انتم. عس. ميه. في. كند. Albertus Haller. حور. خصوصيه. المحكم. المي. وحور. ذواته. في. هولند. م. مع. ملاحضه. بني. صمها. Constan. tin Huyghens. من. سيرة. م. بير. عامي. 629. 16. و. مهنوره. في. Oud Holland. عام. 887. ان. كند. Groen van Prinster. هوند. ونائير. كالف. 864. المذكر. سبه. لا. يقدم. سينامه. باسمه. هو. صيف. ان. مهنوره. هولند. الجديده. في. اميري. صور. اجتماعي. كيطره. بعض. لاديه. لا. ريد. عمل. حيا. يقوم. م. تطوير. من. حال. خلافا. م. كات. عليه. نكلم. الجديده. حيه. كان. صمها. (فاج. م. سواد. السحب. بالإقامه. فيه)

68. ستم. ان. الصعب. الطهره. اقمه. م. Stretford Sut Avon. في. حيه. كان. كسبر. م. ي. ا. يقتضي. في. العديده. سواته. الاخره. و. م. صبح. سكمير. م. صه. على. كد. ح. الا. م. و. ع. حيد.



على الطهرين واحتقار لهم. وفي عام 1777 أيضاً رفضت مدينة Birmingham إجازة فتح قاعة مسرح بحجة أن المسرح يجلب «الخمول»، وبالتالي يضر بالأعمال والمشاريع (Ashley, Birmingham, Trade and Commerce, 1913).

(69) هنا أيضاً تكمن الأهمية في أنه لا يوجد بالنسبة إلى الطهرين سوى الخيار التالي: إما الإرادة الإلهية إما غرور المخلوق. لذلك يمكن أن تكون المسألة بالنسبة إلى الطهري مسألة لامبالاة في اللاهوت. وقد كان موقف كالفن، كما قلنا، مختلفاً إزاء ذلك. ما نأكله وما نحمله، الخ، لا يؤول إلى نتيجة طالما أن النفس لم تصبح عبداً للرغبة. وكما في حالة اليسوعيين فإن الحرية إزاء «العالم» ينبغي أن تتجلى من خلال هذه اللامبالاة التي تقضي، في رأي كالفن، باستخدام الثروات التي تقدمها الأرض استخداماً خالياً من الرغبات ومن العاطفة. (ص 409 من طبعة *Princeps de l'Institutio Christiana*) - إنها وجهة نظر أقرب، في الواقع، إلى لوثر منها إلى نزعة الدقة عند الورثة.

(70) إن موقف الصاحبين معروف إزاء ذلك. ولكن، منذ بداية القرن السابع عشر، وعلى امتداد عشر سنوات، أية عواصف هزت طائفة منفيي أمستردام، بسبب فنون التأنق التي وضعتها زوجة إحدى المبشرين على اختيار الفساتين والقبعات (يوجد وصف مسلي عند Dexter: Congregationalism of the last Three Hundred Years). كان Sanford (م. ن) قد لفت النظر إلى أن تسريحة الشعر لدى المعاصرين تذكر بأصحاب «الرؤوس المستديرة» المثيرين للسخرية، وأن ثياب الرجال من الطهرين، المضحكة هي أيضاً في حينه، موجودة، في الأساس منها، في أنماط الثياب التي نلبسها.

(71) حول هذا الموضوع، أنظر ثانية مؤلف Veblen الذي سبق ذكره: The Theory of Business Enterprise.

(72) سنعود إلى هذا الموقف مرات عدة، فهو يضيء أقوالاً كهذا القول: «إن إنفاق أية قطعة نقود على نفسك وأطفالك وأصدقائك إنما يتم بمشيئة الله، ومن أجله وفي سبيل إرضائه. لكن، لا بد أن يكون الإنسان حريصاً على ممتلكاته، وإلا فإن المتطلبات المادية لا تترك للرب شيئاً» (Baxter, op.cit. I, p. 108). ملاحظة ذات أهمية: إن ما نستخدمه لغايات شخصية هو على حساب مجد الله.

(73) غالباً ما نذكر، عن حق، أن كرومويل أنقذ من التلف محاولات Raphaël ولوحة انتصار القيصر Mantegna التي بذل Charles II جهداً لكي يبيعها. وكذلك فإن الملكية العائدة بقيت محايدة تماماً، بل معادية، إزاء الأدب القومي الانكليزي. والواقع أن تأثير ملوك Versailles على البلاطات كان كبيراً. ليس ممكناً، في حدود هذه الدراسة أن نحلل، بالتفصيل، العقلية التي تحولت عن اللذة العفوية في الحياة اليومية، وعن التأثير الذي مارسه على أكبر ممثلي الطهرية، وعلى كل الذين مروا في مدرستها. عبّر W. Irving بهذه الكلمات الإنكليزية الشائعة: [بالنسبة له: الحرية السياسية هي الطهرية]، أظهرت Bracebridge Hall أنها أقل تلاعباً بالوهم وأكثر قوة في الخيال. يكفي التفكير بالموقع الذي يحتله الاستكلنديون في مجال العلوم والأدب والابتكارات التقنية، وكذلك في مجال المشاريع في انكلترا، للتأكد من أن هذه الملاحظة قريبة من الحقيقة، وذلك رغم صياغتها المحدودة جداً. لن نتحدث هنا عن مدلولها بالنسبة إلى تطور التقنية والعلوم التجريبية: فهذا المدلول يبرز في الحياة كل يوم. ويعدد Barclay أشكال التسلية التي يبيعها الصاحبون: الزيارات للأصدقاء، قراءة المؤلفات التاريخية، التجارب الفيزيائية والرياضية، العمل في الحديقة، مناقشة مواضيع تتعلق



الصرف في قتل الجسد) وهو دافع كثير الوضوح عند الصاحبين .

(81) يرفض باكستر ذلك انسجاماً مع مبدأ مماثل لما عند اليسوعيين : إعطاء الجسد ما يعود إليه تحت طائلة التحول إلى عبد له (راحة القديسين الأبدية . *Saint's Everlasting Rest*, p. 12).

(82) يوجد هذا المثال الأعلى بوضوح ، من الأساس ، عند الصاحبين . هذا ما بينه Weingarten في كتابه : «الثورة الكنسية الانكليزية» . أما Barclay فهو يعطي ، من جهته ، فكرة عنه واضحة جداً في عرضه المفصل (م . ن . ص ص . 519 ، 335) . ينبغي تفادي :

1 - أباطيل العالم ، أي كل فخفة أو تباهٍ ، وكل زينة رخيصة ، وكل الأشياء التي تُستخدم من غير ما هدف عملي ، أو التي تُقدَّر فقط على أساس ندرتها (إذن تباهياً) .

2 - استخدام الثروة استخداماً طائشاً ، على غرار النفقات المفرطة مقابل حاجات ثانوية ، بديلاً عن نفقات ضرورية لإشباع الحاجات الأولية وتبصراً بالمستقبل . إن الصاحب يمثّل أذن قانوناً حقيقياً متجولاً يتعلق «بالمنفعة الهامشية» . الاعتدال مجاز شكلياً ، ولكن من غير المسموح إيلاء الأهمية إلى متانة النسيج ونوعيته ، إلا إذا لم يؤد ذلك إلى الوقوع بالغرور والتباهي . لمزيد من التفاصيل أنظر ، *Morgenblatt für gebildete Lesser*, 1846 ص 216 . وخصوصاً حول نوعية النسيج ومتانته عند الصاحبين ، قارن مع (Schneckenburger, Vorlesungen, p. p. 96) .

(83) أشرنا سابقاً إلى أنه ليس بإمكاننا هنا نقاش موضوع العلاقات بين الانتماء إلى بعض الطبقات الاجتماعية وبين هذه الحركات الدينية . (حول هذا الموضوع أنظر دراساتي بصدد *Wirtschaftsethik der Weltreligionen*) . حتى ننتبه إلى أن Baxter ، الذي نعود إليه كثيراً في هذه الدراسة ، لم يكن يرى الأشياء من زاوية الإنسان البرجوازي في عصره وحسب ، ينبغي أن نتذكر أن القائمة [التنازلية] المتعلقة بأنواع الأعمال المباركة عند الله تتضمن بعد المهن العلمية مباشرة ، مهنة المزارع وبعدها البحريين والجواخين ، والكتبيين والخياطين ، الخ . كما أنه يفكر بشكل ملحوظ بالصيادين ومجهزي السفن حين يشير إلى البحريين . انظر في هذا الصدد بعض حكم التلمود . قارن مثلاً مع Wünsche, Babyl. Talmud II, I, pp. 20, 21 ؛ آراء R. Eleazar التي لا تفسح مجالاً للتناقض وتنطوي جميعها على المعنى التالي : إن التاجر هو أفضل من المزارع . (إلى أجل متوسط المدى ، وحول التوظيف الحكيم للرأس مال : ثلث في الأراضي ، ثلث في التجارة وثلث نقداً) .

بالنسبة للذين لا يمكن لإدراكهم السليم أن يتجاهل التفسير الاقتصادي (أو «المادي» حسب ما يواصل البعض القول بكل أسف) ، لنوضح أنني أولي أهمية كبيرة لتأثير التطور الاقتصادي على مصير الأفكار الدينية ؛ سأحاول لاحقاً أن أعرض كيف تكونت ، في الحالة الراهنة ، عمليات التكيف والعلاقات المتبادلة . غير أن الأفكار الدينية لا تُستخرج ببساطة من الظروف «الاقتصادية» ؛ فهي تحديداً - ولا حول لنا في ذلك ولا طول - العناصر الأكثر رسوخاً وعمناً في عملية تكون العقلية القومية ، وهي تحمل في ذاتها قانون تطورها وتمتلك قوة قاسرة تخصها وحدها . أخيراً ، إذا ما تدخلت عوامل خارجة عن الدين ، فإن أكثر التباينات أهمية - بين اللوثرية والكالفينية مثلاً - تتحدد من خلال الشروط الاقتصادية .

(84) هذا ما فكر به Eduard Bernstein عندما كتب في البحث المذكور أعلاه (ص ص . 625 ، 681) :

«إن النسكية هي فضيلة برجوازية» . إن بحثه هو الأول الذي أشار إلى هذه العلاقات المهمة . إلا أن الروابط هي أوثق بكثير مما توقع . وما هو حاسم ، في الواقع ، ليس فقط مجرد تراكم رأس المال ، بل





(91) يتكرر هذا التناقض دائماً في بحث Doyle . فقد لعبت الدوافع الدينية دوراً مهماً (لم يكن دوراً الوحيد ، وهذا أمر مؤكد) في تحديد سلوك الطهريين . كانت تميل المستعمرة (في ظل قيادة Winthrop) إلى إجازة إقامة جنتلمانات في Massachusetts ، شرط أن يوافق الأسياد على انتسابهم إلى الكنيسة . حفاظاً على النظام في الكنيسة ، كان يتم الاعتماد على مستعمرة مغلقة . إن استعمار New-Hampshire و Maine هو من عمل كبار التجار الانكليكانيين ، الذين أقاموا فيها مشاريع واسعة لتربية المواشي . ولم يكن بينهم وبين الطهريين سوى علاقات اجتماعية ضعيفة . وبدأت تُرفع ، منذ عام 1632 ، شكاوى ضد جشع سكان انكلترا الجديدة الكبير على صعيد الكسب (انظر : Weeden ، *Economic and Social History of New England I*, p.125 تاريخ انكلترا الجديدة الاقتصادي والاجتماعي).

(92) هذا ما أشار إليه Petty . جميع المصادر المعاصرة تضع المتعصبين الطهريين والمعمدانين والصاحبين والمينونيين إلخ ، باعتبارهم ينتمون ، من جهة ، إلى طبقات فقيرة ، ومن جهة أخرى ، إلى شرائح من صغار الرأسماليين ، في مواجهة ارسقراطية كبار التجار ، ومغامري النشاط المالي . غير أنه من هذه الشرائح بالتحديد ، شرائح صغار الرأسماليين ، لا من الاشراف : المحتكرين ، ممولي الدولة ، المقرضين ، المقاولين الاستعماريين إلخ ، قد نشأ ما شكل ميزة الرأسمالية الغربية : التنظيم البرجوازي للعمل الصناعي على قاعدة الاقتصاد الحر والملكية الخاصة (انظر : Unwin و *Industrial Organization in the sixteenth and Seventeenth Centuries*, London 1914, pp. 196 Sq q). إنه تناقض غير مفهوم أبداً بالنسبة للمعاصرين ؛ قارن في هذه المسألة مع Parker : (*discourse Conserving Puritans 1641*) الذي يشير أيضاً إلى التباين بين واضعي المخططات والممالقين .

(93) حول الشكل الذي تجلى فيه ذلك خلال القرن الثامن عشر على صعيد سياسة بنسلفانيا ، ولا سيما خلال حرب التحرير ، انظر : Sharpless : *A Quaker Experiment in Government* (philadelphia 1902).

(94) اورده Southey : (*Life of Wesley*, chap XXIX ، ط 2 ، اميركية ، II ، ص 308) . إنني مدين لهذا المرجع ، الذي كنت أجهله ، في رسالة الأستاذ Ashley (1913) . كان Troeltsch الذي اتصلت به بهذا القصد ، قد وجد فرصة للاستشهاد بهذا المقطع .

(95) إن قراءة هذا المقطع هي أمر مطلوب من جميع الذين يرغبون في التزود بمعلومات حول هذا الموضوع ، ويرغبون في أن يكونوا أكثر اطلاعاً حول هذا الموضوع من المعاصرين ورؤساء الحركات بالذات . إن هؤلاء يعرفون جيداً ما يفعلون وأية مخاطر تحديق بهم .. ومن غير الجائز الاعتراض بخفة ، كما فعل بعض منتقدي ، على حقائق ثابتة لم يكن دوري سوى البحث بعناية عن آليتها لداخلية . لم تكن هذه العلاقات موضع شك من أحد في القرن السابع عشر . قارن مع : Manley (*Usury of six per cent Examined 1669* ، ص 137) . إضافة إلى مؤلفين حديثين سبق ذكرهم ، اعتبرها شعراء مثل Heine و Keats ، ومؤرخون مثل Macaulay ، Cunningham ، Rogers ، وأديب مثل Matthew Arnold بمثابة أشياء بديهية . من بين المؤلفات الأكثر حداثة أنظر Ashley (*Birmingham industry and Commerce 1913*) . لقد أبلغني الأستاذ Ashley

انه كذا، معقد، معي حين جميع عناصره، هو هذا الموضوع بصفة عامة، بار، صالبا مع دراسة  
 1887 المذكورة أعلاه، ملاحظة رقم 90

1966 في أكثر دلائل على دعيه هذه العلاقات بالنسبة إلى التطوير في العصر الكلاسيكي من البرهنة  
 التي قدمها M. Money-Love، عبد Bunian ويبيّن أن تصبح منبذين لكي يصبح حينها حري  
 بعد الرياء مثلا، أما السبب الذي من حده يصبح منبذين فهو سبب معيّن، طر في 184 في  
 طبعة (Tauschnitz)

(1971) كار Defoe غير الميكانيكي ومنعكس ثوري

1981 إن Spenser من جهة واحدة يعتقد أن هذه الناحية معينة بالأحرى، لا يمكنه قد حذر  
 على سوا شرح عليه، وهي موضح جيد إلى أن صديقي العزيز لا يحفظ انجازه، لا يكون بل بعد  
 طريقه في الحياة، بذكر من حالاتها "أنا أبحث الحق في سرية" "أنا أبحث للحب أن يحارص حذر"  
 "أنا أبحث هذه المعركة معنوية في مصاص "حري بصفته أكثر شندد، حرما، لا يسلط حرج من كانبية  
 يرفض Spenser جان الرعة في الرء، "أنا أبحث في الميكيدة المثالي التي يسمى الآخر من  
 ربي وجهة نظر "سباغ الحجاز" 436 p، "Theologische Hedenken"

وعد ما يظن من دعيه حري حين يذكر أن مقتضيه يفسر في حده يفسر أنظر علاه حذر  
 35 "النزوة" كمتحدة بعض مهمي من حده، لا أخرج بالنسبة له أية مسكنة، ويقدر وجهه نظره  
 أقل منسكا من وجهه نظر Baxter

(1997) يحدد Baxter دم ب د ح 16 من بوطيه، شخصان بند ثلثا، كالي بصفه حده يفسر، يريثا:  
 الحزم الرباني

وإنما كنم، فإن علامه هذه العاص أو حد شبه سبب الآخر، الحارجي بالإيمان إلى صميمه، لا شبه في  
 بكية، حده يقوم "الحزم الإلهي الحقيقي" بحتك، مطيع الله، وكان به بصفه قد صلت منه دنته  
 يستخلص: "عند الخ عه ومضال، مستخدم بكتس هاسلر متير أما (Theologische Spenser  
 Biddaen. Eil. p 772 الذي يصبح كل واحد: "أنا أبحث الكافي بكتسير بالله، فهو يفسر من  
 طبعا كتبه "أنا" سببا، قليلة جد، بعد في دنت علاه، عطلة الأح، وفرد حده من لوه، حذير  
 على حين من درود الحزم حذير، على المهاجرين البروتستانت نظام أيضا 1877  
 Grundlagen des okonomischen Theismus unter Geschichte der englischen Volks-  
 wirtschaft p 93

1. التماثل بين جبرية العصر وغير فعليه، حده، حكم الدسي، وبين نوع النزوة، وحده أيضا  
 صرح حده بكنه بارده من الله، هو أن دعي حده، انهم على سبيل المثال Etkonenbeek م  
 ص 153 وكذلك فإن المقار غالب ما يكون علامه كس أليم (Baxters م د I، ص 380)  
 2) يعتقد Thomas Adams (The Puritan's Journey) 1965 أنه قد برز الله كبر من  
 الناس في حالة العصر، من لا هو لا، يحكمهم مصوفة عواد، العبي، وأجاب حده من نظره النزوة  
 الشعور الديني الكافر في الإنسان

(1971) نظر علاه بحتك رقم 45، ودر به 1877 في المذكور، فيها، الحالة بعضها في جميع التفسيرات  
 (وهي في ذلك تفسير Manly فيما يتعلق بالهوغوت)



(103) إن عناصر مماثلة كانت موجودة في انكلترا . على غرار هذه التقوية التي انطلقت من (Serious Call ، 1728 ،) وراحت تعظم الفقر والعفاف والعزلة عن العالم .

(104) إن نشاط Baxter في صفوف Kidderminster ، الطائفة التي كانت غارقة في الفساد قبل وصوله ، هو مضرب مثل على الطريقة التي كانت النسكية تربي فيها الجماهير ، في سبيل العمل (أو بتعبير ماركسي ، في سبيل إنتاج «فائض القيمة») ذلك أن نجاح باكستر كان فريداً تقريباً في تاريخ الكهنوت الرعوي ؛ وقد جعل ممكناً لأول مرة استخدام أفراد هذه الطائفة داخل العلاقات الرأسمالية في العمل (العمل المنزلي ، الغزل إلخ .). المسألة هنا هي ، بشكل عام ، مسألة سبب ونتيجة . يمكن لباكستر ، من وجهة نظره ، أن يدفع الذين يتولى أمرهم إلى الانخراط في عجلة الإنتاج الرأسمالي ، بهدف خدمة المصالح الدينية والأخلاقية . ومن وجهة نظر التطور الرأسمالي ، فإن هؤلاء يدخلون في خدمة «روح» الرأسمالية في صيرورتها .

(105) فوق ذلك ، من الجائز التساؤل إلى أي حد أمكن «للملذات» التي أضجر أسماعنا الكلام عليها ، أن تكون عاملاً بسلوكياً مهماً . لقد جرّدت النسكية العمل ، على كل حال ، من هذه اللذة الدنيوية . أما اليوم فقد دمرتها الرأسمالية تدميراً نهائياً . إن ممارسة مهنة ما هي ، بصفتها هذه ، أمر يريده الله . فالميزة الشخصية للعمل ، وعشيتة الخالية من اللذة ، قد خضعا ، من وجهة نظر الفرد ، للتشويه الديني . لقد كانت الرأسمالية ، في أساسها ، بحاجة إلى عمال يضعون أنفسهم في تصرف الاستثمارات الاقتصادية ، من أجل إراحة ضمائرهم . أما اليوم فإن هذه الرأسمالية متمكنة من نفسها ، وبإمكانها أن تشرك في طلب الخدمة ارادة العمال في العمل من دون أن نكون بحاجة إلى وعدهم بمكافآت في الحياة الآخرة .

(106) حول هذه التناقضات وهذه التطورات أنظر كتاب H. Levy المذكور آنفاً . إن العداء المستحكم الذي يكنّه الرأي العام ضد الاحتكارات - وهي ميزة انكلترا في القرن السابع عشر - يجد جذوره التاريخية في خليط من دوافع أخلاقية طهرية ومن قوى سياسية متحمسة للإمساك بزمام السلطة والمقاتلة ضد التاج - لقد طرد البرلمان المحتكرين من بين صفوفه - ومن مصالح اقتصادية برجوازية متعلقة برأس المال الصغير والمتوسط ، وهي مصالح ترتفع في مواجهة أرباب المال . إن إعلان الجيش في 2/8 1652 كان يستهدف الغاء الرسوم والجمارك والضرائب غير المباشرة ، وفرض رسم موحد على العقارات . إلا أنه كان يطالب أيضاً بالغاء كل الحواجز الاحتكارية التي تعيق عملية الكسب في البلاد وخارجها ، هذه الحواجز المزعومة كانت تعتبر مغتصبة حقوق الإنسان [الطبيعية] .

(107) قارن مع H. Levy : «تاريخ الاقتصاديات الحرة في الاقتصاد القومي الانكليزي» .

(108) أن تكون العناصر البعيدة عن جذورها الدينية ذات أصول طهرية ، فهذا ما يعود إلى نسق من العلاقات

مختلف اختلافاً طفيفاً . (انظر الدراسة التالية) . إنني اكتفي بملاحظة (Quaker-، J.A. Rowntree

(95 - 96 pp. Past and Present) التي لفت نظري إليها Eduard Bernstein : «هل هي

محض صدفة أم نتيجة أوجدتها المهنة السامية للروحانية بواسطة الصاحبين والتي سارت ، يداً بيد ، مع الدهاء واللباقة في التعامل مع الأمور الدنيوية؟ إن التقوى الحقيقية هي في نجاح التآمر في تأكيد نزاهته وتربية عادات الحرص والتبصر التي هي أمور مهمة للحصول على ذلك الدعم والرصيد في العالم التجاري ، فهي لوازم لتراكم الثروة .

كتاب جواره دهره كهوجوي - سبحانه في المذم السامع غير متضمنه معنى المنع السائر او الحكمة  
 تسجيده على عر رما كان عليه من جنوم الهندسيين بلغوا - حراف كان قد عجب W Temple  
 وما يماثله عند الاكبر بعد فر من الرمن بالعباس إلى الأوروبيي الذي لم يكونوا قد عرفوه بعد مثل  
 هذه التريه الاعلاقية

١٩) (١٩٠٠) وهو من خلفه جيد (Bielechowski) في كتابه Goethe II الفصل XVIII حول موضوع طو  
 والكوبه العلمي عبر Windelband عن فكره فريه حد في نهاية كتابه Blütezeit der deutschen  
 Philosophie ٢٤١ de la Geschichte der neueren philosophie

٢٠) راحة للتدريس الايديه Saints & verlaug Rest Chap XI

٢١) ومع دولا انه !! ٢٥٠٠٠ الدسور - الا يمكن نتجوا ان يعال إلى انقضاء؟ لأن ذلك يفصلي على  
 كل شيء ، يقول - وعنده ياتي المسند ، ونأخذ - راحة وسته بالمع ، مع ، وده الرعبه في اليوم  
 وبها - الاحد ينظم إلى الساعه كز غصن دافو

٢٢) به جيه مسند ، هذه العبر - حصر - يصور المهاجر في الميديا حكمة على والده حنه وهو  
 انحكم عي وحده الآخر من جابه حير مفهوم والذي حيره مومر علم بعض في الحيره عند  
 الألمر

٢٣) إن هذه ملاحظة وحدها التي مركتها دون تغيير في هذه الطبعة الجديدة من سندها أن بين د  
 Brechtano دم ن أني لم أنتك اند مديونها المستقل بعد أنكر Bonnsky حديثا مره نانه  
 ويحده إلى أن الاستويه بسند هي أيضا عقلايه صالحه

٢٤) بن حطب von Below الأكاديمي ٩٦ Die Lesarten der Reformation Fibourg  
 بمالح هذه الموضوع بل موضوع الإصلاح شكلا عام ونيو عن الموضوع في معنى بالتضاد  
 انتمزوجه ها لا ميها السحال التي د ر حول موضوع الدراسة انحالاه ، محيل إلى كـ  
 Reformation und Gegenreformation. Hermelink المحصن على كل حال ، وبالمدرجه  
 الأولى نمر أصبح مختلفه

٢٥) في النصفه م تأخذ هذه اند امه في الاعبار سوى العلاق - انني كوك فيها تأثير الأفكار الدينيه على  
 الحضاره الماديه من مركز - وخلافه من ذلك كان من السهل الانتقال إلى دينه سكي ، يمكنه  
 ان يسهل سكين سطفي من العلاقيه البروسيه كل ما يعبره المعرفه الحديثه - ولكن لنترك  
 حد نهوكة الدين باعتقاد وبرسده - نسبه حمايه - يمكن حرافها في صيغه ميهه  
 سكينتي مار لاحظ - كما يبيي ان بعضهم - ان الم حله الفائده هل ننت التي دسند كانت  
 سمنقه على صعيد التطور الرسامي في جاد منها بالتأثيرات المسيحيه التي عرفتها حب  
 دساعدها حب غير - ان يحدد طبيعه هذه التأثيرات سيكون موضوع فصل لاحق وفي لغاه - ليس  
 من المؤكد ان موضوع مر حده المواضيع المبروجه مستحضر يمكن ان يتلقى في صحنه كهده  
 (1904) وذلك بعد - بالاعتبار المسائل المكره بها - حير أي أميل فيلا إلى كتبه المعجده  
 الطبعه التي عرض عنها في حلاله ماثله ، والتي يسي ، في المعاديل أو سند إلى أعمال  
 الآخرين اللاهوتيه والتاريخيه (بعد ترك هذه السطور - كما هي ٩20 ا)

حول النور العالم يوم الحفل والمهرجه في عصر دار اسماليه البدائيه السند على الإصلاح الديني ،

انظر الآن Strieder (Studien zur Geschichte der Kapitalistischen organisationsformen, : Livre II, 1904 وكذلك في مواجهة كتاب Keller المذكور أعلاه الذي استخدمه Sombart . (115) كان يمكن أن اعتقد أن هذه الجملة والملاحظات والهوامش التي تلتها على حدة يمكن أن تكفي للتنبيه لأي سوء تفاهم حول الموضوع الذي حاولت معالجته في هذه الدراسة . ولست أرى أي دافع للإضافة [1920] . وبدل أن أكمل هذه الدراسة بالتممة المقررة لها أصلاً ، وفي إطار البرنامج المحدد أعلاه ، قررت في حينه أن أقوم ببعض الدراسات المقارنة حول العلاقات بين الدين والمجتمع في التاريخ العام . كان ذلك لأسباب طارئة ، ولا سيما بعد صدور كتاب Troeltsch : *Die Soziallehren der Christlichen Kirchen und Gruppen* الذي عالج بعض النقاط التي كان عليّ معالجتها ، وبأفضل مما كنت سأقوم به ، مع أنه لم يكن لاهوتياً ، وأخيراً ، لكي أعالج العزلة التي وقعت فيها هذه الدراسة ، وأعطيها مكانها في تاريخ الحضارة . وسنجد هذه الدراسات لاحقاً . لقد أعقبتها بمحاولة موجزة مخصصة في آن واحد لتوضيح مفهوم الطائفة أو الملة المستخدم أعلاه ، وللإشارة إلى مدلول التصور الطهري عند الكنيسة بالنسبة إلى الروح الرأسمالية في الأزمنة الحديثة .



## العوائف البروتستانتية

### ورود الراسمالية

طبعة حديثة جديدة وعقدته بمقالة نشرت في Frankfurter Zeitung ، عند عيد الفصح من عام 1906 ثم أعيد نشرها مرة أخرى في Christliche Welt ، من 588 إلى 597 ، تحت عنوان Kirchen und Sünden. أحدث مرات عديدة إلى حد الجذب الحالي الذي يكمل الدراسة السابقة. إن أكثر مصادره تؤكد إلى أن مفهوم الطائفة (في مواضع مفهوم الكنيسة) الذي توسعت في درسه قد جرى بيته واستعداده بين الحين والآخر ويكتفي رصاي من دين Teutsch في Sündenlehren der christlichen Kirchen ، حيث تناول هذا الموضوع بمحو أن التقاليد حول المفاهيم يمكن أن تختلف خصوصاً وأنني نكلم في الحاشية رقم 174 من الفصل الثاني من الدراسة السابقة عت لا يمكن الاستغناء عنه

عرفت الولايات المتحدة من بعيد بعد الفصل بين الكنيسة والدولة وهو فصل عني مسئول من الصحافة بحجة أن أي شخص سمي بمعتقد غير موجود كما أن حجة استند إلى المواضيع جو معتقداتهم أمر بفساد من جانب الدولة مخالف لقانون من نصوص أهمية هذا الجدل الضمنية في العلاقات بين العوائف الدينية وبين الدولة<sup>(1)</sup> بل سنهت بالأحرى بحقيقة أخرى هي ، عند لأشدها الذين كانوا ، صديق قرون عمو الأكثر ، ٧٠٠٠ بومبا بأي دين. كان يُقدر حوالي ٦٠٠ ألف مرة [عدد السكان وديت بالترجم من أن الدولة بحجز الأديان جعلاً مطلقاً وبمسح عني حكس ما كان يجري في حية في كل أو. وبالعرب من أن تعرض كل بومبا الفصائل المتبقية على بعض الكنائس ذات لأعبار وبالرغم يصر من وجود هجرة هائلة<sup>(2)</sup>

بالإضافة إلى ذلك ، يستدعي الانتهاء إلى طائفة دينية معينة عبء ماليه أكبر مما لا يقاس مما هو معروف في ألمانيا بالنسبة للهجرة بشكل خاص والدين عني ذات سموريات متائلة المسورة كما أنني عرفت شخصيات من بين حالات أخرى في مدينة عني صحاف بحجم يريه كانت. خد به ما فيه بكميتها من خصائص مهاجرين من ألمانيا يحصل حجم مباهمة تسوية في حياض الكنيسة إلى ما يقارب 80 نولا ، في حين كان متوسط الإنفاق يصل إلى 1000 دولار نكل يعرف أن المتطلبات المالية في ألمانيا كانت أقل من ذلك بكثير وأرد بالنسبة إلى هجرة كتيمة بمحو عمو خدح كيسيهم بضع هذا جواب أن مبالغ كان قد از الولايات المتحدة منذ خمسة عشر أو عشرين عاماً قبل أن تد عممية أوربة البلاد حديث لم يكن يقوه - يسبح هذه الشعور بالانتماء الديني المسيطر في الأقطار التي لم - خو ، جوحة المذهبين - عهد عني ذلك حكيات سفر قديمه صالمة مع فترة السور لأحيم - كان هذا الشعور فيما مضى

أكثر عمقاً وثباتاً . لن نهتم هنا إلا بوجه واحد من وجوه هذه الحالة .

منذ جيل واحد على الأكثر ، أي عندما بدأ رجال الأعمال يقيمون في هذا البلد بحثاً عن إقامة علاقات اجتماعية جديدة ، كان عليهم أن يجيبوا عن السؤال : «إلى أية كنيسة تنتمي؟» إنه سؤال رزين ناجم في الظاهر عن الحاجة ، غير أنه ليس من فعل الصدقة وهذا أمر واضح . تمت المحافظة على هذا التقليد القديم بقوة حتى في بروكلين Brooklyn ، المدينة - الشقيقة لمدينة نيويورك ؛ غير أنه كان ملاحظاً على الأغلب في المناطق الأقل تعرضاً لتأثير الهجرة . الأمر الذي يذكر بإحدى طاوولات الضيافة الاسكتلندية النموذجية ، حيث كان على المهاجر القادم من القارة ، منذ ربع قرن ، أن يجيب ، نهار الأحد ، عن هذا السؤال الذي تطرحه إحدى السيدات : «أية صلاة ستحضر اليوم؟»<sup>(4)</sup>.

إذا تفحصنا المسألة عن قرب أكثر ، نتأكد بمزيد من السهولة أنه في حين كانت السلطات الأميركية ، كما ذكرنا ، لا تطرح أبداً السؤال حول الانتماء الديني ، كان هذا الانتماء موضوع نقاش في الحياة الاجتماعية أو المهنية اللتين تخضعان لعلاقات ثابتة وللسمعة الحسنة . لماذا؟ بعض الملاحظات الشخصية أولاً (1904) ، محاولة منا لجعل هذا الواقع مفهوماً . خلال رحلة طويلة بواسطة القطار عبر ما كان حينئذ جزءاً من الأراضي الهندية ، كان كاتب هذه السطور يقيم في المقصورة نفسها مع أحد ممثلي شركات الحفر بالمعدن على شواهد القبور ، وقام عرضاً بحركة تعبر عن شعور ديني استمر تأثيره قوياً . بماذا رد السائح التاجر ؟ : «سيدي أظن أن بإمكان كل منا أن يعتقد أو لا يعتقد بما يعجبه . ومع ذلك فإنني ، إذا ما التقيت بمزارع أو بتاجر لا ينتميان إلى أية كنيسة ، فإنني أؤمنهما على أي مبلغ . فما الذي يمكن أن يحثهما على أن يدفعوا لي ويسددا ما عليهما إذا لم يكن كل منهما مؤمناً؟ المسألة ليست أيضاً سوى تحفيز غامض وعابر .

تصبح المسائل أكثر وضوحاً ، مع الحكاية التي رواها لي طبيب ألماني المولد ، مقيم في مدينة كبيرة على ضفاف أوهايو Ohio ، عن أول زيارة قام بها مريض إلى عيادته . كان المريض ممدداً على الديوان بناء على طلب الطبيب الذي كان يتهاى لفحصه بواسطة مرآة أنفية عاكسة . عندما انتصب المريض ليقول بقوة وعزة نفس : «سيدي إنني عضو في الكنيسة المعمدانية في شارع . . . .» كانت مفاجأة الطبيب : أية أهمية يمكن أن يرتدي ذلك ، إزاء إصابة أنفية وعلاجها ؟ راح الاختصاصي يستعلم عن ذلك سراً أمام زميل أميركي أخذ يشرح له ضاحكاً : «يعني ذلك ببساطة : لا تقلق حيال اتعابك» ولكن لماذا تنطوي هذه الجملة على هذا المعنى بالتحديد؟ إن واقعة ثالثة ربما توضح لنا الأمر .

بعد ظهر يوم أحد مشرق وجميل من بداية أكتوبر/ تشرين الأول ، كنت أحضر احتفالاً معمدانياً لدى طائفة معمدانية . وكنت بصحبة بعض الأقارب - مزارعين في غابة صغيرة ، غير بعيدة عن م . . . (مركز القضاء) في منطقة كارولين الشمالية ، بالقرب من مستنقع يصب فيه نهر ينبع من Blue Ridge Mountains ، العبال التي نراها عن بعد . تراكم الجليد خلال الليل

وبقي الطقس نازداً في حواره على سفوح المسجد، كذب جماعة من المراهقين فادعوه مع عائلاتهم  
في عريانتهم المحببة داب اندو لا يرس - بعضهم كان يسي حياً من مناطق كثر بعدد - وقف المبشر  
لا انبوب الأسود في جسدك حتى خاضعته بعد عينياب بحصير منعجه دخل عسره من  
الرجاء والسوء المسبب وهم تكمل ثباتهم الواحد بعد الآخر ثم رجو يعترفون ثم يهاجم  
يعطسبون ويقتلون والسوء بين يدي المبشر سم رايانهم يظهره ويخرجوا من الماء وهم  
بمضغون ويخفون داخل بيابهم سببهم روح الجميع ويهوسهم ثم يعلو سرعه بأعنيه  
سميكة وعيدو بن منارهو «البراب» بالفرح حي كان حد الأقارب الصبل النعنى لاكتبروس  
حسب التقيد لأناني يظهر ويصحب احتفار حلف طوره<sup>١٤</sup> مع يلاحظ نائبه حد<sup>١٥</sup> حار وهم يعطس  
انظم إليه ، قد غيب دة<sup>١٦</sup> انتهى الاحتفال رجب اسائه وتماد اقترع ان حد كان  
يحمد<sup>١٧</sup> ، فاجابي ددك لأنه يريد أن يبعث بك في م - وهل يوجد عدد كبير من المعمدانين  
في المنطقة يكمي سبكيه من نامي عيشه<sup>١٨</sup> ، بالطبع لا ، ولكن بعد ان يغمد ، الآ سبكيه به رمان  
من كاده الانحاء ولا سب انه سيجني على جميع مناصيه<sup>١٩</sup> سو الي انثالي هو ساد<sup>٢٠</sup> وبنيه  
وسببه<sup>٢١</sup> فاجابي بالمنطقه التاليه . ب الموافقه على دخول احدهم في الطائفة المعمدانيه السحليه  
التي ما زال مقيده يدقه بالعاليه الدينيه ، لا يسم ولا بعد عمليه خبيد رقيق - حادث مفرطه في دنياه  
حوس سموز السمند سد نظفونه لأوى (مبند غير مستظم - ارباد الكاباريها<sup>٢٢</sup> ؟ ارفص<sup>٢٣</sup> ؟ المسرح<sup>٢٤</sup> ؟  
العاب جحف<sup>٢٥</sup> عدم الانضباط في الدع<sup>٢٦</sup> ؟ ص<sup>٢٧</sup> ؟

وحدث يكون الانسب إلى طائفه معادلاً لذكفاله منطقه على صعيد المر يا الأخلاقيه التي يتنصع لها  
السيد المحتفل ، ويسكن حاض نند<sup>٢٨</sup> التي نظفها الشو و الأعمال - سم ان حد السيد بعكس ان  
يكون مكفولاً بوانع من كاده انحاء المنطقه ، ورحب غير محدود لا ينافيه عليه منفس<sup>٢٩</sup> انه حد  
الآن درجل ناضج<sup>٣٠</sup>

بعض الملاحظين اللاهقه فاجابي ان سيج ان الطاهر اب ياه ، او على الألفي ظاهراب  
مبائله ، كانب محدب في المناص لأكثر سوا - وكان يبعث في الأعمال يسكن حام ، وخدم  
أولئك الذين يتمون إلى الطوائف المعمدانيه ، أو الجيوبون ، أو عضد فروع حري او حبيباب  
دار شيع (عصيات) ولا ما غير حد أعضاء الطائفة مكان افسنه او كان مسافر في حده  
مجازيه ، كان يحمل معه شهادته بحرقه طائفه ، وهذه السببه - كان لا يؤمر فحسب حده مع  
أفراد طائفه ، بل كان يؤمر عمادات ماليه ورد وقع هو غير دس اقترعه في صعوبات  
ماليه تأخذ الطائفة بيده وثكنف أعماله اسم الدانيي يقدم به العود بكل لأسك<sup>٣١</sup> ، وغالب  
حسب المبدأ اللور بي «mutuum dare nihil inde sperantes» [٣٥ VI ٣٥] لا اد ما يجعل كفه  
الميراث يميل في جهبه صانعه يسر الأمن الذي يكون على الدائين في لا تترك الطائفه ايه  
حساره تقع على عاتقهم بل زه المنطقه الحاسمه هي أن الطائفه مهم بكر فليبه الشهره لا يصب  
في صعوبات من لا يكون مسركه مصعبا من الناحيه الأخلاقيه نظريته فاطمه بالاحمال<sup>٣٢</sup> كان  
الانتماء إلى طائفه ، بالسبه ضرر - مبتدلاً لشهادته بصيغ أخلاقي شهد بكل سامع غير



أخلاقيته في العمل ، وذلك على خلاف الانتماء إلى «كنيسة» يجري اختيارها بالوراثة ، وتجعل نعمته تتألق على العدل كما على الجور . في الحقيقة ، إن «الكنيسة» ، وهي التي انشئت في سبيل النعمة والخلاص ، تدير أملاكها كما تدير مؤسسة تهتم بوصايا الاستثمار . فالانتماء إلى الكنيسة هو الزامي ، من حيث المبدأ ، وليس في وسعها أن تثبت شيئاً فيما يتعلق بفضائل أفرادها . بينما تشكل «الطائفة» في المقابل ، ومن حيث المبدأ ، التجمع الطوعي الحصري الذي يضم المنتسبين إليه من المصنفين أخلاقياً ودينياً . طوعاً ندخل إليها ، هذا إذا قررت إرادة أعضائها الموافقة على الانتساب ، بموجب امتحان الترهيب الديني<sup>(7)</sup> . أما الطرد من الطائفة ، بسبب خروج على الأنظمة الدينية ، فهو يعني خسارة الموقع في المشاريع والأعمال ، وانخفاض المرتبة الاجتماعية .

خلال الشهور اللاحقة حضرني ملاحظات عديدة لتؤكد لي أن هذه الروح الدينية ، كما هي<sup>(8)</sup> قوية وحية ، تذوي حقيقة بسرعة كبيرة ، غير أنها تشير في الوقت ذاته إلى السمات ذات الأهمية الاستثنائية المشار إليها آنفاً . ففي أيامنا تبدو طبيعة المعتقد [الذي ننتمي إليه] مختلفة اختلافاً كبيراً<sup>(9)</sup> . لا يهم كثيراً ما إذا كنا ماسونيين<sup>(10)</sup> ، مسيحيين علمويين ، مغامرين ، صاحبين أو غير ذلك أيضاً ، شريطة أن نُقبل ، جماعات جماعات ، بعد امتحان أولي واختبار لاهوتي أخلاقي ، بمعنى تلك الفضائل التي تجزيها النسكية الدنيوية في البروتستانتية ، أي التقليد الطهري القديم . يمكن حينذاك ملاحظة النتائج ذاتها .

إذا نظر إلى هذه الوقائع عن قرب أكثر ، فهي تظهر تقدماً متواصلاً في هذه السيرة المميزة ، سيرة العلمنة و«الدنيوية» ، التي إليها يعود السبب في اختفاء الظواهر الناجمة عن تصورات دينية مع حلول الأزمنة الحديثة . لم تكن التجمعات الدينية ، أي الطوائف ، هي التي تنشر مثل هذه النتائج . فلم يبلغ دورها في ذلك هذا المستوى . ومنذ خمسة عشر عاماً أيضاً ، كان قليل من الانتباه يكفي لكي يلاحظ ، خارج أكثر التجمعات السكانية حداثة ، وخارج مراكز الهجرة ، العدد المرتفع من الأشخاص المنتمين إلى صفوف البرجوازية المتوسطة ، وهم يحملون في عروة الزرشارة صغيرة ذات ألوان متنوعة ، تذكر بوسام جوقة الشرف . وإذا سألت عن معنى هذه الشارة أتاك الجواب واحداً : إنها تعني شارة التجمعات التي تحمل أحياناً أسماء غريبة ، تجمعات تكاد تكون وظيفتها دوماً وظيفة شركات تأمين خيرية لحالات الوفاة ، إضافة إلى تقديمات في مجالات أخرى . وكذلك كان يتم في الغالب ، لا سيما في المناطق التي لم تتأثر كغيرها بعملية التفتت الحديثة ، حيث كانت هذه التجمعات تمنح أعضائها الحق بالمساعدة الأخوية من الأعضاء الميسورين ، لكي يتمكنوا من مواجهة الصعوبات الاقتصادية التي ليسوا مسؤولين عن حصولها . وقد كان يتم ذلك ، في الحالات العديدة التي علمت بحصولها في تلك الفترة ، استناداً إلى المبدأ : «mutuum date nihil sperantes» أو على الأقل ، على أساس نسبة منخفضة من الفائدة . ظاهرياً كانت المساعدة تُمنح طوعاً . إضافة إلى ذلك ، وهذه هي النقطة الأساسية ، كان الدخول في عضوية هذه التجمعات مرتبطاً بعملية اقتراع ، وفي أعقاب تقصٍ وتحديد للقيمة

لا خلافية معه كده [لدى المرحوم] حتى سارة العروة اذن ما يلي : يعني سيده جميعا احسن  
شهادته على أساس البحث والاصحاب : ولسي مكفول بحذارة بصفي عضو ربي النجم] : وهذا  
عني صفاته إلى ذلك ان بالامكان تقديم الدعم بالمعنى الأكثر دقة يمكنه [بحال الشارة] هذا  
بما كان من الآثار منافع البائس الحاسم غالب الذي يما به مثل هذا التسريع على المخطوط  
الاقتصادي

كل هذه الظواهر التي يبدى انها متحضر من حجم سريع جدا على الأقل حين يكون الامر  
متعلق بالتعليمات الدينية بانداب : كتاب محصوره بدقه في التحوارية الموضحة لا سيما ان  
هذه التجميعات موضوع البحث بشكل المركبة اليهودية خصصت للاقتصادى بالنسبة لهذه الطبقة  
تحوارية المتوسطة ، التي هي عالم المصنوع المحدود (يسمى فيها بـ «مزارعون») ضمن المعروف  
ان هدفهم لم يكن صعب (كانو يشككون الاعية ضمن لأحيان «الكبر» ) وعني هم الواعدين ،  
القاعة الصناعيين ، اصحاب الملايين ، اقطاب استروانات الصاهية الأمريكية ، الذين ينتمون  
علاية إلى طوائف او فرق معمدانية في معظمها ولا سمح في انهم لم يكونو يسيرون إليها على  
أحدهم : كما هي الحال عندنا إلا لأسباب : محض اصطلاحية ، ولا يستمدون بدت ان سوى  
شيء يسهم الشخصي : لا حادى لا يسهم كرجال عمال والحقيقة على هو لاء الاصنافيين  
المتنوعين : لم يكونو بحاجة وكذلك في مظهرين : ينى مثل هذه المظاهر ، ذلك ان  
«مسارهم الدينية» كانت غالباً على د. ج. م. الصديق لا يرفى فيها السب : وكما كانت حال  
في الميراث السابع عشر والثامن عشر ، كانت هذه الطبقة الوسطى لا سمح السرائع لنى كانت قد  
انحصر حديث فيها ، او عند التي كانت في طريقه إلى الاممطة هي اساطير الوسمي باسم  
عندية ديرة خصوصية يسمي لا حارس من عمارها بساحة مجرد باج «لانهاية» يسمي مع  
ذلك عدم عمال حقيقه ان انراسمانية حتى في اميرك ، لم يصح على ما هي عليه اليوم بغير  
على سر حسانهم «مبادى السبوت اليهودي» ملحوظة لدى هذه الطوائف سر شموليا «مستند  
انراجل لا بدعية او لاربية الصوف ، ما من لحظة من التاريخ ، على اختلاف العهود  
الاقتصادية كان يجب على اصحاب بياربو - مورغان : P Morgan وروكفلر Rockefeller ، وحي صوب  
David Gould وغيرهم ما قد يعبر «بالتأكيد» هو الوسائل التمهيدية استجودوه في تحضير  
[الزود] مع كده وادارة : هذا «فرق الحية والشر» ولكن بمقدار ما كان تأثيرهم على صنية  
النحور الاقتصادي كبير بمقدار ما حملوا على ان ينبغي ذو : حاسما في تحديد العنية  
الاقتصادية «مسيط» ، في مرة معينة «عهد معين» ولهم شكل خاص لم يكونو لا صاعى  
«الزود» التحوارية العربية خصوصاً ولا المتبرسين به

من تحدثت على عن اهمية الطوائف الدينية منسب : اجتماعي ولا عن اهمية هذه التجميعات  
والأندية المفضلة الكثيرة المتد في «ولايات المتحدة» التي يتم لانتساب فيها عن طريق  
الاقترع : كما «الانكي المزدحم» من الجبل السابق على حين ، يستمد طيفه حية الى مستند  
من المؤسسات المصانعة بد : «Bryns Club» في المدرسة ، «مور» : «Achle & Club» ، أو

Greek Letter Society ، أو أيضاً بعض أندية أخرى للطلاب التي ليست أغراضها على أهمية كبرى ، وصولاً إلى الأندية المهمة المخصصة لرجال الأعمال وللبرجوازية ، وختاماً [عند الاقتضاء] إلى أندية الأثرياء في المدن الكبرى. كان الدخول إلى هذه الأندية يعادل بطاقة للترقي [الاجتماعي] ، ويدل قبل كل شيء ، على تقديم «الاثباتات» اللازمة على الجدارة الشخصية. والطالب الذي لا يتمكن من الحصول على عضوية أي من هذه الأندية في مدرسته (أو في مؤسسة مماثلة) أياً تكن طبيعة هذا النادي ، يصبح انساناً منبوذاً (بعضهم أقدم على الانتحار كما قيل لي ، لأنهم فشلوا في ذلك) . أما إذا فشل رجل أعمال في ذلك ، تاجراً كان أم تقنياً أم طبيباً ، فإن استخدام مواهبه يصبح محفوفاً بمخاطر الفشل أيضاً . إن أندية عديدة تشهد على مثل هذا المنحى المتميز في التطور داخل أميركا ، منحى تكوين كتل اجتماعية ارسقراطية ، إلى جانب ، وبالتعارض الجزئي مع - وهذا ما يستحق الملاحظة - طبقة الأثرياء الواضحة<sup>(13)</sup> .

في الماضي وحتى في أيامنا ، تكمن إحدى الخصائص المميزة للديمقراطية الاميركية في كونها بالتحديد ليست كومة من الرمل لا شكل لها ، أوركاماً من أفراد ، بل في كونها تشكل تشابكاً بين تجمعات طوعية ومحصورة جداً . ومنذ وقت ليس ببعيد ، لم تكن تعترف بهيبة ناجمة عن أصل أو منشأ ولا عن ثروة مكتسبة عن طريق الوراثة ولا عن الوظيفة والشهادات ، أو على الأقل ضمن حدود طفيفة جداً ، حيث لم يكن لها مثل في الخارج . غير أن هذه التجمعات كانت أبعد من أن تستقبل أول قادم إليها بقلب مفتوح وكأنه واحد منها . ولم يكن المزارع الأميركي ، منذ خمسة عشر عاماً ، يعامل ، بالطريقة نفسها ، فلاحاً (من مواليد أميركا) ، وآخر قادمًا من الخارج ، من غير أن يقدمهما لبعضهما بعضاً تقديماً شكلياً ، ثم يليه مصافحة بينهما بالأيدي . ولا شك أن أحداً لا يذكر في الماضي حادثة جرت ، في نادٍ امريكي بالمعنى الصحيح ، وكان فيها لاعبا البليارد مستخدماً ورب عمل . فهنا تسود المساواة المطلقة بين الجنتلمانات<sup>(14)</sup> . ولا شك أيضاً أن زوجة النقابي التي ترافق زوجها إلى الغداء تنسجم ، في ترتيبها وتصرفاتها ، وإن على قليل من البساطة والمهارة ، مع مظاهر سيدة من الطبقة البرجوازية .

في مثل هذه الديموقراطية ، ينبغي على من يريد تقديم نفسه وإثبات وجوده ، أياً يكن موقعه [الاجتماعي] ، أن يتكيف ، بالتأكيد ، مع تقاليد المجتمع البرجوازي - بما في ذلك أكثر أذواق الرجال تشدداً . غير أن عليه أيضاً ، كذلك كانت القاعدة ، أن يقدم الدليل على نجاحه [عن طريق] الانتخاب في أحد الأندية أو الطوائف أو التجمعات - بمعزل عن طبيعة هذه الأطر - وذلك تعبيراً عن حصوله على صفة الجنتلمان ، مثبتة ومشروعة بما فيه الكفاية<sup>(15)</sup> . ومن لا يتوصل إلى ذلك ليس جنتلماناً . ومن يدخل في تحدي هذه المهمة - كما هي حال غالبية الألمانين<sup>(16)</sup> - عليه أن يجتاز طريقاً صعباً ، لا سيما في مجال الأعمال .

في المقابل ، وهذا ما سبق لنا أن ذكرناه ، لن ندرس هنا أهمية هذه الظروف من الناحية الاجتماعية ، خاصة وأنها تخضع حالياً لتحول عميق . ما يهمنا بالدرجة الأولى هو أن العقلية السائدة اليوم في الأندية العلمانية الدنيوية ، وفي التجمعات التي تقبل أعضاءها بالانتخاب ،



هي إلى حد كبير ، نتيجة عميقة ذبوة الطرار لأولي هذه التجمعات انصوريه والطوائف، التي كانت تتمتع ، فيما مضى ، بكونها أكثر حضريه بكثير ايضا . وانحو أن هذه الأئمة قد جاءت من دون الشغال السرمي . هذا الجزء من الوثائق لأصيه لتذكر أولا ان لا تفرح العام ، في انديمهرطية الأيركية ، وهو حتى يساوي فيه الجميع البيض لأنه حتى في أيام لا يمنع في الواقع لا السود ولا الهجاء مثل هذا ، انصافه إلى بعض الدين عن الدولة هما من انجازات المعاصي اقرب هذا الذي بدأ بشكل أساسي ، مع القرن التاسع عشر لتتذكر ايضا ان تكامل حقوق داخل المائمه اندييه ، في ماعلو وسط انكتم الجديدة وفي ماسوسوسر خصوصا ، كان الشرط لأولي من بعض الشروط الاخرى) بمواظبه داخل الدولة وذلك طينه المرحله الاستعماريه فالصافه اللديه هي التي كانت تحدد المواظبه و السلامواظبه السياسيه<sup>٢٧</sup> وكانت يحكم على ذلك حسب ما يكون الفرد قد أثبت أم لم يثبت اهليه اللديه من خلال سلوكه ، وحدث كما تائب الحال في صمرف كل الطوائف الطهرية بالمعنى الواسع بعبارة كان الصاحبين ، ووصولاً إلى المرحله التي سبقت حرب التحرير مباشرة ،<sup>٢٨</sup> سياد الدولة في سلفاي مع أنهم لم يكونوا من الساحه السكبه مواطنين الجحدين المصممين بكامل الحقوق اللديه ولكن مقتضى هذه معينه عنوائر والتقسيمات الإداريه) كاند الأهميه الكبيره ، التي بحثها من الساحه الاجتماعيه عمليه التمتع بالحقوق في الطوائف المنتميه ، لا سيما في العشاء السري المقدس ، ذات تأثير يماثل تأثير نظام المهه السكي ، الذي يلائم التماسليه اللدينه من الأساس يمكن البوجه على أن عباده الطوائف السكبه كانت حذر من تأثيرها طينه عصر كامن في كل مكان حتى في أوروبا بالذات ، ضمن لاجهاده انه اندي موكله تحاربوا الشخصيه في أميركا

سواء نظوة إلى الحلف بعبه ملاحظه البدايات اندييه لدى هذه الطوائف البروسنتيه<sup>٢٩</sup>

بعد في ادبياتهم ، لا سيما لديب المعمدانيين والصاحبين ، خلال القرن السابع عشر مأكمه وحدث دون التقطع ، بهيلا بالعكره الفائله بان الأئمين «اولاد هذا العالم» يريدون من بعضهم بعض في الأعمال إلا أنهم في المقص على نفع المراهه التي يقيمها انديين بين الناس الانقياد<sup>٣٠</sup> . وهذا السبب قد يكون يأتي من تغير هولا ، ولا يضعون أموالهم في غير دينهم ولا يسزرون إلا من حوائصهم ، لأنها وحده هي التي تبيع بأسعار مريه وثاقه والمعروف أن المعمدانيين قد ادعوا دائما أسبقيتهم في تأسيس هذه التميده ، من حيث المبدأ<sup>٣١</sup> ولا شك أن اعتقاد عامة كان بسود ، ومعه أن الألهه بارك من خلال الروه من كان قادر على برصائها ، إن من طريق النصحيه أم بطريقة انصروف . إذ لم يكن الطوائف البروسنتيه هي انوحيده بعاما التي ربطت بشكل و مع هذه العكره سبط السنوك المبني الذي يناسب بدايات التماسليه الاستغافه هي أفضل طريقه في التماس ، فقد كتب ، في المقص الوحيدة التي أصعب عنها هذه الامساريه ، وقد التمسك<sup>٣٢</sup> لكن الاخلاق التي دسها بالتصديق في انحد السابق بسبب وحده التي تعود إلى أصول الطوائف السكبه ، بل معها أيضا ومن كل من ، الطوائف

الاجتماعية ووسائل الانتظام ، وبشكل عام ، أسس تنظيم «النزعة الطائفية» البروتستانتية ، بكل ما ترتب عليها من نتائج . إن هذه هي ، في اميركا الحالية ، مخلفات تنظيم الحياة تنظيمياً دينياً التي كان لها فيما مضى أكبر التأثير . وتكفي نظرة اجمالية لتضيء لنا طبيعة هذه الطوائف ، أنماط تأثيرها واتجاه هذا التأثير .

لقد ظهر مبدأ كنيسة المؤمنين بين المعمدانين داخل البروتستانتية ، وذلك في زوريخ أولاً عام 1523 - 1524<sup>(22)</sup> . وبمقتضى هذا المبدأ ، كان المسيحيون «الحقيقيون» وحدهم المقبولين في الطائفة . فكانت الطائفة إذن [تجمعاً] طوعياً معزولاً عن العالم ، مؤلفاً من أفراد متطهرين فعلاً . وأضاف معمدانيو زوريخ ، عام 1525 ، معمدانية البالغين (بما في ذلك عمادتهم من جديد على سبيل الاحتمال) ؛ وقد حذوا في ذلك حذو توماس مانزر T. Münzer الذي رفض عمادة الأطفال ، ولكن من غير أن يخلص منها إلى النتيجة الوحيدة : تكرار عمادة البالغين (المعمدانية الجديدة) . كانت العناصر الأساسية التي عملت على نشر الحركة المعمدانية مؤلفة من الحرفيين الجوالين الذين ، كانوا ، بعد كل عملية قمع يتعرضون لها ، يزرعون العقيدة في مناطق جديدة ؛ لن ندخل في تفاصيل الأشكال الخاصة التي اتخذتها هذه النسكية الطوعية في تلك الفترة ، عند قدامى المعمدانين ، والمعمدانين الجدد أتباع Menno والمعمدانين أو الصاحبين . كما لن نستعرض أبداً من جديد كيف دفعت كل هذه النسكيات ، بما في ذلك الكالفينية<sup>(23)</sup> والميتودية ، دفعاً ثابتاً نحو أحد هذين المخرجين : إما جمعية سرية للمسيحيين النموذجيين داخل الكنيسة (تقوية) ، وإما الأبرشية المؤلفة من مواطنين كاملي الحقوق مشهود لهم شرعياً بكمالهم الديني والتي تسيطر على الكنيسة . أما المؤمنون الآخرون ، الذين ليسوا سوى أعضاء طبقة غير فاعلة خاضعة للنظام ، فهم مسيحيون قليلو الأهمية (استقلالية) .

استمر الصراع الداخلي والخارجي داخل البروتستانتية ، عبر عصور عديدة ، من زوينغلي Zwingli حتى كويپر Kuyper وستوكر Stöcker ، بين مبدأين بنيويين : «الكنيسة» كتنظيم إداري يعمل للخلاص ، و«الطوائف» كتجمعات مؤلفة من أعضاء مؤهلين دينياً . نلاحظ هنا ببساطة النتائج العملية للمبدأ الإرادوي ، وهي نتائج مهمة من حيث التأثير الذي مارسه على السلوك . نتذكر أن هذه الفكرة الحاسمة القائلة بالحفاظ على نقاء القربان ، أي باستبعاد مشاركة اللامتطهرين ، تؤدي إلى موقف معين إزاء نظام الكنيسة ، حتى من جانب أولئك الذين لم يتوصلوا إلى القناعة بضرورة تشكيل طوائف . ولا سيما لدى الطهرين الجبريين القريبين ، في الواقع ، من نظام الطوائف<sup>(24)</sup> .

نلاحظ هنا الأهمية الاجتماعية القصوى التي يرتديها تناول القربان بالنسبة إلى الطوائف المسيحية . لكن هذه الفكرة عن نقاء القربان كانت ، من الأصل ، حاسمة عند الطوائف ذاتها<sup>(25)</sup> . لقد اعتبر براون Browne في كتاب Treatise of Reformation without tarying for anie (في 1582 احتمالاً) ، أن الإكراه الذي يقضي بمشاركة رجال أشرار في تناول القربان<sup>(26)</sup> هو بمثابة دافع رئيسي لرفض الانكليكانية والكالفينية . لقد حاولت الكالفينية عبثاً أن تحل المشكلة ؛ في البداية ، في ظل

حكم الريب، كانت هذه هي سلطة الأساقفة (Wandsworth) ب. معرفة من يمكنه خروجه من الاتحاد في مسانده بعد، هي برلمان الترة الإنكليزية دور ديم الاتحاد في البدء كان بإمكان الرعاة والعقداي (أو العماليين) أن يقررو بحرية، ثم ح برلمان يحاول تحديثه التحاللات التي يباح فيها بحرية الطرد. ساعدت قرار الأحرار مربيته جوافهم ك دناء ديلا على الاتحاد، لإرساء<sup>١٢٠</sup> بني جنسب عليه جمعية ومجلس Westminster حيثما فيه.

كان حزب مستقلاً كبير نجح م يكن يميز في حفل نواب البرلمان. من عدم لأعضاء فحليين في الطائفة، معروفين بسنود خصم من الوجهة الدينية سوى الحائزين على بطاقة قبول. ولم نذكر هذه البطاقة نفعي الاتحاد الرعاة من الجمعية الا طلب من أعضاء موهبي وكاتب مهادبات الضبط بعضى حلال عمليه تعيين مكان الإقامة أو مصاسبه السر، كما انها كانت موجودة من قبل في القرن السابع عشر<sup>١٢١</sup> حاولت جمعية الكمبر Barter التي دخلت عام ١٦٥٦ في سنب عشره مذبذبة، أن تقوم داخل الكنيسة الرسمية على شكل لجنة د ب فانه صوغية، وكا برهد مساعده الكاهن لكي يحدد عمليه التأهيل وتقرر طرد ذوي المصانع من عالم النوحه القرباني<sup>١٢٢</sup> كان لأخوه شخصيه المشغول في جمعيه ومجلس لا جو انضمام انجيا مدين هاشو في هوندا، يدعمون ميثاقاً مماثلاً حين اقترحوا التسريع بتجميعات التقوية الطوعية إلى جانب الحورية (وصحفاً هو الانسحاب في السببوس وفي بكثر تحديثه جعل تاربح الكنيسة بصراعات كبيرة. هو. تصاب كهذه الفضيحة م يكن قبوله في الطقوس انسره المقدسه<sup>١٢٣</sup> ذاً قبوله ايضاً كد ب هل يسمح بتحميد عمال مش بل هم غير مقبولين في الطائفة<sup>١٢٤</sup> وفي هذه انجالة م هي الضمادات<sup>١٢٥</sup> اصح وكاتب التصويه يكمن في ان م يحكم بالحداده م يكن ماعكاته محسب، بل كان عليه ان يتناول الضداد يحكم عن دنت في حالة المؤتمر بني بنسك يحداده الشخصيه، و بني يحجم عن ناول اقربان أن هذا السخط لا يفي خطيته<sup>١٢٦</sup>

من ناحية حري، وبعيه المحافظة على عدم سجي عنى لطائفة ان يبعد عن النوب القرباني كل من يسم جدير (سأويه) ولا سيما الذين حبت عليهم الفصح وهي يجب م دنت سماسث امام الله<sup>١٢٧</sup> وهي بدو بشكل خاص، الكفينة نكو سر مقدس موصوفا في امانيه من هو جدير مديره. أي م هو [دانه] حائر عن النعمة، وهكذا يعود الى سري الفصح الفديحة المتعاضه بتكوير الكنيسة وقد اقترح ناء و ب عب، حله يقضي على الأقل، في حالة الصوره بإمكانية ناول السر المقدس على بني كهر غير جدير كهر ذي سواد هو موضع سدا<sup>١٢٨</sup>

وكما كان الحال في أيام لاونس فمسيحية كا المند الدوياني تقديم المسبح بالهبة لتدنيه الشخصيه يصطدم بوصوح انجباء الفلكل بطبيعة الكاهن الأبدية الثانية هذه الصيغة الثابتة، العاده بصورة مطلقه في الكنيسة الكاثوليكية. كاتب سطرر يها عنى الكاثوليكس النورية

(١٢٠) سب إلى Eraste الطبيب واللاهوتي الألماني المند من سلطنة بني الرمية والمعالص نخرم (م)



الرسمية . فالكنيسة ، في نظر هذه كما في نظر تلك ، هي مؤسسة تدير شؤون النعمة الإلهية . أما الراديكالية ، التي لا تقبل مساومة في العالم الفكري لدى المستقلين ، فهي تكمن في أن الطائفة الدينية برمتها هي المسؤولة عن جدارة الكاهن ، مثلما هي مسؤولة أيضاً عن جدارة المشاركين في تناول القربان . هكذا هي الأمور ، من حيث المبدأ .

من المعروف أن نتائج سياسية هامة نجمت عن انشقاق كويبر kuyper الكنسي في هولندا ، منذ بضع عشرات من السنوات . مصدر هذا الانشقاق هو التالي : واجه قدامى كنيسة أمستردام - أي العلمانيون ، ومعهم في الطليعة كويبر ، ورئيس الوزراء العلماني أيضاً وأحد القدامى - ادعاءات مجلس إدارة السينودس في Hervormde Kerk der Nederlanden ، حين رفضوا اعتبار الشهادات التوكيدية الإثباتية الصادرة عن مبشري الطوائف الخارجية كافية لقبول حاملها في عملية تناول القربان ، ذلك أن هؤلاء المبشرين كانوا من وجهة نظرهم غير مؤهلين أو غير مؤمنين<sup>(36)</sup> . إن وضعاً مشابهاً في جوهره هو الذي ظهر في الخصومة بين الكالفينيين والمستقلين ، في القرن الثامن عشر وقد نجمت ، في الحقيقة ، نتائج كبيرة الأهمية عن هذه المسؤولية [الجماعية] المنوطة بالطائفة . إلى جانب المبدأ الارادوي المتعلق بقبول المؤهلين ، والمؤهلين فقط ، في صفوف الطائفة ، نجد مبدأ سيادة الطائفة السرية المحلية . وحدها الطائفة الدينية المحلية هي القادرة على الحكم على أهلية أحد أعضائها ، وذلك بفضل ما تملكه من معلومات عنه ، واستناداً إلى تقص [محتمل] عنه ، وهو ما لا يستطيع أن يقوم به مجلس اداري ديني ، في تجمع طوائف بين المناطق ، وإن كان هذا المجلس قد سُمي عن طريق الانتخاب . وحدها الطائفة قادرة ، بفعل محدودية عدد أعضائها ، على اجراء هذا التمييز ، غير أن الطوائف الصغيرة نسبياً هي وحدها أيضاً المتكيفة مع هذا المبدأ<sup>(37)</sup> .

حيث كانت الطوائف كبيرة العدد ، كانت تتكون جمعيات سرية ، كما هي الحال في التقوية ، أو كان أعضاؤها يتوزعون على مجموعات يكفلها النظام الكنسي ، كما هي الحال في الميثودية<sup>(38)</sup> .

وهناك مبدأ ثالث : النظام الأخلاقي الشديد الصرامة<sup>(39)</sup> لدى الطوائف التي تنظم نفسها بنفسها ؛ وهو مبدأ يعتبر نتيجة حتمية للأهمية التي تولى لنقاء الطائفة السرية (طائفة الصلاة لدى الصاحبين) . كان نظام الملل النسكية ، في الواقع ، أكثر صرامة من أي نظام كنسي آخر ؛ فكان بذلك مماثلاً للنظام الرهبني ؛ وكان يعتمد [على غرار هذا الأخير] مبدأ الترهين<sup>(40)</sup> . كما كانت الطائفة تمنع على أعضائها ، خلافاً لما هي الحال في الكنائس البروتستانتية الرسمية ، أي اتصال مع أولئك الذين طُردوا بسبب خرقهم النظام الأخلاقي ، فارضة عليهم بذلك قطيعة مطلقة ، حتى في مجال الأعمال . وأحياناً كان يذهب الأمر بها إلى حد تحاشي أية علاقة مع غير الأخوة ، إلا في حالات الضرورة المطلقة<sup>(41)</sup> . من أجل الحفاظ على نظامها ، كانت الملل تفوض أمرها للعلمانيين ، وأية سلطة روحية هي غير قادرة على أن تحل الطائفة من مسؤولياتها الجماعية أمام الله . كان القدامى لدى الكالفينيين سابقاً ، من بين العلمانيين ، يتمتعون بسلطة كبيرة . غير أن

الاستغلال الويه ، ومن باب اولى المصداقيه ، كتاب يعيد صبر عما ضد سيطرة اللاهوتيين<sup>47</sup> الامر الذي كان يودي ، المصطد وبشكل صيغي ، إلى كونه المعتقد الدبر يقتضونه ، بوظائف الرهبه الاخلاقيه عن طريق التهديد بعقوبات نصل حتى الحرم<sup>48</sup> . وبجانب سيطرة انكيسه به سعه الاعتماديين بجبهه حث غير المقتاليه بحريه البشير الذي يمكن ان يقوم به هؤلاء<sup>49</sup> . وبمستحضر ، في هذا الصدد ، الظروف التي سادت في وساطة الطومر المسيحيه الابن فقد كتب هذه الضرورة مرصحه مدعاه لا في نظر المفهوم النويري المصنوع بالوظيفه الرعويه من ايدي في نظر المصكره تكاليفيه المنعطفه بالامر لإلهي من اعليه اخرى جبهه سيطرة الاعتماديين في معاصمهم كل يسير من قبل لاهوتيين محترفين فالهيه النديه وحده هي الامر المهم لا الوظيفه ولا التفصيل<sup>50</sup>

ما من شك ان الناصحيين مستخلصو من هذا الميدان نتائج جديده . امكان كل واحد ، هي نظرهم ، ان يحدد إني الجمعيه العامه الدينيه . ولكن يد ما كان الروح القدس قد حل فيه . وهذه يكنه وجود لاكثر من المبحرف أمر مستبعد<sup>51</sup> . ولم يتم التوصل ، لدى صوائف أخرى إلى استنتاج على هذا المستوى من السكبه . على ان مثل هذه الاستنتاجات ليست ذات قيمه دائمه . هذه أا يسمح رعيه الارمنيه من حيث بدء ، عن ممارسه وظيفه ، جميل<sup>52</sup> ، وأن يكفي بمهمه فحريه بحسب . ان أن ينقي هبات فحريه طوعيه<sup>53</sup> ، ان أن تكون مهمه ذات اهميه نابويه ، على ان تدفع به كل تكاليفها<sup>54</sup> ، إما ان يحسن دائما من الجمع ، إما ان يوحد نوع من العظيم انيسيري مع مشربين محسوبين فاديين على العمل بين الحين والآخر في والحيه<sup>55</sup> . بلهذه ، كما هي الحال في المبوديه<sup>56</sup> . ويجب بحفاظ على المصصب بالمعنى التنفيذي وانصفه اللاهوتيه ، لا يكون بهذه الاخيره الا قيمه سوطه بكيكي فسي . فأندي يظهر في النهايه شكل حاسم هو الهه النديه المصنعه بالحجمه الإلهيه ، وهو ما ينبغي استخلاصه من خلال ابحتث مستخدمها المصنوع التي . على عرر والمجربين عند كرومويل (وهي بظلمات محليه مصدر شهادت انكيسه النديه) والمعتصير . وهي أطر خطاب كهويه<sup>57</sup> . ينبغي ان يستحضر أهديه انكيسه فيما يشتمل مسطه انصافه داتها و لانتهاء إتيها ، فإن لظيفه النديه و بعد عن اليال كما هو واضح . ثم نفس الخديسه في حين كرومويل ساو القريتان لطقس ، الأمر قبل من كرومويل عني ديب . وكان لا يقبل جدي في ناديه الحدمه العسكريه بأمره صباط غير مسلم . مثله ، إلى هذه الطائفه السريه معها<sup>58</sup>

كان من الضروري والارام على الاثن ضد المصدايين والعرو المعرفه مهم ، أن يسود الروح الاخويه ، المعروفه ضد اوائل المسيحيين بين أعصاء الطائفه<sup>59</sup> . وكان الكثيره من بين الطوائف ، يعبرون الدعوه إلى محاكم الدوله أمر مهم<sup>60</sup> . كما كانوا يعبرون بسايعه في حاله انعر . بمثابة ائو حبه<sup>61</sup> . ومن ناهل محو إنه إن لم يكن العلاقات على صعيد لأعمال مسوومه مع جبر الاخوه (إلا ضد بعض الطوائف انتمضه حياه من الاخوه كانوا هم المصنوعين<sup>62</sup> ) . كان نظام الشهادات التي منح بها اخوه الذين يسيرون مكان انقاصهم (بعد الشهاده

عن الانتماء إلى الطائفة وعن السلوك) موضوعاً موضع التنفيذ منذ البداية<sup>(59)</sup>. ولقد تطورت عند الصاحبيين أعمال الخير بحيث أصبحت الأعباء التي تتطلبها في النهاية تعطل ميل صاحبها إلى القيام بعملية التبشير. كان تماسك الطوائف من الفعالية بحيث أمكن الحفاظ عليه، بحق، وأحد أسباب ذلك الخاصية الريفية وكثافة السكان في انكلترا الجديدة<sup>(60)</sup>، على خلاف الوضع الذي كان سائداً في الجنوب.

تبين كل هذه النقاط أن الوظائف الحديثة التي اضطلعت بها الطوائف الأميركية، والتجمعات ذات الشكل التعصبي التي جرى الحديث عنها في بداية هذه الدراسة، تتحدر في خط مستقيم - وينبغي اعتبارها بمثابة عناصر ومخلفات - من نظام العلاقات الذي سبق له أن سيطر لدى كل الطوائف النسكية والجمعيات السرية، النظام الذي سقط في أيامنا، في حالة الانحطاط. فقد كان «الكبرياء الملّي» لدى المتعصبين منذ البداية مؤكداً، هائلاً شديداً التحيز<sup>(61)</sup>.

أما الآن فإلى أي مدى يبقى هذا التطور حاسماً فعلاً بالنسبة لموضوعنا؟ فقد كان للحرم، في القرون الوسطى أيضاً، نتائج على الصعيد المدني والسياسي؛ وكان أكثر صرامة، من الناحية العملية، مما غدت عليه الحال، بعد ذلك، في المناطق التي سادت فيها حرية الطوائف والملل. وفي العصر الوسيط أيضاً، كان بإمكان المسيحي وحده أن يطالب بحق المواطنة الكاملة؛ وفي ذلك العصر أيضاً كانت تتوافر امكانية استخدام وسائل النظام الكنسي، ضد كاهن لم يسدد ديونه، الأمر الذي يجعل الكاهن يستفيد من مزيد من الاعتمادات التي لا يستفيد منها الأمير المدني، وهذا ما بينه بشكل مدهش الويس شولت Aloys schulte. تماماً كما أن الملازم البروسي، الذي يتهدد بالطرد من الجيش إذا لم يسدد ديونه المقترضة، كان يتمتع بفعل ذلك بإمكانات كبيرة لتعزيز اعتماده. والأمر نفسه أيضاً بالنسبة للطالب المنتسب إلى جماعة معينة. وفي العصر الوسيط أيضاً كان الاعتراف والنظام الكنسي العشري يتيحان ممارسة نظام صارم، وقد حصل ذلك فعلاً. وأخيراً فإن التهديد بالحرم الذي يسيطر على المدين إذا ما أقسم يميناً كاذباً قد طُبّق بشكل واسع.

كل هذا هو، من دون شك، أمر لا يقبل النقاش. يبقى أن أنماط السلوك المباحة أو الممنوعة في هذه الظروف تختلف اختلافاً كلياً عن تلك التي أكدتها أو حرمتها نزعة الزهد البروتستانتية. فلا يستند الرصيد المتنامي، بالنسبة للملازم، للطالب، وحتى للراهب، على تقدير القابلية الشخصية على تولي الأعمال. من هذه الملاحظة الأخيرة ينجم التالي: إذا مضى [هذان التياران الدينيان] بالنسبة إلى الهدف المنشود، في الاتجاه ذاته، فإن النتائج التي يتوصل إليها كل منهما هي، بالضرورة الكلية، مختلفة اختلافاً جذرياً. فقد كان النظام الكنسي في العصر الوسيط، ونظام اللوثرين كذلك: (1) موجوداً بين أيدي الاكليروس الرسمي؛ (2) وكان يمارس تأثيره (في حدود فعاليته) عبر وسائل سلطوية؛ (3) وكان يوزع الثواب والعقاب على أساس أفعال ملموسة وفريدة.

أما النظام الكنسي عند الطهرين وسائر الطوائف والملل فقد كان يتميز بالخصائص التالية:



- 1) كمال موجوداً بحرب أحياء وكل في تعب الأحياء ، بر أهدى الفيلسوف العثماني
  - 2) كمال تكلم وسانث تأثيره في رجب العزدي ، بيت وجوده شخصياً (٦) كان يعني [يعني]
- الصفحة ، أو إن شئت ، كان يعطيه . وهذه الصفحة الأخيرة هي الأهم من بين صفحات الثلاث

يعني على العكس في سبيل الدخول في إطار الطائفة ، أن يسمح بمبدأ ذات مستوى معين ويحصر المنع بها وقد ما عرصة في الدراسة السابقة من أهم الشروط لظهور الرسمالية العقلانية الحديثة ومن حل تأكيد ذاته ضمن هذه الدائرة ، عليه أن يشب باسماء وجود هذه المبادئ وعيه ، يوم بعد يوم ، أن يسميها في شخصه وذلك لأن وجوده الاجتماعي في حياة الدين مرسل كارتباطه بمدونه في لحظة الأحرار بعد الاحتمال الذي<sup>102</sup> : بالتحريف قلها بوجه أنه لا وسيله بتبرير فكر هاميه من هذه الضرورة في تأكيد الذات عند عباد دحر اعتبار الأصحاب وبعد اسبب فإن نظام الأخلاقي لدى الطوائف والميل وهو نظام موحد وموحد بشكل غير مرئي ، هو ، بالنسبة لنظام الفلسفة المنطوق في علاقته معاشه مع انبياء بتبرير العقلانية والاصطلاح مع الأوامر بأنواعها فالطوائف الظهريه هي ، يعني هذا التمسك والابتعاد لأحرار تقريب مرله السكينة الدينيه بامير السكينة المرافقه منطقياً ومعنى ما المقصود المنطوق التوحيد ، مع الكنيسة الكاثوليكية الخلاصيه ، أي المؤسسة القائمة بعينه الخلاصيه وقد استخدمت الطوائف الظهريه بعبارة هذه التبرير المنطوق ، فوائد حرم البراءة أنه انفرادية انفعاله جود على الصعيد الاجتماعي هذه الدوافع الفردية وهذه المبادئ الشخصية كماله وحسب إذن هي حدود الصراط يعني لأخلاقي الظهريه : انحرورية وشبهه . وقد كان ذلك حسبما جدد بالنسبة لقوة التأثير ولهميه النتائج

أما - لتكرار ذلك - في المنهج الأخلاقي في دين معين بل السنوك لأخلاقي الذي عنده هذا الدين هو الذي يطوي على منافع سيكولوجيه وبشكل هذه منافع حسب ما عليه هذه الديانة بعبارة [ثروة الخلاص] «نقيده» الخاص ، بالمعنى الاجتماعي بلكنه وقد كان هذا السنوك بالسبب الظهريه ، بعد حبه معتمد نظريته مسيحيه وعقلانية ، وهو يعطى الطوبى أمام «روح» الرسمالية الحديثة كمال هذه المنافع البسيكولوجيه مرتبطة ، في جميع التسميات الظهريه ، بتأكيد المسيحي : مام اليه ، بمعنى صيانة الخلاص كما - هذه المنافع صمدية ، داخل انصوائف الظهريه حول دين «لايت» مام اليه ، بمعنى التوكيد الاجتماعي للدين . يتكامل هذا التوحيد في تأثيره ضمن اتحاد واحد ، بما يساعد «روح» الرسمالية الحديثة على خلق بعبارة الخاص أي عيه البرجوازية الحديثة إن تنظيم العقول والجمعيات السريه خصوصاً مع الظهور المنهوي الأبوي<sup>103</sup> [الذي أحده] وعريقة بتسميه كماله انشائي بان صاده اليه أفضل من إضاعة الناس هذا التنظيم يمكن حد أهم الأسس التاريخية في «الديانة» الحديثة وأخير هذه مقاصد حيره لفهم صيغه هذه انتائج لأخلاقيه كمال يوجد علته ، في المجتمعات نعروا الواسع ، فانه على مستوى المسيحي الأخلاقي ، مساهمه برفاهه التي كان يمارسها النظام في المحل السكينة بروسانتيه<sup>104</sup> غير أن الاختلاف يدعي وبالأحرار لا مفر

منه ، بين تجمعات وملل من حيث تأثير كل منهما على سلوك الفرد اقتصادياً . فالتجمع يضم زملاء ، أو بعبارة أخرى ، منافسين ، وذلك ، بالتحديد ، بهدف حصر التنافس والرغبة في الكسب العقلاني الناجم عنه . وهو يعلم «فضائل مدنية» ؛ ويشكل ، بمعنى ما (لن نحلله هنا بالتفصيل) الناطق الرسمي باسم «العقلانية» البرجوازية . غير أنه يمارس فعله بواسطة «وسائل العيش» التي يعترف بها لأعضائه ، وبواسطة التقاليد . ضمن الحدود التي كان فيها لتنظيم التجمع تأثير فعلي على الصعيد الاقتصادي ، كان له تلك النتائج العملية المعروفة .

أما الملل فهي ، من جهتها ، لا تضم في صفوفها أفراداً مؤهلين تكتيكياً لممارسة مهنة استناداً إلى تحصيلهم مستوى علمي ، أو انتمائهم إلى أصول عائلية ، بل هي تضم رفاق عقيدة مؤهلين أخلاقياً على أساس الانضباط والاصطفاء ، وهي تراقب وتنظم وتضبط سلوك أعضائها بالمعنى الحصري للفضيلة الشكلية والنسكية المنهجية ، محتقرة بذلك كل استخدام لوسائل العيش من شأنه لجم الرغبة بربح عقلائي . إن نجاح عضوفي تجمع ، بالمعنى الرأسمالي ، يفسد روح التجمعية - كما حصل في انكلترا وفي فرنسا - فكان ينظر إليه ، بفعل ذلك ، برعب . أما النجاح المماثل الذي يتم إحرازه بطريقة شرعية على يد أخ أو زميل في ملّة فهو ، يقدم الدليل على جدارة هذا الشخص وإثبات وجوده ؛ كما أنه ينطوي على خطوة للطائفة وعلى فرص لانتشارها . وبالتالي فإن مثل هذا النجاح قد نُظر إليه باستحسان وقد أثبتت ذلك أنفاً أقوال كثيرة .

لننظر إلى تنظيم العمل الحرفي التجمعات ، وفي الشكل الذي حدّته هذه التجمعات طيلة العصر الوسيط المسيحي ، والذي كان بعيداً جداً عن مقصدها الأصلي . بالتأكيد ، ينبغي ألا يُنظر إليه فحسب على أنه معيق للتنظيم الرأسمالي للعمل ، بل إنه شكّل أيضاً مرحلة أولى منه ، مرحلة لا غنى عنها<sup>(66)</sup> . ومن البديهي أن صيغة التجمع ليس بإمكانها أن تنتج تقليداً رأسمالياً برجوازياً في الأزمنة الحديثة . إن نمط الحياة المنهجية لدى الطوائف النسكية هو وحده الذي كان قادراً على التشريع للحوافز الاقتصادية الفردانية الكامنة في هذا التقليد البرجوازي ، وذلك عبر تغيير صورة هذه الحوافز .

# هوامس القسم الأخير

## الطوائف البروتستانتية وروح الراسمالية

- (1) لا وجود لهذه المبدأ في كثير من الحالات إلا على الورق ، سجل أهمية لتأخير الكاثوليك وأهمية الإعتاب المتقدمة للمدارس الطائفية
- (2) أهمية هذا كتابين بالنسبة لموضوعنا ، سي خيل إلى المحدثين المثالين من كتاب *Handbuch der Church History Series* وهي ليست كلها من قيمة ، وخدم
- (3) إن الصلاة التي ينبغي أن تفتح فيها لا جواسات المحركة الحدي فقط ، بل كل المدع من رب الحرية أيضا ، قد عادت صيغة ياتيه مصحح
- (4) أو أيضا حين ارتد الصلوة ، أصبح هذا الصيف الأوروبي لأكثر من معنى كرسى الشرف ويقو ، النامه وهو بعيد من الحبد ، وسيدتي ، الصلاة ، من فضيلته ، سي لا يحسن لا أقول ، يتم على السؤال الذي طرح عليه ويذكر في النص أفضل مما سي ، سي عصف في *radischei aides* *kiechro* يتم خدمه معبد من معبد كيسي ، وقد اقتنع السيدار نحاسي ، فإنه لا يؤذي أية عباده إلا ما عصف طائفته
- (5) لاحظ أحد أثريائي أن الإنسان هو حمايه أكيده من الزكاه
- (6) سأله واحد من المحدثين ، «مربىء بين» ثم يكن الماء شديد البرودة ووجهه بأكثر من الجوده جيد ، في أتم مكان شديد الحرارة ويدرب ، أهم الماء الباردة
- (7) إنها حقيقة رائعه ، «يكون هذا الحياء قد جوبه في سيرا بالتجديد ، بالنظر الذي حماهته الطوائف ، والتي كما مرط ، في حر منه بمصالح البشرى العاديه ، وبالنسبة فقد فاق حديق ، صار من بين أسماء منافسه من أجل الحد من النبش ، وهكذا فإن الطوائف التي كانت تسهل حميه الروح مره ثانية كانت سكل نقطه استفاد كثيره ، «كانت مقام في مؤ جهتها بتحديد من جعل تصعب مهمه الروح ، مره ثانية ، أدام الذي خلقه لأسباب غير كافية من الزاويه لندبيه ، ويعتقد أن بعض طوائف قديمه قد تدب مناصحه حواد حبال حد الموضوع ، في حين أن الكيه الكاثوليك والكليه النويريه *Missouri* كان معروفين بتنددهما ، «أمر الذي قلل عدد المومنين بهم
- (8) لقد روى في أكثر من مره وسكن عموي من كان يريد أن يقرأ ، داخل المدن الكبيرة في مجتل أراضي الماء ، كما يبدو ، ساء كنيه متواضعه في أعين الآخرين ، ثم يدفع أحد طلاب اللاهوت ، مقابل 500 أو 600 دولار ، إلى العمل على تجميع الوثائق حوله ، وحين عسى الكليه ، مما أصبح منسجده ، خلا الأبر ، وكانت جودتيه حره بنسبه الكنائس كانت تد على فشل مشاريع من هذا النوع على «الشجرح كان يعطاه المبسوط بصورة عامه ، وقد كان اعادعود الجدد يحدون هناك ، كما ، «و قد ، «نسبه اليهم ، الاحتكاك بالجيرون مدارس لأحد ، إلخ ، كما ، بشكل خاص ، يشعرو ، «كولهم معاضتي لتساعدهم يمكن الوثوق بهم
- (9) غالب ما كتب الطوائف عنهم خلافات متنازعه رغم مساوئه المنافسه ، هذه المنازعه التي حتى في طبيعه ما يعطى إلى المومنين ماديا ومعنويا ، في حساب المساء عند الطائفة ، وحتى في الكنائس



الجميلة، كانت تقام حفلات موسيقية نهارية (يقال إن أحد المغنين من بوسطن كان لا يغني إلا مقابل 8000 دولار في حينه).

وهكذا ففي جلسة ميتودية كنت حاضراً فيها أوصي بحضور كل احتفالات التعميد - وصفت واحدة منها أعلاه - باعتبارها مشهداً باعثاً على التقوى. وفي معظم الأحيان كانت الطوائف ترفض الاستماع إلى عظات حول التباينات الطائفية، حول المعتقد بشكل عام. الأخلاق وحدها يمكن أن تشكل موضوعاً للعظة. وفي كل مرة كنت استمع إلى عظات مخصصة لمؤمنين ينتمون إلى الطبقة الوسطى، كانت الأخلاق البرجوازية بامتياز، الأخلاق القوية المحترمة، هي التي تشكل موضوع العظة، وبأكثر ما يكون من الابتذال والعامية، ولكن باقتناع راسخ بانفعال أحياناً.

(10) إن أحد أساتذة اللغات السامية في إحدى جامعات الجنوب قال لي: «أسف لأنني لم أصبح «رئيس محفل ماسوني»، لأنه كان يمكنني في مثل هذه الحالة أن أعود إلى ميدان المشاريع». وحين سألته عما كان يمكن أن يفيد ذلك، أجابني بأنه لو كان تاجراً مسافراً أو بائعاً، ولو كان بإمكانه جعل هذا اللقب الجامعي محترماً وذا قيمة، لكان تمكن حينئذ من ولوج كل أنواع المضاربات ولغدا يساوي وزنه ذهباً.

(11) إن عدداً من الأميركيين المثقفين كانوا يلغون هذه الوقائع بكلمة واصفين إياها بازدراء ناعتين إياها بالعقلية المتخلفة. وقد أكد لي W. James أن الكثيرين يجهلون ما فعلوا. غير أن هذه العناصر كانت ما تزال حية في المجالات المختلفة وأحياناً في أشكال تبدو مضحكة.

(12) إن الخبث والانتهازية على صعيد الأعراف الاجتماعية في أميركا كادا أن يكونا أكثر تطوراً مما هما عليه في ألمانيا، حيث كان من المستحيل وجود ضابط أو موظف من دون الانتماء إلى أية طائفة. وكان لا يمكن تثبيت عمدة أو مختار، في مهمته الرسمية في ألمانيا، إذا كان أحد أولاده غير معمد. حقل الاصطفاء هذا هو وحده الذي يختلف بين هذه المجتمعات: تقدّم في الملاكات الرسمية في ألمانيا، وفرص القيام بمشاريع في أميركا.

(13) في أميركا أيضاً يمكن أن تشتري القوة، غير أن المال وحده لا يكفي لكسب المكانة الاجتماعية. لكنه، بالتأكيد يشكل إحدى وسائل تحقيق ذلك. الأمر هو عندنا كما في كل مكان. لكن طريق الفضائل [في ألمانيا] تمر عبر شراء الأرض الشريفة، وعبر تأسيس استئمان، ثم عبر الحصول على ألقاب الشرف التي تسهل قبول الأطفال في المجتمع الأرستقراطي. أما في الولايات المتحدة، فإن من يكون صانع ثروته يحترم أكثر تقاليد ورثته، كما تفتتح مهنة اجتماعية محترمة عبر علاقات جيدة في مدرسة أنيقة. وقدماً كان يتم البدء بطائفة مميزة، (الكالفانيين على سبيل المثال؛ حيث كانت توجد على مقاعد الكنائس في نيويورك وسائد مريحة ومراوح). الأساسي اليوم هو الانخراط في ناد أرستقراطي. ثم يلي ذلك نوع الحي، مكان الإقامة (في الشارع كما ينبغي أن يحصل ذلك، وتُسبغ المدن ذات الأهمية المتوسطة)، الألبسة، الرياضة. ثم أضيف أخيراً على قائمة العناصر المهمة، حج الآباء، إلخ؛ ولن ندخل هنا في التفاصيل. إن عدداً من المكاتب التشريعية والوكالات من كل صنف تقوم بأبحاث معمقة، بغية إقامة سلالات البلوتوقراطية. هذه الظواهر المثيرة للسخرية الشديدة تنتمي إلى الحركة الواسعة التي تستهدف أوربة المجتمع الأميركي.

(14) لم يكن ذلك دائماً وضع كل الأنديّة الألمانية - الأميركية. كنت أطلب إلى تجار شبان في نيويورك

(يضمون سماء تجارية كبيرة) ساد كانوا جميعا يضرب بحر داند بعدد خمسة في باداميركي ضد  
الذي يمر في الدينهم الانمانية المجردة باند. وكانو يبيعون في اراء العمل الاميركي  
يبدو معهم فيها البند حيا، ولكن مع. معارضه باد ديك هو نوع من التصدي والمه

5 في مرارة ذلك في المبدأ أهمية التجمعات الخلوية. وشهادات صراط الاحياء بالنسبة لتجاره  
وكذلك أهمية الدخول في مباداة بالنسبة إلى الشأن الاجتماعي

161 نظر الملاحظة السابعة إلى الدخول في باداميركي (في سن المدرسه او بعد ذلك) هو ذلك الملاحظة  
الخاصة بتحتي من العقيدة الانسانية

7 في من الهجره إلى نكتة السدنة كان تنظيم الطوائف الدينية بسو ليس تنظيم المجتمع  
السياسي. هجره هجره جمع مهاجر Dorchester 619 من حيث في حلقه في حلقه  
وانحو حيا وساد مباداة وهي مستعمرة Massachusetts بكتب الكنيسة جميعه محاسبه  
تكتب. وسم بكر تكتب في صفوفها الامراض وكان لاسماء ليلها يصوم من ناحية جري. ومع  
السبب بضمون الامراض وكذلك في بوزيد. كان الاسماء إلى كنيسة وانباغ سركا حيا  
الحصو غير حصويه في الصلوة مثله مع اولي للحصول على اسماء في المجلس كان حاكم  
المدينة مجبر بعد عام 651 على سبب الكنيسة سقوط الماداة لاستغلاله في الرعه  
البرميتارية الكاثوليكية) ما كان يرحم باكر غير معارسة كثر ساعدا وبعد إلحاق بوزيد. كثر  
الكنيسة بوضع شهادت بعد ان المعنى كان مساعدا على الصعيد الديني وأنه يستلزام  
الكافية وفي غرب السبع هجره بعد إلحاق New Hampshire Maine صاحب Massachusetts  
معبره على التحدي في مباداة التصديف انبسي الصالح بالنسبة بتحقوق السياسة حول مسألة الانشاء  
إلى الكنيسة بيسي التوصل بها إلى مباداة. الأهم على حد الصلح هو ال Half Way  
Covenant 657 وفي المقام إلى الأفراد الذين لم يبع جدهم النبي كانوا يدخلون إلى  
الجمعية غير انهم لم يعدوا في اطار الانشاء حتى بداية القرن الثامن عشر

81 مع بكر هذا الأدب معروفا جيد في كتابه يذكر بها بعض الامور لأكثر فدي. بعد عرض  
موجز عن تاريخ المعمدانية عند Vedder (تاريخ المعمدانيين الصغر A Short History of the  
Baptists ط مباداة بعد 1897 وحب. Culbert Knolls. Jansen Knolls. Culbert Knolls  
Knolls مبحث 2 في Baptist Manuals نشره P. Gould. بعد 89 وحب تاريخ  
المعمدانية الجديدة وهو مبحث وسقوط المعمدانية. F. B. Fox Rise and Fall of the Anabaptists.  
902

حب Scyth وصفه جون سيب المعمداني كم عصا سبعة وكما عصا معارسة M. Dexter  
The true Story of John Smith the 1st Baptist told by himself and his contemporaries Boston

88

بولتات الرسمية في الكتب المعمداني الكتي The Baptist Church Manual بعد لهما  
American Baptist Publishing Society 305 Arch street Philadelphia J. Newton  
Brown

حب التصالحين نظر والتصالحين في تصالحين A. C. Applegate The Quakers in Pennsylvania  
senes & James v. Clark & John Hopkins. University Studies in History and Political Science

المعمدانيون في التاريخ (New York 1902) G. Lorimer: *Baptists in History*.

J.A. Seiss: *Baptist system Examined (Lutheran Publication Society), 1902.*

Weeden: *Economic and Social History of New England, 1620 - 1789, 2 tomes.*

Daniel W. Howe: *The Puritan Republic* (Indianapolis, Bobbs-Merill C°).

«جمهورية الطهريين» .

حول تطور فكرة الـ Covenant في البرسبيترية الكالفينية القديمة ، ونظام كنيستها وعلاقاتها بالكنيسة الرسمية من جهة والمتشدددين من جهة أخرى أنظر : فكرة الميثاق الكنسي

Burrage: *The Church Covenant Idea*, (1904),

قدامى المنشقين الانكليز (1912) *The Early English Dissenters*.

الكنيسة البرسبيترية (1918) W.M. Macphail: *The Presbyterian Church*

الطهريون الانكليز (1910) J.Brown: *The English Puritans* اضافة إلى وثائق مهمة في الحركة

البرسبيترية 89 - 1584 Usher: *The Presbyterian Movement*, إننا لم نعط هنا سوى لائحة سريعة لما نراه أساسياً .

(19) اعتبر من البديهي ، في القرن السابع عشر أن يلجأ Banyan إلى البرهنة التالية : يصبح من المستحيل ولوج باب التقوى حتى بقصد الثراء ، وخاصة بهدف زيادة عدد الزبائن ، ذلك أن السبب الذي على أساسه يصبح المرء تقياً هو سبب محايد .

(20) اضافة إلى المعمدانيين ، رفع الصاحبون المطلب ذاته . هذا ما يثبته النص التالي الذي لفت نظري إليه Eduard Bernstein :

«ليس فقط في القضايا المرتبطة بقانون الأرض أبقى الأعضاء البدائيون على كلماتهم وارتباطاتهم مقدسة ، بل أصبحت هذه الميزة في تجارتهم أيضاً . ففي بدء ظهورهم كمجتمع عانوا كتجار ، لأن الآخرين المستائين من غرابة تصرفاتهم سحبوا الزبائن من دكاكينهم ، وفي وقت قصير اشتد الصراخ ضدهم ، لأن تجارة البلاد أضحت في أيديهم . لقد علت الصرخة ، بسبب الاعفاءات الضيقة في سائر الاتفاقات التجارية ، بينهم وبين الآخرين ، ولأنهم لم يطلبوا قط سعرين ثمناً للسلع التي باعوها .

توماس كلاركسون «صورة المهنة والممارسة في مجتمع الصاحبين» .

ظهرت الطبعة الأولى حوالي 1830 .

(21) كانت الأخلاق البرجوازية النموذجية في مجملها مشتركة ، منذ البداية بين كل الجمعيات والطوائف

النسكية ، وهي مماثلة للأخلاق التي تمارسها الطوائف في أميركا هذه الأيام .

يعتبر الميثوديون في قائمة الممنوعات :

1 - البيع والشراء بمفاصلة ومساومة كبيرتين .

2 - الاتجار بسلع مجمركة .

3 - إقتطاع فوائد أكثر مما يسمح به قانون البلاد .

4 - «تجميع ثروات على الأرض» (أي تحويل رأس المال الاستثماري إلى ثروة) .



3. الإسنادات دون التأكد من إمكانه سجد الدين

6. إبداع الفرح في جميع أشكاله

22. المعادير هي أفراد Zwinger الذي قاد حبه ٧ بحمل قوه داخل مفاصله مع المعارضين حموديه الصغر هؤلاء من حبيبهم كانوا يعبرون، أعضاده المعجدين، إلى الإثارة من أبعاد حسنة يعول الكتاب عام 1603 بوسن البرابويوب في غريضة رفوعها إلى حائل الأرب طرد جميع المعارضين من نكبه، وقبول جميع المخلصين المؤمنين، دول سائر الأعراف مع ولائهم ومع ذلك فإذ يقام الحكومة الكنيسة البرسباديه طبيب عام 1844 بمرية في المادة 37، ألا يقبل في التمتع السري المقدم غير لأشخاص الذين حضروا اجتماع

(23) - نسبة نكيسه الكالعية التي برع من عبد الطم لند، فإن عبد النسيج إلا انوي الذي يحلم مطعيا من ضروره الكهوت انصافي بطرح مشكله وهذه مشكله يظهر في الأبعه الجنيهة شكل الع الموضح من وجهه الطر العبدية عبد A Kuypers الذي عد فيما بعد يسور، البلاد المحصنه لا سيما في برنامجها النهائي (Amsterdam 1880) Separatie en doeleantie هذه المشكله ستم في بحر عر عيات اسنطه المعديه القويه في الكالسي غير الكاثوليكيه مما يتطلب ألا يكون تشديد انكبه العربي هو انشيد المسيحي بالمعنى الذي يدونه عدلي البوريس، بل أن يجر مثالا محصه بواقع الطبقه الإسميه بوند الكنيسه الطاهر حصر من إرداه المؤمنين، حقيقي لاشهاد اندي بحسبهم الله ربه وبالتالي فلا إلا انه الكهويه لا تكس في المسيح ذاته ولا في ... ته بل في عد نكيسه الرومانيه حول عبد Kuypers (Voet) كما ان طائفه أكثر انصاره بوند من جميع تعديلات والاخرى السري الطوعى غير ان مثل هذه التجميع يمكن ان يكون حايه الوجبه الفريقي من انشيد نفس السند الروماني الذي يكون كل حصه في الكنيسه على اسنطه حصه

بالضمره في حربه الحري الذي يعيم فيه إر العماده لا يجعل من لفه (لا عضو حصه) العضويه وهي لا تسمح له حتى أن bejiden en stipulatie هو الذي يجعل العضو عضو داعا في طائفته بالمعنى السري نكيسه فالانتماء إلى الطائفه (وهو واحد) سائل محضوع لسلطان الكهوتي صده أخرى مع Voet وقبول الكنيسه يابو المنعدين الواحد الكنيسه الصريحه ان عدل الإسماء، هم ارجاعها بأوامر الله لا مثل هذه الأوامر داتها انظر politica Voet tevelomsting van I papet II دل هذه الأفكار في سريجات واستقلاليه حتى انمايو الدستور في الختاس النومريه وهي تتطلب مسأله لاغده من حسب الطائفه إرد من حسب المنعدين

في قبول أعضاء جدد وهذا عرصة Von Rieker عرصة العالم وبشكل هذه المشاركة الجماعيه في شكل المنعدين برنامج والبرابويوب المنعدين وهو من معجم اسمع نديا في صرح طويل منديل «الجوتموس» الذي كان يقابلون بداره كنيسه من الكبار القدر على عمارته المحكم ومن المعركة ان المنعدين وسددهم يمكن ان يقو ذو حد على ارجع حسب Epailie كانت نظريه كنيسه المنعدين الامكننديين خلال القرن التاسع عشر تتطلب أن يكون دور العضويه موصفا

لقر عناصر هو ان نظريه كنيسه Kuypers في داتها بسبب التأكيد نظريه البرميه كاد يطلب من الطوائف القديسه حسب Kuypers إلا أن إلى الكنيسه بسجمنها والامعاء إليها، لأنه يمكن ان يوجد غير كنيسه من صبه وحده في المكان الواحد ولا يلغى هذا الإلزام كما لا يتدخل

إلزام الفصل إلا إذا ارتفعت الشكوى، أي بعد فشل محاولة تحسين أوضاع الكنيسة الفاسدة من خلال الاحتجاج الإيجابي والعرقلة السلبية. ويصبح الانفصال إلزامياً في النهاية حين تستنفد كل الوسائل وترجح القوة. وفي مثل هذه الحالة يفرض دستور مستقل. لا وجود «للذات» في الكنيسة، والمؤمنون كمؤمنين يمارسون الدور الذي أناطه الله بهم. والثورة يمكن أن تكون واجباً إزاء الله (Het : Kuyper conflict gekomen ص. 30 - 31). ويتمسك Voet و Kuyper بوجهة نظر المستقلين القائلة بأن المشاركين في الاتحاد بموجب عضويتهم هم وحدهم الكاملو العضوية في الكنيسة، وبأنهم وحدهم يمكن أن يكونوا متكفلي أولادهم خلال العمادة. إن المؤمن، بالمعنى الروحي، هو المهتدي داخلياً؛ وبالمعنى الشرعي هو المقبول في تناول القربان.

(24) الفرضية الأساسية بالنسبة إلى Kuyper هي أن احتفاظ الملحدين بنقاء تناول القربان هو خطيئة. غير أن الكنيسة، في نظره، لم تحكم أبداً في حالة الطهارة «أمام الله» - وذلك خلافاً للتقويين الراديكاليين. الإيمان والسلوك هما وحدهما حاسمان في مسألة القبول في تناول القربان. كانت مداولات المجامع الدينية في البلاد المنخفضة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر زاخرة بالنقاشات حول الشروط الأولية للقبول في العشاء السري المقدس. على سبيل المثال، سينودس هولندا الجنوبية عام 1574: لا يقبل تناول القربان حيث لا وجود لطائفة منظمة؛ وعلى القدامى وأعضاء المجلس الملي السهر على ألا يُقبل أي شخص غير جدير بذلك. سينودس ووتردام، 1575: من يعيش حياة مشينة لا يمكن قبوله. (إن قدامى الطائفة، وليس المبشرون وحدهم، هم الذين يقررون مسألة القبول. إن مثل هذه الاعتراضات تكاد تكون من شأن الطائفة التي تقاوم غالباً سياسة تسامحية من جانب المبشرين انظر مثلاً: Reitsma، II، ص. 231.) لنذكر بعض الحالات: سينودس Leyde، 1619، المادة 114: هل يمكن أن يُقبل في تناول القربان من تزوج من قائلة بإعادة العماد؟ سينودس Deventer الإقليمي، 1595، المادة 24: هل يمكن قبول خادم «اللومباردي»؟ سينودس Alkmaar، 1599، المادة II، و 1625، المادة 8: هل يمكن قبول المفلس؟ سينودس هولندا الشمالية في Enkhuizen، 1618: هل يمكن قبول الذين عقدوا صلح تسوية مع دائنيهم؟ تكون الإجابة عن هذا السؤال الأخير إيجابية عندما يرى مجمع البطارقة وضع الأملاك كافياً واحتياطي التغذية واللباس عند المدين ملائماً. غير أن الإجابة تكون أكثر جزمًا إذا ما أعلن الدائنون إرتياحهم للموافقة وإذا اعترف المدين بغلطته. فيما يتعلق بعدم قبول اللومبارديين، انظر أعلاه. انظر عند Reitsma، III، ص. 91، طرد الزوج بسبب ميله إلى التخاصم. وانظر في المصدر نفسه ص. 176 اشتراط مصالحة أطراف متخاصمين قبل قبولهم. أو استبعادهم عن تناول القربان طيلة النزاع؛ قبول الفرد المتورط في دعوى القدح والذم شرط أن يكون قد طلب الاستئناف.

من المحتمل أن يكون كالفن أول من فرض، داخل جماعة الفرنسيين المهاجرين إلى ستراسبورغ، طرد الذين أظهر الامتحان عدم أهليتهم للعشاء السري (لكن الراعي هو الذي كان يقرر حينذاك وليست الطائفة). حسب مذهب كالفن الأصلي، ينبغي ألا يطبق الحرم إلا على المنبوذين (Insitutio Christiana IV. cop. XII, par. 4) حيث كان يسمى ذلك صدور الحكم «الرباني»؛ غير أن ذلك قد اعتُبر أيضاً بمثابة وسيلة «تحسين» (م. ن. فقرة، 5). إن الحرم الشكلي هو اليوم نادر جداً في أميركا، على الأقل عند معمداني المدن الكبرى، حيث

متجهين عنه على الصعيد المبني الإقطاع في حدود رسم المحكوم بالحرر من اللامعة بشكراً  
سرم. كان العثمانيون يدينون المظالم بين المستعدين يقومون بدور المظالم الرسمي باسمه استناداً ، في  
حين أن نظام الكنيسة اسم مبي. ي. الكاثوليكي كان يمتلي جاعاً. يسيطر سيطرة عاجلة على الكنيسة  
وعلى الدولة. مهما يكن من أمر فإن الإله اليميني كرس جورج صاحبه بين أعدمي  
(العثمانيين) والكنيسة. عباد الكنيسة لم ينفعه

حصلت بعض العلاقات "استنادية بين القديس رطل قد. إ. بيرمان إلى سيناري 1645 وال  
"Cambridge platform" في كنيسة الجديدة حوالي عام 1647. صاحباً عديمه الأفضاء عن ماوي  
المكان بين أيدي القديس أي العثمانيين. غير أن المستعدين الأمكنة. عذروا على أن يجرى  
حلاب السرد التي إلى حد ما مع مرفها إلى انطاف. كان ذلك مصفاً للقرن التاسع عشر  
ركاب الطائفة بعد حكمه بالظرد الاحمالي. صاحب مع عبور صادم عن عرويه الجماعة  
مرويه كفايه. وهو يطبق حاد مع ط. وال. إيس. م. المظالم. حلاً. الأ. عم 603 وهو  
دم به علاه Dexter 101 on p 408. في حين أن ساع حوسو كانو عروس باده القديس  
المسحبي سيطرة دوشية. لأن بإمكان هؤلاء إصدار ائتمار بالظرد بالرغم من أن الطائفة المتكلم  
ويعلمه الفصل Ainsworth. جورج انشود لفاته عد البروتستانت الأوائل في مائلر. اسم  
للفاته لشكر إليها في حاشيته. م. B. واطروحة Pearson بتذكوره في الحاشية رقم 22

(25) يصف القديس الهنديون بالمدد. وديام Loxdenstjeem مثلاً عن وجهه النظر الثالث بذكرانه  
كتاب الم. مع غير المشجدين. غالباً في. به. ثلثوا بأفراد لا يهتمون بمره التجدد. ويصفي  
أن بعد ذلك يجب مسح بده. بده مع لأولاد. لأن هذا لم يصبح حواء أولاد الله. كني  
حصن. ان الش. Köhler في هوند. صاحب. كانو م. برال. مقتضون. ان لشجده لا يمكن أن يخطئ.  
قد جتمه. لأ. بونكيه. بكالبييه. وعرفه. لدهمه. بكت. في صفوف. نتائج الرجوع. به  
الصغير. بحية. ه. أيف. مع الأ. بونكيه. ب. الحبوب. من الت. به. اللاهوتيه. يشكون. حلاقاً لنظيم  
الكنية 85. من. ب. العثمانيين. م. يكونو. مبنيين. كفايه. في المجمع الديني (ويسكون. م. عظمه  
فقيهه. الصبة. ان. في. العاني. وفي. بده. دت. فلم يكن يحظر. ه. أيف. في. ال. أي. حرب. بونري  
ان. بونكيه.

(26) أوردته Congregationism of the Last Three Hundred Years as Seen in its Denier Literature (New York 1880, p. 97)

(27) صار البروتستانتية الإنكليزية في عهد البر. بده. سنده. إلى الموافقة على 19 مادة من قان. ب. الكنيسة  
(ب. كنيسة. لحفظ. على. ان. بده. 40. 40. الكثير. لا. هاتده. مبه. بالسه.

(28) في القرن السابع عشر كانت سائر التوجيه letters of recommendation ضرورية للمعمدين  
الذين لا يسجلون إلى الطائفة المحلية لكي يكونوا مقبولين في القران. والذين لم يكونو معتمدين  
فكر أن يسجلوهم. إذ بعد حصولهم لأصحاح وبعد م. من التفت. وديس. عظمه. Hunsford  
1817 West Church P. a. 1817. كان حصن. العربان. وح. من. العصور  
لوهل. ك. ان. عدم. الانسار. ان. الطائفة. في. مكان. الإقامة. كان. يعبر. استناداً. كتاب. وجهه. ط. ان. بده. بده.  
مستامه. بوجهه. بقر. Kuyper. هي. يمثل. الاتحاد. مع. الطوائف. الأخرى. (انظر. حاشيته. م. 24). غير. أنهم



كانوا يرفضون كل سلطة قضائية أرفع من الكنائس الفردية فيما يتعلق بالأدلة على أساس البيّنة لدى أطراف العقد وفي بدايات الكنيسة البرسبيترية. انظر الحاشية رقم 22 والمؤلفات المذكورة في الحاشية رقم 18. (29) تاريخ الكنيسة في الكمنولث، 165 - 152، pp. Shaw, *Church History under the commonwealth* II, pp. 152 - 165. GARDINER, *commonwealth*, III, p. 231.

(30) كانت عريضة اتباع Brown المقدمة إلى الملك جاك تحتج ضد ذلك.

(31) كان هذا المبدأ قد صيغ في قرارات شبيهة بتلك التي اتخذها سينودس Edam، عام 1585 (في مجموعة Reitsma، ص 139).

(32) الدليل الكنسي. Baxter, *Ecclesiastical Directory*, II, p. 108 درس المؤلف بالتفصيل ظاهرة الخوف من القربان الذي يبيده المؤمنون المتخوفون من أنفسهم (بسبب المادة 25 من كنيسة انكلترا).

(33) يمثل مذهب الجبرية هنا أيضاً النموذج الأكثر صفاء. لا شيء يظهر بمزيد من الوضوح أهميته العملية إلا النزاع الحاد حول موضوع إجازة قبول أطفال المنبوذين في العمادة، وذلك بعد تعليل سلوكهم. أهمية الجبرية هذه كانت دوماً، وعن حق، موضع شك. من بين الطوائف الأربع التي تضم اللاجئيين في أمستردام (في بداية القرن السابع عشر) ثلاث منها كانت مع الموافقة، أما في انكلترا الجديدة فكان ينبغي انتظار ميثاق Halfway Covenant لعام 1657 حتى يتلطف الموقف إزاءهم.

(34) عبارة مذكورة ص. 110.

(35) إن خطر الجمعيات السرية في بداية القرن السابع عشر أثار موجة عامة في هولندا. وقد اتخذت اليزابيت ضدها موقفاً فظاً ذهب إلى حد التهديد بعقوبة الإعدام. والسبب في ذلك هو طبيعة التدين النسكي المعادية للسلطة، أو بمزيد من الدقة، في الحالة الراهنة، علاقات التناقس بين السلطة الكهنوتية والسلطة المدنية (كان Cartwright قد طالب بإباحة تطبيق الحرم على الأمراء). والواقع أن نموذج اسكتلندا، أرض البركة بالنسبة للكنيسة البرسبيترية وللسيطرة الكهنوتية ضد الملك، كان ينبغي أن يؤثر في جميع الاتجاهات.

(36) بغية إنقاذهم من ضغوط المبشرين الارثوذكس الدينية، وإعطائهم الإرشادات الصالحة للتنصر، راح مواطنون من أمستردام يبعثون أولادهم إلى مبشرين أحرار. وقد رفض مجلس خورنات أمستردام الاعتراف بشهادات السلوك الأخلاقي التي يمنحها هؤلاء الكهنة إلى متناولي القربان. وقد طرد الأولاد من العشاء السري لأن هذا ينبغي أن يبقى نقياً كما ينبغي إطاعة الله لا إطاعة البشر. وعندما صادقت اللجنة السنودسية على القرارات المتخذة ضد هذا الانحراف، رفض مجلس الخورنة الطاعة وتبنى تنظيمًا جديدًا. وفي حالة تعطيل الدور كان هذا التنظيم يجيز لمجلس الخورنة أن يتصرف بالكنيسة؛ فيرفض هذا الطائفة وسينودسها؛ أما القدامى، Rutgers و Kuyper (علمانيان) فقد استوليا، بعد تعليق دورهم، على Nieuwe Kerk رغم الحماية التي كانت تتمتع بها. انظر: Hogerzeil (De kerkelijke strijd te Amsterdam, 1886) وكتابات Kuyper الواردة أعلاه. ظهرت الحركة الجبرية خلال العشرينات بقيادة Bilderdijk وتلامذته Isaac dacosta و Abraham capadose (وهما يهوديان معمدان). (فقد رفضت مثلاً، بسبب الجبرية، إلغاء عبودية السود التي تعتبر «مساساً بالعناية الإلهية»، وللسبب نفسه رفضت التلقيح أيضاً!). كانت هذه الحركة تحارب بحدة نظام الكنيسة التسامحي

ونظم الاسماء، وحده لافراد غير مؤهلين، ففقدت بكنية في لاسنبا، وقد قرر ميخائيل  
الطوائف اليهودية المصنوع في المعهد في استرداد عام 841. المواجهة غير هامة Dordrecht و مصر  
كل أنواع الهيمه على الكنيسة بد حنها، وكان Gese van pr nsterer حد % منه Baluerdik  
(37) بعد من ذلك صياغات كلاسكيه في عرافه اسم دام 16 Amsterdam confession (مسود  
X 1 Janssen knoijys Society، هخذ في المده 16، وسحب ان يعرف امواد على الكنيس  
الواحد بعضهم بعضا، لذلك يجب الا احضد الكنيسه العدد الكبير من يجب سحب دو عمدهم على  
بعضهم بعضا، من هذ عز كل هذه اليهوديه كل حتى بسطه كسيه م كريبه بخير، من حيب المده  
ارنداء من الكنيسه، حد ما سحب في Janssen knoijys Society وكذا في اسكنبر في عهد كرومويل كاس  
الانظمة التي وضعها البرلمان عام 1649 سجنر بكا ضايقه او حساده، يكون بها كلش اربوذكسي  
ومستقلون، منطرون، كاتب بروكولات Dedham التي سبره Sher، بصره ان يكون بطوائف  
الفرديه (و. س) في الواقع الكهان الفرديو، صيغته نظام الكنيسه في ديون العنصويه على اساس  
الاحبار، امر جري تاكيده في بروكول 10/22 1582، ولا يجرط احد كواحد في المجموعه،  
تو ان يحصل بشكل عام على اللبوس الجماعيه، لكن هؤلاء الطهرين اعطوا، منذ عام 586،  
مصارفهم لبيع Brown الدين، وهو في السجبه نحو الابرياس

(38) إن وصفت اليهوديه، وهي سام بمحمدس يهدد علاج الزواج كانه العمود العقري الحقيقي في  
النظم برمته، وكل طبقه ذات نصم اثني صر صوم، وعلى ر = الطيفه لا يرى سيوعيا هذه  
الطيفه فردا فردا، بل في صرته، إما في حصر طيفه الذي يتم جلالة في اعصاب الاحياء غير هامة  
بالخطايا، وعليه ان يستخدم سجيلا سوي، ك واحد، ويصبح هذه المجانبيه، صاعه، في فوائدها  
الاجري، في عطاء مهاد، خلال انعال حد الأعضاء، كان قد ظهر بطيو حد التنظيم من  
بعد، في كل مكان، حتى في دولاب منحه من الممكر بكون حكمه عم السكر الذي يعمل فيه  
حد تنظيم الكسبي يدي وثل الضم يدي، و مطه بروكول Dedham يمدكو، أعلاه والذي جوجه  
ببني عديم الصبح في الجمعيه، حين يلاحظ الاخوه ويستطعمو امر ه

(39) في البندان النويره، سيمت المدي، من الملاحظ، نظام الكسبي لم يطور، حافيه الكفاره او انه  
اصيب باثر بالاضطراب، وكان من دون فعاليه تذكر في الكنائس النويره الاكمنيه باستثناء Jéves  
وJulier وفي بقه مناطق Rhenan على صعي الزير، اسبب في ذلك كاسا الوسط اتونوري والحد  
اتكالم بين سلطه الدوله والسلطه الخاصه الموفقه من قوى مقدسانيه شجاعه وهو حمد كال  
بالتاكيه، موجود في كل مكان، غير الدوله يقب في اليه بافاده، وعلى كاسا يوجد طاقم من  
النظم الكنسي حتى القرن التاسع عشر، حصل الحد الاخير عام 1855 في Pulatinal حيث يعود  
تاريخ اديسه إلى عام 563، ولم يتاخر بحفظه من الدواب إلى الحير العنفي، على طريقه ابر سب  
(Eats) ورحبهم اليهوديون وانثروبون بعد بعد، لوحدو تنظيمات معنه، كاتب ب Menno لا  
وجود للكنيسه معروفه الا حيث يوجد بعام كسي، ولحم احد إلى سويك سبه او يد، وج نمط  
كال حصص، انعام حصر حد النظام، كاسا Rinsburger Kolligianten من م معتقد وديهم  
في بصرهم حد السوكه سحب، اما حورب فكذا الهام الكنسي، ب دنه، ماله هم صادم  
زدحمه، هو انه يدأير حتى ميت ضمت تحت تأير اعتبارات لا قدر منها، هو ما كان حد وريه في وجهه

نظر سياسية - تتعلق بالنباله. في انكلترا، كان أتباع النظام الطهري موجودين في صفوف الطبقة الوسطى البرجوازية الرأسمالية خصوصاً، في مدينة لندن مثلاً. إن المدينة لا تخشى هيمنة الأكليروس، غير أنها تريد أن تجعل النظام الكنسي وسيلة لتدجين الجماهير. إن طبقة الحرفيين من جهتها كانت مرتبطة فيها ارتباطاً شديداً. أما الريفيون والنبلاء فقد كان ارتباطهم أقل متانة نسبياً. فلقد كانت السلطات السياسية هي خصم هذا النظام، وهذا يعني أن البرلمان الإنكليزي هو جزء من هذه الخصومة أيضاً. غير أن ما يلعب دوراً حاسماً على صعيد هذه المسائل ليس «المصالح الطبقيّة» كما تبين الوثائق، بل على العكس المصالح الدينية وإلى جانبها مصالح ومعتقدات سياسية. نعرف قساوة وصرامة النظام الكنسي الطهري الحقيقي، لا في انكلترا الجديدة فحسب، بل في أوروبا أيضاً. وقد كان جنرالات كرومويل وضباطه وعملاؤه يبدون بمناسبة عدة الرغبة في نفي «شخص كسول فاسق دنيوي نجس». عند الميثوديين يمكن أن يشطب المترهبون، بلا أي إجراء آخر، وذلك بسبب سوء السلوك، طيلة مدة امتحان المترهبين، في حين أن الأعضاء الفعالين لا ينطبق عليهم ذلك، إلا بعد بحث تقوم به لجنة. إن بروتوكولات المجمع الهوغوثية (التي كانت سبباً في إطالة وجود ملة) وضّحت النظام الكنسي. نجد فيها، من بين ما نجد، رقابة على تزوير المواد الغذائية وغشها وعلى عدم النزاهة في العمل. (المجمع الديني السادس، التوصية XIV). إن قوانين تحديد النفقات الكمالية موجودة فيه بكثرة، وملكية العبيد والاتجار بهم من الأمور المباحة. (السندوس 27). إن ممارسة كثيرة التسامح مع متطلبات خزانة الدولة هو أمر مقبول أيضاً (خزانة الدولة هي طاغية). السندوس السادس (Cas de Conscience dec. XIV) والربا أيضاً، م. ن. XV (أنظر المجمع العام الثاني، 17، و42). كان يطلق على البرسبيتراريين الكالفينيين الإنكليز، حوالي أواخر القرن السادس عشر، اسم النظاميين، ويستخدم هذا الاسم في المراسلات الرسمية (أورده Pearson).

- (40) هناك امتحان يخضع له المترهبين لدى كافة الطوائف، وهو عند الميثوديين مثلاً، لمدة ستة أشهر.
- (41) إن منافحة المستقلين الخمسة في سينودس Westminster وضع في المقام الأول فصل «المسيحيين الشكليين الطارئين».

وهذا ما لم يكن يعني في البداية سوى فصل إرادوي. لكن رأي Robinson (الذي تلتطف فيما بعد)، وهو الكالفيني المتشدد وبطل سندوس Dordrecht، يتلخص بأن الانفصاليين المستقلين لا يجوز أن يقيموا علاقات اجتماعية مع الآخرين. من المعلوم أن معظم الطوائف تجنبت الاعتراف بهذا المبدأ اعترافاً واضحاً، كما أن بعضها رفضه بوضوح، على الأقل كمبدأ. ذهب باكستر في كتابه (Christian Directory, II, p. 100) إلى حد التفكير بأن حالة الإكراه يمكن أن تعالج بالصلاة بهدوء بصحبة شخص غير متدين، شريطة أن يضطلع بمسؤولية هذا الأمر رب العائلة أو الراعي وليس المعني ذاته. إنها طريقة في الرؤيا غير طهرية. لقد لعب الـ mijdinge في هولندا خلال القرن السابع عشر دوراً مهماً جداً، داخل الطوائف المعمدانية المتشددة.

- (42) هذا ما كانت قد أبرزته كثيراً النقاشات والصراعات داخل طوائف لاجئي أمستردام، في بداية القرن السابع عشر. وكذلك في Lancashire، فإن رفض النظام الكهنوتي والمطالبة من قبل العلمانيين بالقيادة وبالحفاظ على النظام الكنسي هما أمران حاسمان بالنسبة للمواقع المتبوّاة خلال الصراعات الأهلية أيام كرومويل.



(43) د. حل الطوائف المستقلة والجمهورية سكتب سميته القدامى مادة لمجالات حيزه ليست مهمة بالنسبة إلى موضوع.

(44) ميد حد كار موجه قرار الرصد انشاء في 1 2 1646 وكان يقضي بموجبه حربه بالنسبة من ناحية اخرى جرت معارضة حد حربه السيور روجوت في كتابه Robinson فيما علم به من Jeremy Taylor في 1647 بصفته مثالا للاكثريكية The Liberty of Prophesying. 1647 كان محرريه 1648 كرومويل بطوب دنا مناط جزاء الكهنه بإفاده من ستة أعضاء مضمين من داخل الطائفة من بينهم 1 بعد أعضاء عنائين في تم حل الأول من الإصلاح عيني في نكلتر م كس شمير والتكهنه مضميه من جوب الكهنه المحمسين فطسب : 1 بهم دالو يستحرموا ايضا وفي ميكنند 1648 د هولاء من مقومات الساط الكمي كانوا قد حصل ذلك قبل دعوتهم إلى Northampton عام 1647 غير ان الوب اصرد على قراره بحدوث ذلك التماس حد ما يؤكد علا الحرس ميد Cartwright

(45) كاب Smyth قد طلب في مستردم دالا يحمل المتجدد التواء بين يديه حين مفاد 1646 م يدفع ذلك الى مثل حد البدل في ياد نفسي الاسطورة الرسمية ان يفتح على مفاد حاصر في الجمعيات انشاء الاسحاص البير بمنعود ماكبرم من نكي بمل والروح عديهم وقت انشاء ويظ حيثاد في حوص الصمد ان سرا الروح على اجنهم كتب حصر قدام في إحدى مدارس سلفا، ولم بمنعود الروح على منك السيد التي كانت جالسه على المقعد بوشها الحميه وابيضه، وبهيه رانيه من الاكثر وصحا ومن دور شت بعد معاهم اوي على ذلك غير ان تروح حطب على مدير مكتبة المنزله الذي مدفع ياهي خطاباً فصححا حول فكره «الغنيم»

(46) إد الورايت منهمه التي تقوم بها المل (م سبط Fox وقده تحرير من الصمد دانه) ياداب جميعها دحل الطوائف ، الصرع ميد صحاب الحد غير الرسمية الذي يعتبر د ومرفقه م رعا تميم الربوي استعمل بالتبشير المجاني من حاب الدين يسهم الروح ودان اليه نفس مسرح الم ع الحد بين Woodman الارسماني و Pyralis حاب أعاب الثاني على أوب ميلا نحن وندت حلال نميد في حد ان الأوب صرح يقدم فيه ال د بعض نه طوعا ان الناعه التي يجبر الهيئت طوعيه عيسير موجوده في عريشه ادع Brown انمده الى جلا الأول 1603 (القطعة 7)

من ه الاغراض على المعاش اليابوي والعشر اليهودي  
(48) ميد الاحيه كانه مطلوبه لكل المبشرين في تعاق الشعب Agreement of the people 1649 / 5

(49) وكذلك بالنسبة إلى المبشرين المحظير لدى اليهوديين  
(50) عام 1647 انعت اليهوديه كل جنلاو بين العسري مدير خصم للسهب وبين مواعهم وبالنسبة لحد المبشرين الجورين ممثلي اليهوديه المنحريين، كدو على قدم المساواة مع الكهنه الذين د لود سيانهم من الكهنه الأنكيكانيه بكر المبشرين الحواليي حصير في الوقت ذاته على شتكر التيسير في كذا الدائرة وعلى منح الأمراء من هذه الفترة بالصمد يحدد تاريخ الإدارة الدائيه لأمراء ولكن في ساعته منفعه على ملك التي كانت متدوره في الكيسه مسميه التي يحزن الرعم باستمرار الانشاء إليها وكذا كانت المسال قبل عام 1668 كان مسرد عديهم حد منه اي ساط غابوي بصفه

مدنية، فتحول المبشرون إلى اكليروس جديد. وأنشئ عام 1836 نظام سيامة شكلي. وكان يوجد إضافة إلى ذلك مبشرون محليون مجندون من بين العلمانيين الذين كان التبشير بالنسبة لهم مهنة ثانوية ولم يكن لهم حق منح الأسرار وكانت صلاحيتهم محلية، ولم يكن يُعطَ لهؤلاء ولا لأولئك زي «رسمي» يدل على وظيفتهم.

(51) في الواقع تحولت معظم «الدوائر» إلى خورنات صغيرة، على الأقل في أنكلترا، كما تحول سفر المبشرين إلى مجرد تلفيق. ما تزال القاعدة سارية منذ القديم وحتى اليوم، وهي تقضي بالآلا يخدم الكاهن الدائرة ذاتها لأكثر من ثلاث سنوات متواصلة. والمقصود هم المبشرون المحترفون. في المقابل كان المبشرون المحليون، الذين يتجند من بين صفوفهم المبشرون الجوالون، يمارسون مهنة مدنية، ولم تكن إجازتهم التبشيرية صالحة (في الأساس) إلا لمدة عام واحد. وكان يبدو وجودهم ضرورياً بسبب العدد الكبير من احتفالات القداس ومن المعابد. وكانوا، فوق كل ذلك، يشكلون هيكل تنظيم «الطبقات» وعلاج النفوس، أي جهازاً مركزياً حقيقياً للنظام الكنسي.

(52) إن مواجهة كرومويل «لبرلمان القديسين» أصبح حادثاً. أحد أسباب ذلك هو مسألة الجامعات (التي زالت مع إلغاء العشور والمداخيل). لم يكن في وسع كرومويل أن يقرر تهديم المراكز الثقافية التي كانت، قبل كل شيء، حسب عقلية تلك المرحلة، مؤسسات يتكون فيها اللاهوتيون.

(53) هل كان يحصل الشيء ذاته حسب اقتراح 1652 وبشكل أساسي، انسجاماً مع دستور الكنيسة لعام 1654.

(54) ضرب مثل على ذلك في كتاب (سقوط الملكية الفردية) *Fall of the Monarchy I, Gardiner* (p. 380).

(55) إن اعتراف Westminster (XXVI, I) من جهته، يطرح مبدأ واجب التعاون داخل الملة وخارجها. وقد تعددت التعليمات المشابهة لدى جميع الملل.

(56) لقد حاولت الميثودية مراراً أن تعاقب بالطرد كل من يلجأ إلى الحاكم المدني. من ناحية أخرى أوجد الميثوديون محاكم عديدة كان يمكن اللجوء إليها للشكوى على سيئي المعاملة.

(57) كانت لجنة من الأخوة عند الميثوديين الأوائل، مكلفة بالتحقيق في جميع حالات الامتناع عن الدفع. وكان الاقتراض دون التأكد من إمكانية التسديد سبباً من أسباب الطرد، من هنا شهرة الميثوديين على صعيد التسليف. قارن مع قرارات سنودسات هولندا المذكورة في الحاشية رقم 25. في Hanserd Knollys Confession baptiste (c. 28) نص على واجب التعاون بين الأخوة مع التحفظ التالي: ينبغي ألا يسبب أي ضرر بقداسة الملكية. ويجري تذكير القدامى بضرورة اتخاذ إجراءات ضد الأعضاء الذين يعيشون من دون مهنة (أو دعوة إلى الدين) أو الذين يسلكون سلوك الكسالى في مهنتهم (أو دعوتهم إلى الدين).

(58) إنها، عند الميثوديين، واجب مصاغ بوضوح.

(59) ينبغي، في الأساس، أن تتجدد هذه الشهادات مرة كل ثلاث سنوات. وكما سبقت الملاحظة، لم يكن أوائل المستقلين يمنحون القربان إلا للذين يحملون بطاقة دخول. أما المعمدانيون فلم يكونوا يقبلون أي قادم جديد إلا إذا كان يحمل طلباً خطياً من طائفته الأصلية. أنظر ملحق طبعة (West Chester) Hanserd Knollys confession de 1689 (West Chester, pa. 1827). كانت الطوائف المعمدانية

الثلاث في أستراليا تعرف هذا النظام، في بداية القرن السادس عشر، وهو النظام الذي عدا بعد ذلك معروفاً في كل مكان. ففي Massachusetts كانت شهادة المبشر وشهادة «اصطفاء الرجال» تتعلق بالارثوذكسية وبالمسكون، وتلعب، عام 1669، دور إفاضة تأهيل تسمح لحاملها بالحصول على المواطنة السياسية. (كثرت هذه الشهادة تحل محل الإجازة الأصلية بالمشاركة في التبريل).

(60) إن Doyle، في كتابه الذي ذكر لأكثر من مرة، يمزج إلى هذا المعامل الميزة الصناعية التي تعززت بها أنكلترا الجديدة، على خلاف ما كانت عليه المستعمرات الزراعية.

(61) أنظر مثلاً ملاحظات Doyle حول العلاقات بين الطبقات الاجتماعية في أنكلترا الجديدة حيث كانت الأرستقراطية مكونة من عائلات لها تقاليد دينية وأدبية عريقة، لا من طبقات مائكة.

(62) في مقابل ذلك، نقول تكراراً إن الاعتراف الكاثوليكي يشكل وسيلة للتخلص من الضغط الداخلي الهائل، الذي لا يكف عن قمع المتعصب في مطوكة. لن ندرس هنا إلى أي حد كانت بعض الطوائف الدينية الأرثوذكسية والهرطقية في القرون الوسطى طليعة هذه الملل النسيكية في البروتستانتية.

(63) نشر من جديد بقوة إلى هذه النقطة الحاسمة جداً والتي أبرزت في الأول من البحثين المعروفين هنا. إن الخطأ الأساسي في انتقاداتي هو بالتحديد عدم انتباهها إلى الواقع. ففي دراسة أخلاق العرب، بالعلاقة مع المذاهب المشابهة جداً في الأنظمة الأخلاقية المصرية والفينيقية والبابلية، يشير إلى حالات مماثلة جداً.

(64) فإذن حول هذا الموضوع مع ما قيل في الدراسة السابقة، كانت الأبرشانيات، لدى اليهود قديماً كما لدى أوائل المسيحيين، تحمل في الاتجاه ذاته، كل على طريقته (وهذا ما سبب، كما سترى، زوال الأهمية الاجتماعية للقراءة عند اليهود. وقد عملت المسيحية في الاتجاه ذاته مع بداية العصر الوسيط).

(65) مكفي، لإعطاء مثل على ذلك، كتاب المهن لمؤلفه Etienne Boileau حاكم باريس (1268)، طبعه (66) ليس يمكننا أن نتناول هنا تحليل هذه العلاقات السببية المشوشة جداً.

القسم الرابع.

(66) ليس يمكننا أن نتناول هنا تحليل هذه العلاقات السببية المشوشة جداً.



## المحتويات

5	تمهيد .....
15	هوامش التمهيد .....
16	الفصل الأول: المسألة - الانتماء الديني والشرائع الاجتماعية .....
22	هوامش الفصل الأول - القسم رقم 1 .....
42	هوامش الفصل الأول - القسم رقم 2 .....
59	هوامش الفصل الأول - القسم رقم 3 .....
66	الفصل الثاني: أخلاق الشغل في البروتستانتية النسكية .....
97	هوامش الفصل الثاني - القسم الأول .....
149	هوامش الفصل الثاني - القسم الثاني .....
172	الطوائف البروتستانتية وروح الرأسمالية .....
186	هوامش القسم الأخير .....

## الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية

في أية صيغة تحدد بعض المعتقدات الدينية بروز «عقلية اقتصادية»، وبعبارة أخرى بروز «التقليد» المتعلق بشكل معين من الاقتصاد؟ وقد أخذنا مثلاً على ذلك العلاقات بين روح الحياة الاقتصادية الحديثة وبين الأخلاق العقلانية لدى البروتستانتية النسكية. ولن نهتم إذن إلا بوجه واحد من التسلسل السببي. أما الدراسات التالية التي تتناول الأخلاق الاقتصادية في الأديان الكبرى في العالم فهي تهدف إلى إقامة العلاقات بين الديانات الأكثر أهمية وبين الاقتصاد والطبقات الاجتماعية. وهي تسعى إلى تعقب هاتين العلاقتين السببيتين بمقدار ما يحتاج الأمر إلى ذلك، بقية إيجاد نقاط المقارنة مع التطور الغربي الذي سيكون، هو الآخر، موضع تحليل. في الحقيقة نأمل أن تكون هذه هي الطريقة الوحيدة في البحث عن سند سببي لهذه العناصر الأخلاقية - الاقتصادية من الدين الغربي، هذه العناصر التي بها يتعارض هذا الدين مع غيره من الأديان. غير أن هذه الدراسات - مهما تكن مهمة - لا تدعي أبداً أنها تشكل تحليلات متكاملة. فهي على العكس، تشدد عمداً على العناصر التي استناداً إليها تبقى كل حضارة من الحضارات المدروسة متعارضة مع تطور الحضارة الغربية. فهي إذن برمتها موجهة نحو القضايا التي تبدو - من وجهة النظر هذه - مهمة لفهم الحضارة الغربية. ولن نعدم وسيلة للوصول إلى الهدف الذي حددناه ولكن، تفادياً لأي سوء فهم، نشير هنا قصداً إلى الحدود التي تصل إليها فكرتنا.

54.00